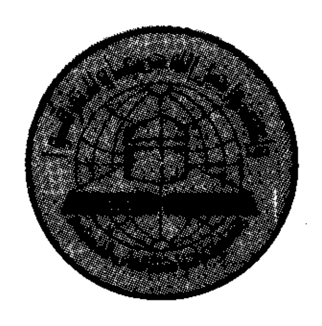
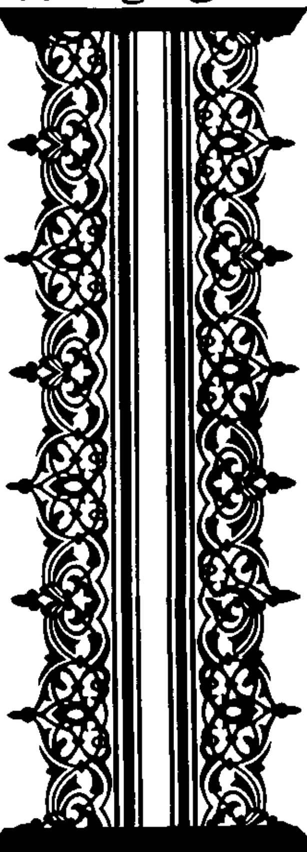
السنة السادسة ـ العدد ٦٨
ذي القعدة ١٤٠٧هـ ـ يونيو ١٩٨٧م



دعوة الحق
سلسلة شهرية
تصدر مع مطلع كل شهر عربي





تأليف

الأستاذ أحمد محمد جمال


بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول
موضوعات قرآنية

- مفهوم الآية : ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ .
- مفهوم الآية : ﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ .
- مفهوم الآية : ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ .
- مفهوم الآية : ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ .
- الرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام .
- أيام الله وأيام البشر .
- نزول الغيث بين القانون والإرادة ..
- ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾
- الفضيلة بين نظريتين
- ألا له الخلْق والأمْر ..
- مشيئة الخالق لا تحدِّى المخلوق
- الضمير فى القرآن
- الدنيا بين الامتحان والامتهان
- المال والنفس فى ميزان القرآن
- القرآن هل هو معجزة أدبية فقط ؟
- هل الإنفاق فى مستوى الإيمان
- النفس الإنسانية فى حديث القرآن
- الراسخون فى العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا . مباركا فيه .. على ما أنعم به عليَّ من مواصلة الدرس والبحث فى الموضوعات والقضايا القرآنية أحكامًا كانت أم عقائد أم أخلاقًا ـ فهذا فضل من الله كبير . وأنا مدين لله عز وجل بالحمد الجزيل ، والشكر الكثير ـ وبعد ..

فهذا هو الجزء الرابع من كتابى (القرآن : كتاب أحكمت آياته) وهو تتمة لما سبقه من أجزاء فى الموضوع نفسه .. موضوع كون القرآن الكريم أنزله الله عز وجل محكمًا ميسَّر التلاوة والفهم ، وما على المؤمن إلا أن يستعد بإيمان خالص . وذهن صاف ، وانتباه يقظ لتدبُّر معانيه ، وإدراك مقاصده ، حتى يتبين له أنه حقٌ كله ، وخيرٌ كله ، وجمالٌ كله .

وكل ما أتمناه : أن يتقبل الله منى هذا العمل الذى أخلصته له تبارك وتعالى : حبًا لكتابه المجيد ورسوله الكريم ﷺ .

كما آمل ألا يغضب نقدى الكتَّاب والمؤلفين الذين تعرَّضوا فى هذا الجزء والأجزاء الثلاثة السابقة ـ لاختلافى معهم فى وجهات نظرهم ، ومعارضتى لمفاهيمهم .. فالاختلاف بيننا موضوعى ، والمعارضة فكرية ، والود بيننا بعد ذلك قائم ، والتوقير دائم ـ والله على ما أقول شهيد .

مكة المكرمة   **أحمد محمد جمال**

فى ذى القعدة ١٤٠٧هـ

يوليو ١٩٨٧م

يشكر فلا يكفر وهو مرفوع إلى الرسول ﷺ كما رواه ابن مردويه عن مرة بن عبد الله أن رسول ﷺ قال : اتقوا الله حق تقاته .. أن يطاع فلا يعصى الخ وكذا رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود مرفوعا ـ فذكره ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ـ وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : إن هذه الآية لم تنسخ .. ولكن ﴿**حق تقاته**﴾ أن يجاهدوا فى سبيله حق جهاده ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ، وأن يقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . أ هـ .

وفى تفسير القرطبى : جـ/٤ ص/١٥٨ ـ أورد حديث ابن مسعود الذى ذكرناه آنفا وأضاف قول ابن عباس رضى الله عنهما : اتقوا الله حق تقاته : ألا يعصى طرفة عين ـ وأورد القرطبى خبر على ابن أبى طلحة عن ابن عباس : أن الآية ليست منسوخة . وهى ما ذكرناه بتمامه فى الفقرة السابقة . ثم أورد القرطبى قول النحاس : إن كل ما ذكر فى قوله ﴿**اتقوا الله حق تقاته**﴾ واجب على المسلمين ، ولا يقع فيه نسخ ورأى القرطبى أن قوله : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ بيان لقوله ﴿**اتقوا الله حق تقاته**﴾ والمعنى : «اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم .. فهو أصوب لأن النسخ إنما يكون عند عدم إمكان الجمع والجمع ممكن فهو أولى» آهـ .

وهكذا يتبين أن القول بنسخ الآية غير مقبول نقلا ولاعقلا : وقد لاحظنا خلال دراستنا المستمرة ـ بإذن الله وعونه ـ للقرآن الكريم : أنَّ هناك إسرافا من بعض العلماء فى القول بالنسخ لكثير من الآيات المحكمة ، وأفردنا فصلا كاملا فى كتابنا « القرآن كتاب

حول مفهوم الآية :

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقو الله حق تقاته﴾

كتب إليَّ الأخ « غ . ح » وهو طالب جامعى ـ يقول إنه قرأ كتابى « القصص الزمرى فى القرآن » الطبعة الرابعة .. ولاحظ أنى فى ص/٩٨ قلت : ونحب هنا أن نعقب على قول المفسرين القدامى بأن الآية : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**﴾ من سورة آل عمران منسوخة بالآية : ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ من سورة التغابن وهو زعم لا حجة عليه من عقل ولا نقل .. فالمسلم مطالب أن يتقى الله عز وجل فى كل أموره حق التقوى ، وأن يراعى حرماته حق الرعاية ، ولا يكون له عذر فى معصية الله ومخالفة أمره إلا ما أكره عليه وقلبه مطمئن بالإيمان . وعليه أن يجتهد مخلصا .. فإن أخطأ فله أجر ، وإن أصاب فله أجران .

ويريد الطالب توضيحا لاعتراضى على القول بنسخ الآية وتأكيدا لوجهة نظرى إذا كان لدى ما أضيفه .

وأقول للطالب الباحث فى أمور دينه ـ وهو يشكر على ذلك ـ إن وجهة نظرى العقلية واضحة فى العبارة السابقة ـ ويبقى أن أرجع به إلى مّا قاله بعض المفسرين ـ أو ما نقلوه بعبارة أصح ـ عن كون الآية غير منسوخة ، وأن حكمها باق أبدا .

فقد أورد الحافظ ابن كثير فى تفسيره ـ جـ/١ ص/٣٨٨ ـ قول ابن مسعود رضى الله عنع فى تفسير قوله عز وجل ﴿**اتقوا الله حق تقاته**﴾ أى : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن

ونحن ـ أولا ـ نسلِّم بأن خصائص كل من الجنسين مختلفة ومتباينة ، كما نسلِّم بأن السَكَن ليس سكنًا جِنسيًا فحسب ، ولكنه سكن جنسى ونفسى معًا .

كما نرى أن هذه الآية القرآنية لا تتحدث عن اختلاف الخصائص بين الرجل والمرأة ، لأن (السكن) الوارد فيها ليس خاصًا بالرجال دون النساء بل العكس فى مغزى هذه الآية القرآنية هو الصحيح وهو المراد .. أى أن الآية جاءت لتؤكد وحدة (الإنسانية) بين الزوجين .. مع التسليم باختلاف الخصائص والوظائف بينهما .

فالآية خطاب للرجال والنساء والله عز وجل يمنُّ فيها عليهما بأنه خلق لهم أزواجًا من أنفسهم وليس من غير جنسهم ، فالرجل من المرأة والمرأة من الرجل .

وليس خلق آدم عليه السلام أولاً ، ثم خلق حواء من ضلعه بعد ذلك يعارض هذا المعنى العام الدائم ... حيث تتابعٍ التناسل من ذريته على المنوال الذى ذكرنا ، وحيث يُؤَكِّد واقعَ (الإنسانية) فى الرجل والمرأة هذا المعنى الخَلْقىُّ أو التكوينىُ لكلا الجنسين .

إن الله تبارك وتعالى ـ فى هذه الآية القرآنية ـ يقول للرجال : خلقت لكم أزواجًا من جنسكم ، ويقول للنساء أيضا : خلقت لكم أزواجًا من جنسكن .. لتسكنوا أيها الرجال إلى النساء ، وتسكنَّ أيها النساء إلى الرجال .. والسكن هنا معناه الراحة والثقة والاطمئنان وهو ما نعبِّر عنه « بالرباط المقدَّس » وقد أضاف القرآن نفسه ـ فى الآية ذاتها ـ ما يؤكِّد هذا السكن ويفسره .. فى قوله

أحكمت آياته » جـ/١ فى نقد كتاب « الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم » للإمام أبى محمد على بن حزم ـ رحمه الله ـ .

وإن كان لابد من ختام لهذا التعقيب .. فهو أن على المسلم ألا يركن إلى القول بنسخ الآية موضوعة البحث ، وأن يتقى الله عز وجل حق تقواه ، وأن يجاهد فى الله حق جهاده ، إلا أن يضطر اضطرارا واضحا بمرض أو إكراه أو أى عذر معقول ومقبول ، والله وحده هو الموفق والمعين .

حول مفهوم الآية :

﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾

نقلت بعض صحفنا المحلية ـ فى زواية المرأة ـ مقالا قيما عن معنى هذه الآية الكريمة : **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا .. لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** [١]

وقد أبدى كاتب المقال فهمه المؤكد لقوله عز وجل : **﴿لتسكنوا إليها﴾** على أنه خطاب للرجال وحدهم ، وأن (السكن) خاصٌ بهم .. أى أَنهم هم الذين يسكنون إلى النساء ، ولا تسكن النساء إليهم ، وإن هذا دليل على اختلاف خصائص كل من الجنسين .. فانفراد الرجل بِنُشْدانِ السكَنِ إلى المرأة يدل على تباين الخصائص المعنوية بينهما . ويؤيد ذلك ـ فى نظره ـ ما لحظه الإمام الرازى من أنه سكن روحى وليس سَكَنًا حِسِّيًا [٢] .

---

(١) سورة الروم الآية ٢١ .

(٢) جريدة (المدينة المنورة) فى ١٣٩٨/٥/١٣ والمقال للدكتور البهى حولى .

فوجدتهم يذهبون إلى أن المراد هو سكن الرجل إلى المرأة ، واستأنسوا بما جاء فى القرآن عن خلق آدم أولاً ثم خلق حواء من ضلعه وزاد النيسابورى أن (السكن) جسدى وليس روحيًا كما ذهب إلى ذلك الإمام الرازى .

ثم راجعت تفسير (الظلال) للأستاذ سيد قطب رحمه الله ، فوجدته يقول : « .. قلما يتذكرون يد الله التى خلقت لهم من أنفسهم أزواجا وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر وجعلت فى تلك الصلة سكنا للنفس والعصب ، وراحة للجسم والقلب ، واستقرارا للحياة والمعاش ، وأنسا للأرواح والضمائر ، واطمئنانا للرجل والمرأة على السواء » .

ويذكر الأستاذ سيد ـ رحمه الله ـ ختام الآية : **﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** فيفسرها بقوله : (فيدركون كلمة الخالق فى خلْق كلٍ من الجنسيْن على نحوٍ يجعله موافقًا للآخر ، ملبّيًا لحاجته الفطرية : نفسيةً وعقليةً وجسديةً بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ، ويجدان فى اجتماعهما السكن والاكتفاء والمودة والرحمة لأن تركيبهما النفسى والعصبى والعضوى ملحوظ فيه تلبية رغائب كلٍ منهما فى الآخر وائتلافهما وامتزاجهما فى النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل فى جيل جديد »[1] .

ونلاحظ ـ هنا فى تفسير الظلال ـ أن الأستاذ سيد ـ رحمه الله ـ يؤكِّد فى ألفاظ وعبارات واضحة : أن السكن الوارد فى الآيـــــــــــــــــة

(١) ص/٣٦ جـ ١٢ من ظلال القرآن .

تعالى عز وجل : ﴿**وجعل بينكم مودةً ورحمة**﴾ .

ونحن نلمس هذا (السكن) مع آثاره من المودة والرحمة بين الزوجين فيما نراه من إيثار الرجل للمرأة على أهله من أبوين وإخوة .. وإيثار المرأة للرجل على أهلها كذلك .

إن كلا منهما يحنُّ إلى زوجه أكثر مما يحن إلى أبويه وإخوته ، ولا يعارض هذا (الواقع) الزوجىّ بين المرأة والرجل : ما جاء فى القرآن وحديث الرسول ﷺ من مطالبة الأبناء ببر الآباء .. بل ربما يؤكده ـ بطريق غير مباشر ـ لأنه يعنى التحذير من طغيان العاطفة الزوجية على حق الآباء فى برِّ الأبناء .

كذلك ما أسرع كلاًّ من الزوجيْن إذا أخطأ أو ظلم رفيقه .. إلى الندم ثم المصالحة والرضا بكلمة أو همسةٍ ، ونسيان ما حدث من خطأ أو ظلم فى لمح البصر ، ولا يكون ذلك على هذه الصورة السريعة بين الآباء والأبناء ، ولا بين الإخوة ، ولا بين البنات والأمهات .

إذن .. فهو (السكن) المقترن (بالمودة والرحمة) الذى شاء الله تبارك وتعالى أن يجعله آيةً بارزة من آيات قدرته وحكمته ورحمته .. فى خلق نظام (الزوجية) بين الرجل والمرأة كى يتَّحدا أنفسًا وإن اختلفا أجسادًا . ـ ففى هذا الاتحاد النفسى والاختلاف الجسدى (سر) الوجود الإنسانى تزاوجًا وتناسلاً ، وتعميرًا للكون ، واستمرارًا للحياة .

وقد راجعت ـ بعد كتابة هذا التعقيب ـ تفسير كل من الإمام الطبرى والإمام ابن كثير والإمام النيسابورى رحمهم الله جميعا ـ

إلى نهاية الشهر .

واستمر الناس ـ ونعنى بهم الراغبين فى تحديد النسل ـ فى تجارب متواصلة لهذه النظرية ، وقد نجحت التجربة لبعضهم لأمر ما ، وفشلت عند الكثيرين ومن هنا جاء الدكتور (بلوك) الطبيب الأمريكى والمستشار الفنى لأحد المختبرات الطبية الأمريكية ـ جاء ينقض بتجاربه هذه النظرية عن دورة الإخصاب والإجداب عند النساء ، فهو يقول :

١ ـ إن هذه الطريقة التى يتبعها الملايين من الناس كل عام ، قد أنتجت محصولا ضخما من الأطفال خلال الفترات (المجدبة) ، كما أنها عجزت فى الوقت نفسه عن إنجاب الأطفال خلال الفترات (المخصبة) ؟

٢ ـ إن الرجال الذين قبلوا طريقة (أوجينو ـ كناوس) قد انتهوا الآن بعد سنوات من الدراسة إلى القول : بأنه ليس ثمة إجراء يمكن اعتباره مأمونًا على نحو مطلق .

٣ ـ إن أول طبيب شك فى هذه النظرية ، كانت امرأته عاجزة عن الحمل مدة خمس سنوات ، فذهب يجرب فترة الإجداب وفترة (الإخصاب) معًا ، ففشل ثم جرَّب أخيرًا الفترة التى يهملها كل الناس ، فترة الحيض نفسه ، فحملت زوجته ، وتكرر حملها للمرة الثانية بنفس الطريقة وفى عين الفترة الممنوعة !

٤ ـ كانت إحدى النساء اللاتى أجرى هذا الطبيب عليهن تجاربه ، تشكو من كثرة الحمل وتتابعه ، وكانت نتيجة بحثه فى أمرها ، وفحصه لها ولزوجها معًا أنها قادرة على الحمل فى كل يوم

سكن عصبي وعضلي ونفسي ، وأنه متبادل بين الرجل والمرأة على سواء وأن ذلك مقصور فى أساس التكوين من أجل إنشاء جيل جديد .

وصدق الله العظيم فيما تحدى به الجاحدين : ﴿**هذا خلق الله .. فأرونى ماذا خلق الذين من دونه**﴾ .

حول مفهوم الآية :

﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾

يبدو أن الرأى القائل بأن معظم النظريات العلمية مازالت ظنونًا قابلة للنقض والتصحيح ، بمرور الزمن ، وبمواصلة البحث والتجريب ـ وجيهٌ ولا اعتراض عليه .

منذ عام **١٩٣٢م** ، والناس متعلقون بنظرية « دورة الإخصاب عند المرأة » التى طلع بها الطبيب اليابانى (أوجينو) والطبيب الألمانى (كناوس) .

وخلاصة هذه النظرية ، بتعبيرنا الأدبى الموجز المبسَّط ، أنَّ لكل امرأة حائضة فترة معينة تقذف خلالها بالبويضة التى هى أحد عُنصَرىْ الحمل . أما باقى الفترات فتكون المرأة خلالها (مجدبة) ، أى لا تحمل مهما اتصل بها الرجل .

وحددت النظرية فترة الإجداب ابتداءًا من اليوم الأول لظهور الحيض إلى اليوم العاشر ، ثم تبدأ فترة الإخصاب من اليوم الحادى عشر إلى اليوم السابع عشر ، حيث تعود بعد ذلك فترة الإجداب

الأرحام﴾[1]

﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار﴾[2]

﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا ، وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه﴾[3]

﴿إليه يرد علم الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أكمامها ، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾[4]

أما ما ذكره الطبيب الأمريكى (بلوك) عن حمل زوجة أحد الأطباء الأمريكيين فى فترة الحيض عدة مرات ، وهى الفترة الممنوعة ، والتى لا تحمل فيها امرأة ، فهى حالة شاذة ، ولكنها آية من آيات الله تؤكد قدرته ونفاذ إرادته وانفراده عز وجل بالمشيئة المطلقة على خرق ما سن من قوانين .. ليزداد المؤمنون به إيمانًا ويقينًا وتسليمًا : **﴿إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون﴾** .

إيمانا ـ يارب ـ ومزيدًا من الإيمان .

مفهوم الآية :

﴿ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دُعوا﴾

كتب الأستاذ سمير شما المحامى فى جريدة (المدينة المنورة) يشكو من امتناع بعض الشهود عن أداء ما لديهم من شهادات عندما يطلب إليهم ذلك ويقول : إن فى هذا الموقف السلبى من الشهود

---

(١) سورة لقمان ٣٤ . (٢) سورة فاطر ١١ .
(٣) سورة الرعد ٨ . (٤) سورة فصلت ٤٧ .

من أيام الشهر !

٥ ـ أن أهم نواحى الضعف فى نظرية (أوجينو ـ كناوس) أن كل حالة فى حد ذاتها قانون : فلكل إمرأة فترتها الخاصة المخصبة ، وفترتها الخاصة المجدبة . وكثيرًا ما تكون هذه الفترة لا علاقة لها بفترة اكتمال البويضة ، مما يجعل وضع تحديد عام لجميع النساء وجميع الفترات ضربًا من المستحيل !

٦ ـ هناك اعتبارات أخرى كإمكانية إمرأة ـ دون أخرى فى الاحتفاظ بالبويضة حيَّةً قادرة على الإنجاب وكقوة رجل ـ دون آخر ـ فى استبقاء مائه فعالاً طوال شهر كامل وكالتوازن الكيمائى عند المرأة ، إذ أن الحالة الحامضية المفرطة تدمر الحيوانات المنوية عند الاحتكاك بينما تستطيع المنطقة القلوية الإبقاء على هذه الحيوانات حية لفترة طويلة .

ذلك ما ينقض به طبيب أمريكى نظرية الطبيبين اليابانى والألمانى عن دورة الإخصاب والإجداب عند النساء .

ومن حقى كمسلم أن اعتز بهذا النقض العلمى لهذه النظرية العلمية ، لسبب واحد فقط ، هو أن العلم يدعو إلى الإيمان ! العلم بظُنُونِه بادى الرأى ، ثم بحقائقه فى نهاية المطاف يؤيد ما نعتقده نحن المسلمين من نظريات الإسلام !

ونهاية المطاف فى هذا الموضوع هو ما يؤكده القرآن الكريم فى عديد من آياته البينات يقول الله تبارك وتعالى :

﴿إن الله عنده علم الساعة ـ وينزل الغيث ـ ويعلم ما فى

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾[1] هذه الآيات البينات من كتاب الله العزيز ، الذى جاء نورا وهدى للناس ـ تدل دلالة واضحة على أن الشهادة بحق واجبة على المسلم تحملا وأداء .. أى إذا دُعِيَ ليتحمل الشهادة يجب عليه أن يجيب ، وإذا دُعِيَ لأدائها لزمه ذلك أيضا .

ولكن هذا الوجوب ـ كما فهمه الفقهاء والمفسرون ـ من فروض الكفاية ، إذا قام بالشهادة من يكفى سقطت عن الباقين ، وإن لم يقم بها أحد تعينت على الموجود من الشهود .

جاء فى كتاب (المغنى) تعليقا على قوله عز وجل : **﴿ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه﴾** قول المؤلف العلامة الإمام موفق الدين بن قدامة : إنما خص القلب بالإثم لأنه موضع العلم ، ولأن الشهادة أمانة فلزم أداؤها كسائر الأمانات ، فإن دعى إلى تحمل الشهادة فى نكاح أو دين أو غيره لزمته الإجابة ، وإن كانت عنده شهادة فدعى إلى أدائها لزمه ذلك . فإن قام بالفرض فى التحمل أو الأداء اثنان سقط عن الجميع ، وإن امتنع الكل أثموا ..[2] .

وذكر ابن قدامة ـ بعد ذلك ـ القراءة الأخرى لقوله عز وجل : **﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾** برفع الفعل (يضار) ويكون الكاتب والشهيد فاعلين ، والمعنى : لا يضر الكاتب والشهيد من

---

(١) سورة النساء ١٣٥ .

(٢) ص ٣ جـ ١٢ .

ضياعا للحقوق ، وقد تكون الشهادة لازمة لإثبات نسب أو زواج أو غير ذلك من حقوق وقضايا .

ثم أضاف : أن هناك فى بعض البلاد الأخرى إذا خشى صاحب الحق من امتناع الشاهد عن الحضور إلى المحكمة لأداء ما لديه من شهادة ، لأن حضوره يأخذ من وقته وعمله ـ يضع المدعى مبلغا من المال لدى المحكمة ليكون تحت يد الشاهد إن شاء أخذه ، وإن شاء أعاده إلى المشهود له ، وفى حالة امتناع الشاهد عن الحضور والادلاء بشهادته عوقب على ذلك لأنه يعد فى نظر المحكمة كاتما للشهادة .

وسأل المحامى ـ فى ختام كلمته ـ : ما رأى علمائنا فى الأخذ بهذا الأسلوب فى تكليف الشهود بالحضور إلى المحاكم لأداء الشهادة مع ضمان ما يستحقون من أجر فى مقابل تعطيلهم عن أعمالهم التجارية أو وظائفهم الإدارية ؟

فأحببت أن أعالج هذا الأمر هنا لأنه يتصل بدراساتى القرآنية .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ [1]

﴿ولا تكتموا الشهادة . ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ [2]

﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ [3]

﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ [4]

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط﴾ [5]

---

(١) سورة البقرة ٢٨٢ . (٢) سورة البقرة ٢٨٣ .

(٣) سورة الطلاق ٢ . (٤) سورة البقرة ٢٨٢ . (٥) سورة المائدة ٨ .

وفى ختام حديثنا عن (الشهادة) وكونها (أمانةً) فى عُنُقِ الشاهد يجب عليه أداؤها ، وبخاصة إذا لم يكن هناك شاهد غيره ، وكان فى عدم أدائها منه مضرة على المشهود له أو ضياع دين أو نسب أو غيره من الحقوق ـ فى ختام هذا الحديث نحب أن نقتبس من بحث لفضيلة الشيخ محمد الغزالى تحدث فيه عن قوله عز وجل : ﴿**والذين هم بشهاداتهم قائمون**﴾[1] .

وقد جاءت هذه الآية وصفا من أوصاف المؤمنين الذين استثناهم الله من قوله تبارك وتعالى : ﴿**إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا ـ إلا المصلين**﴾ إلى آخر الآيات التى عددت صفات المؤمنين الصالحين الذين برأهم الله من الهلع ومنع الخير..

يقول الأستاذ الغزالى ما خلاصته : إن الإنسان المسلم يجب أن يكون مستعدا دائما لأداء الشهادة على وجهها ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويدعم العدالة والقيام بالشهادة يشمل الادلاء بالرأى الصحيح والقول الرجيح .. دون أن يخاف على مستقبله ، أو يحابى قريبا ، أو يطمع فى مال ، أو يتطلع إلى منصب . إن المجتمع الإسلامى يسقط مع اختفاء الذين هم يشهاداتهم قائمون . وكم رأينا من أناس قُدِّموا وحقهم التأخير ، أو أخِّروا وحقهم التقديم .. لأن المؤمنين ليسوا بشهاداتهم قائمين ، والشهادة بداهة ليست ما يقال أمام المحاكم فقط .. بل هى كل ما يقال فى كل خلاف ، أو مشورة ، أو انتخاب ، أو أى شأن ذى بال .

---

(١) سورة المعارج ٣٣ .

يدعوهما للكتابة أو الشهادة بأن يمتنعا عنهما .

كما جاء فى كتاب الشرح الكبير للإمام شمس الدين بن قدامة : (مسألة قال الخرقى : ومن لزمته الشهادة فعليه أن يقوم بها على القريب والبعيد لا يسعه التخلف عن إقامتها وهو قادر على ذلك) ثم قال المؤلف فى ختام شرحه : لأن الشهادة أمانة فلزمه أداؤها كالوديعة[1] .

ولا نطيل فى الحديث عن كون (الشهادة) تحملا وأداء : أمانة يجب القيام بها ، ونكتفى بما نقلناه باختصار عن كتابى (المغنى والشرح الكبير) .

ونضيف إلى ما تقدم الاجابة على سؤال المحامى عن أخذ الشاهد أجرة على أداء الشهادة إذا كان يتضرر من الانقطاع لأدائها عن عمله أو تجارته أو وظيفته ..

ونبحث فى المرجعين السابقين فنجدهما متفقين على القول : بأنه لا يجوز لمن تعينت عليه الشهادة ـ أخذ الأجرة عليها إذا كانت له كفاية . أى مستغنيا عنها . إما إذا لم تكن له كفاية حل له أخذ الجعل ، لأن النفقة على عياله فرض عين فلا يشتغل عنه بفرض الكفاية[2] .

قلت إذن هذا الأسلوب الذى تتبعه المحاكم فى البلاد الأخرى يتفق مع فقه الشريعة الإسلامية الذى يجيز للشاهد أن يأخذ أجرةً على شهادته إذا كان محتاجًا إليها أو كانت الأجرة تعويضًا لما يخسره من دخله أو كسبه أو وظيفته .

---

(١) ص ٨ جـ ١٢ .

(٢) ص ٥ جـ ١٢ .

أمرهما بما قاله .. لا من باب التأويل لرؤياهما .

ونرى أن صاحب المنار رحمه الله ـ قد تكلف وتعسف فى تفسير ما جاء فى قصة يوسف عليه السلام فى موضوع تأويله لرؤيا رفيقه فى السجن ـ حتى تجاوز المفهوم الظاهر الواضح إلى مفهوم بعيد ، وغير سديد ..

أولاً ـ قصر المؤلف معنى (الاستفتاء) فى اللغة على السؤال عن المشكل المجهول من الأنباء والأحكام دون الرؤى والأحلام ـ وقد فعل ذلك تمهيدًا ليقول رأيه بأن يوسف لم يعبر رؤيا رفيقيه ، وإنما أخبرهما بما حكم عليهما سيدهما .. من قبيل العلم بالغيب مما علمه الله إياه .

والواقع أن (الاستفتاء) يشمل السؤال عن الأحكام والرؤى والأحلام جميعا ، والقرآن الكريم هو مرجعنا الأول والأمثل والأفضل ـ قبل قواعد اللغة ومعروفها ومنكرها أو شاذها .

فالقرآن استعمل الاستفتاء بمعنى السؤال ـ مجرد السؤال ـ لا عن نبأ ولا عن حكم ـ فى قوله عز وجل : ﴿**فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون**﴾[(١)] .

كما استعمل القرآن الاستفتاء بمعنى السؤال عن الحكم الشرعى فى قوله تبارك وتعالى ﴿**ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن ..**﴾[(٢)]

ـ واستعمله بمعنى السؤال عن الرؤيا فى قوله عز وجل حكاية

---

(١) سورة الصافات ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٢) سورة النساء ١٢٧ .

وبعد .. فهذا ما أحببنا أن نجيب به على سؤال المحامى الفاضل عن (الشهادة) ووجوب تحملها وأدائها على الشاهد ، وجواز أخذ الأجرة عليها إذا كان محتاجا إليها[1] والله الموفق والمستعان .

الرؤيا الصادقة .. وأضغاث الأحلام
واختصاص يوسف عليه السلام بتأويلها

يقص علينا القرآن الكريم قصة نبى الله يوسف عليه السلام فى سورة طويلة سميت باسمه ، وكانت خاصة به من بدايتها إلى نهايتها ما عدا آيات قليلات فى ختام السورة .. جاءت تسلية وتعزية لرسولنا محمد ﷺ فيما يلقاه من قومه المعارضين لدعوته . فهذا هو شأن الرسل جميعا مع أقوامهم ، وهذه هى سنة الله فى أخذ الأمم المُكذّبة لرسالاته .

ويهمنا من قصة سيدنا يوسف ـ هنا فى هذه الدراسة ـ ما قرأناه فى بعض صحفنا نقلا عن تفسير المنار ـ من قول المؤلف رحمه الله .

● الاستفتاء فى اللغة هو السؤال عن المشكل المجهول ، والفتوى هى جوابه سواء أكان نبأ أم حكما ..

● وإن هذه الفتوى من يوسف زائدة على ما عبر به رؤياهما داخلة فى قسم المكاشفة ونبأ الغيب مما علّمه الله تعالى ، وجعله آية له .

● وإن معنى الفتوى إنه علم بوحى ربه إن الملك قد حكم فى

---

(١) نشر مقال الأستاذ سمير شما فى جريدة المدينة ٩/٤/٩٧هـ .

الرأى أيضا .

ثانيا ـ لماذا يتكلف المؤلف رحمه الله فيرى أن إجابة يوسف عليه السلام على سؤال رفيقيه فى السجن عن تأويل رؤياهما كانت من قبيل الإخبار بالغيب ، وليست تعبيرًا للرؤيا ؟

مع أن قصة يوسف التى يقصها القرآن الكريم تبدأ برؤيا يوسف فى المنام : ﴿**يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين**﴾ وتنتهى القصة بتأويل الرؤيا نفسها : ﴿**يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا**﴾ وخلال القصة يمنُّ الله عز وجل على يوسف بقوله : ﴿**وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض . ولنعلمه من تأويل الأحاديث**﴾ كما نجد يوسف نفسه فى ختام القصة يحمد الله على ما أنعم به عليه من الملك ومن تأويل الرؤى فى قوله : ﴿**فاطر السموات والأرض ، أنت وليىَ فى الدنيا والآخرة ..**﴾ .

وفى بداية قصة يوسف نرى أنه عندما تحدث برؤياه إلى أبيه نصحه بكتمان خبرها عن إخوته لئلا يكيدوا له ، وتنبأ له بأن الله عز وجل سوف يجتبيه ويعلمه من تأويل الرؤى : ﴿**وكذلك يجتبيك ربك ، ويعلمك من تأويل الأحاديث**﴾ .

إن الله تبارك وتعالى ـ كما نعلم من سير الأنبياء التى حدثنا عنها القرآن الكريم ـ قد اختص كل نبى باختصاص أو معجزة لا يشاركه فيها نبى آخر ، فعيسى مثلا : اختص بإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وموسى اختص بأنه كليم الله دون الأنبياء جميعًا إلى جانب ما أوتى من قوة جسدية ظاهرة باهرة فى قضائه على القبطى

عن يوسف : ﴿**قُضِيَ الأمر الذى فيه تستفتيان**﴾[1] .

ـ واستعمله بمعنى السؤال عن الرأى وطلب الشورى فى قوله عن ملكة سبأ : ﴿**قالت يا أيها الملأ .. أفتونى فى أمرى ، ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون**﴾[2] .

ـ ولو أن كلمة (الفتوى) أو (الاستفتاء) وردتا فى حوار يوسف مع رفيقيه فى السجن فحسب ـ لكان هناك عذر للمؤلف فى أن يؤول ذلك بمعنى إخبار بالغيب ، لا بمعنى تعبير الرؤيا ـ بوصف يوسف عليه السلام نبيا ورسولا اختاره الله وعلمه مما يشاء .

ولكن الكلمة أو بعض مشتقاتها (كأفتونى ـ وأفتنا) وردت فى كلام العزيز ثم فى كلام أحد رفيقى يوسف فى السجن ، بعد أن نجا وعاد إلى خدمة سيده ـ يقول تبارك وتعالى حكاية عن عزيز مصر : ﴿**وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون**﴾[3] كما يقول عز وجل حكاية عن رفيق يوسف فى السجن : ﴿**يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف**﴾[4] إلى آخر الآية أو آخر الرؤيا التى سبق ذكرها فى سؤال الملك لوزرائه .

إذن فالاستفتاء والفتوى ليسا خاصين بالسؤال عن الأنباء والأحكام .. بل يعنيان ـ فى الأساس ـ مجرد السؤال عن أى شىء ، ومن ذلك السؤال عن النبأ أو الحكم أو الرؤيا بل حتى عن

---

(١) سورة يوسف ٤١ .　　(٢) سورة النمل ٣٢ .
(٣) سورة يوسف ٤٣ .　　(٤) سورة يوسف ٤٦ .

وأجاب : « هذا ما يبحثه علماء النفس فى الوقت الحاضر عن طريق تحليل حياة بعض الناس الذين شاهدوا فى أحلامهم ما حل بهم فى مستقبل حياتهم ، وتنبأوا سلفا بما وقع لهم من أحداث باليوم والساعة » .

ثم أضاف : « ولكن العلماء لم يتمكنوا حتى هذه اللحظة من فك رموز هذه الصلة وأسرارها . على أن الأديان السماوية صريحة فى أن الله سبحانه وتعالى هو وحده علاّم الغيوب ، فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول ، وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ــ وحسب المؤمن فى ذلك الآية الفذة الصريحة : ﴿**إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير**﴾ .

وهكذا انتهى الأستاذ « البير عمون » هذه النهاية التى ليست ذات قرار مكين فى قضية الأحلام ــ بقوله : إن علماء النفس لم يتمكنوا حتى هذه اللحظة من فك رموزها وأسرارها وإن علم الغيب لله وحده .. ثم لمن شاء أن يطلعه من رسله على شيء منه ! ! .

● ● ●

وهى فرصة يتيحها الأستاذ عمون لأشاركه الحديث عن (الأحلام) صادقها وكاذبها ، وأدلى بما عندى فى قضيتها ــ يقول تبارك وتعالى :

﴿**وقال الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وأخر يابسات ، يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون ــ قالوا أضغاث أحلام ،**

بوكزة واحدة غير مقصودة ـ وسليمان اوتى مُلْكًا فريدًا ، وسُخِّرت له الريح كما سخرت له الجن والشياطين يطيعونه ويخدمونه .

وهذا يوسف اختص بتأويل الأحلام ، وعرف بذلك فى نفسه ، وفى أحلام رفيقيه فى السجن ، وفى رؤيا ملك مصر ، وأكد القرآن اختصاصه بهذه المعجزة دون الأنبياء جميعًا .

وإذن فليس جواب يوسف لرفيقيه فى السجن عن تأويل رؤياهما إخبارًا بالغيب عما قضى به الملك عليهما من نجاة أحدهما وهلاك الآخر ، وإنما هو تأويل أو تعبير للرؤيا استنباطا من أحداث الرؤيا .. وهى كون الأول ﴿**يعصر خمرا**﴾ ففيها إشارة إلى عودته إلى خدمة سيده ، وكون الثانى ﴿**يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه**﴾ ففيها إشارة إلى هلاكه ، وأكل الطير من رأسه .

وكذلك تأويله ـ عليه السلام ـ لرؤيا الملك : هو من قبيل تعبير الرؤى ، وتفسير الأحلام ، ليس من قبيل الانباء بالغيب لأن أحداث الرؤيا تشير إلى هذا التأويل وهى السبع البقرات العجاف اللاتى يأكلن سبع بقرات سمان ، والسبع سنبلات الخضر والأخر اليابسات .

● ● ●

وبهذه المناسبة نعقب على ماكتب الأستاذ البير عمون ـ فى المجلة العربية الصادرة يوم ١٣٩٩/٢/١٥هـ مقالا ذكر فيه « بعض القصص المستمدة من التاريخ عن أحداث بدأت فى عالم الحلم والخيال ، ثم انتقلت إلى دنيا الحقيقة والواقع » .

ثم سأل الأستاذ عمون : « فما هى الصلة التى تجمع الحلم بالحقيقة ، وتربط الخيال بالواقع » .

وقد أكدت السورة ذلك أثناء سرد القصة فى قوله عز وجل : **﴿وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض .. ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾** وفى قوله أيضا حكاية عن يوسف **﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث﴾** .

* ثانيا ـ فى سورة الفتح يقول الله تبارك وتعالى : **﴿لقد صدق رسوله الرؤيا بالحق .. لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾** وذلك فيما يتعلق بعودة الرسول ﷺ إلى مكة المكرمة فاتحا منتصرا على أعدائه ومعارضيه .

* ثالثا ـ يقول ﷺ (**الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ـ ومن رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتى**) . ونقف هنا قليلا عند هذا الحديث الذى رواه الشيخان وأحمد وابن ماجة ـ على اختلاف فى العدد واللفظ ـ وننقل رأى ابن خلدون فى تأويله : بأن معناه بيان الفرق بين الاستعداد البشرى العام لمطالعة الحقائق الغيبية فى لمحة تتجرد فيها النفس الناطقة عن المواد الجسمانية بالنوم .. وبين الاستعداد النبوى الخاص لمطالعة تلك الحقائق بالانسلاخ عن حال البشرية إلى حال الملكية عند الوحى فى النوم أو اليقظة .. وإن نسبة ذلك الاستعداد البعيد إلى هذا الاستعداد القريب كنسبة واحد إلى ستة وأربعين .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز تعقيبًا على الحديث النبوى ورأى ابن خلدون حوله : إن هذا خاص برؤيا الصالحين .. مخالفا بذلك رأى ابن خلدون الذى يرى أن ذلك عام لسائر الخلق .

ويضيف الدكتور دراز : أن معنى ذلك أن من أوتى من المؤمنين

وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ .

ـ قلت : إن كلمة « أضغاث » معناها أخلاط ، وأضغاث أحلام .. أى أخلاط من الرؤى يراها النائم نتيجة لاحساسه بقلق نفسى أو تعب عصبى ، أو وساوس شيطانية ـ والإمام ابن سينا يتحدث عن الرؤى الصادقة وعن أضغاث الأحلام ، فيقول إن هناك نوعًا من الأحلام ينشأ من اتصال النفس بالملكوت الأعلى .. حيث تتلقى النفس الإلهام من العقل الفعال ، ويكون ذلك بمثابة الإنذار أو الاخبار بما سيكون وهذه هى الرؤيا الصادقة .

أما لأحلام الناشئة عن الاحساسات البدنية فهى أضغاث أحلام ـ أى رؤى كاذبة » .

إن هذا الذى يقوله ابن سينا هو الحقيقة والواقع .. علميًا ودينيا أيضا . ولو رجعنا إلى القرآن الكريم ، وإلى الحديث النبوى ، وإلى ماكتبه العلماء المسلمون عن الأحلام وتأويلها أو تعبيرها ـ لوجدنا أن كلام ابن سينا عن الرؤيا الصادقة صحيح وأن البرهان عليه قائم ، وأن التجارب الإنسانية قد أكدته :

* أولا ـ قصة سيدنا يوسف عليه السلام .. وفى مقدمتها أن الله عز وجل اختصه بتأويل الرؤى . وهو نفسه بدأت حياته برؤيا صادقة إذ رأى فى منامه أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له ، وتحققت رؤياه فى آخر حياته ـ كما فسر رؤى رفيقيه فى السجن وتحقق تفسيره ، وفسر كذلك رؤيا ملك مصر ، وتحقق تفسيرها أيضًا ، ومن أجل ذلك أحبه الملك وولاه خزائن الدولة المصرية آنذاك .

وكان هذا الاختلاف فى تعبير رؤيا كل منهما ــ مع اتفاقهما ــ بناء على ملاحظة ابن سيرين لحالة كل منهما وسلوكه واستنباطاً من آيتين قرآنيتين ورد «الأذان» بلفظ واحد ولكن موضع كل منهما مختلف عن الآخر .. الآية الأولى هى قوله عز وجل لإبراهيم عليه السلام : ﴿**وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق.**﴾ ــ والآية الثانية هى قوله تبارك وتعالى : ﴿**ثم أذَّن مؤذن ايتها العير إنكم لسارقون**﴾ .

وهناك بعض الكتاب الذين ينكرون وقوع الرؤيا الصادقة ، أو يزعمون أنها لا يمكن البرهنة على حقيقتها ويكفى ما قدمناه من براهين قرآنية ونبوية لاثبات أن الرؤيا الصادقة حقيقة علمية ودينية .. أثبتتها التجارب الإنسانية ، وأكدها القرآن الكريم والحديث النبوى .

أيام الله .. وأيام البشر؟؟

اتيحت لى فرصة مطالعة كتاب أصدره الدكتور عماد الدين خليل مشتملاً على تأملات للمؤلف لبعض موضوعات قرآنية ..

إن هذا الكتاب (مع القرآن فى عالمه الرحيب) كتاب قيم ، وموضوعاته مهمة ، والأفكار المطروحة فيه رائعة ــ تصدى فيه المؤلف الدكتور عماد الدين خليل لقضية الإيمان (بالغيب) وأهميته ــ والقرآن والبعد الزمنى ــ والآفاق التربوية ــ والعبادات الإسلامية ــ وعالم الحيوان فى كتاب الله ــ وعالم النبات أيضاً ..

وسأتناول ــ فى البداية ــ قضية البُعد الزمنى فى القرآن حيث

حظه من صدق الرؤيا كأنما أوتى حظًا من النبوة ـ ولا يعنى ذلك أن كل من صدقت رؤياه ولو كان فاسقا أو كافرا كان كذلك .

وفى الحديث النبوى أيضا : (**إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به ، وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر ، وليتفل عن يساره ثلاثا ، وليستعذ بالله من شرها ولا يحدث بها أحدا .. فإنها لن تضره**) وفيه أيضا (**الرؤيا على رِجْل طائر ما لم تعبر .. فإذا عبرت وقعت**) .

* رابعا ـ أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى : رأى فى منامه ملك الموت يشير له بكفه باسطا أصابعها الخمس .. وكان أبو جعفر يحدث نفسه أو يريد أن يعرف متى ينتهى أجله ؟ فكانت هذه الرؤيا جوابا عن سؤاله أو حديث نفسه ، ولم يعرف تأويلها .. وقال : هل تعنى إشارة الكف المبسوطة بأصابعها الخمس أنه يموت بعد خمسة أيام أو خمسة أشهر أو خمس سنوات ، وبعث من يسأل الإمام مالك عن تأويل رؤياه ـ ففسرها له بأنها إشارة إلى أن معرفة الأجل من اختصاص الله عز وجل .. أى من الغيوب الخمسة التى تضمنها الآية الكريمة ﴿**إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت .. إن الله عليم خبير**﴾ .

● خامساً : أن الإمام ابن سيرين ألف كتاباً عن تفسير الأحلام ومن أمثلته : أنه فسر لرجلين رأيا رؤيا واحدة تفسيرين متضادين ، رأى كل منهما أنه يؤذن الأذان المعروف فقال لأحدهما : إنه سيحج بيت الله الحرام ، وقال للآخر : أنه ستقطع يده .

السماوات والأرض ـ الذى هو أكبر من خلق الناس ـ وهو تبارك وتعالى الذى خلق هذا الكون العظيم بكل أرجائه وطبقاته فى ستة أيام .. فالمقام استنكار لكفر الكفار وشرك المشركين ، وإلحاد الملحدين ، مع الاستدلال بالقدرة الإلهية المتمثلة فى قوله : ﴿**كن فيكون**﴾ .

لذلك أرَجِّح أن تكون الأيام أيام الدنيا المعروفة ، لا الأيام الكونية .. التى يقدَّر كل يوم منها بألف سنة ـ وكذلك قوله فى سورة الرحمن : ﴿**كل يوم هو فى شأن**﴾ أى فى كل يوم بالحساب البشرى يميت من يشاء ، ويحيى من يشاء ، ويمرض هذا ، ويشفى ذاك ، ويحرم إنساناً ويرزق آخر ، وتذهب دولة ، وتقوم أخرى ، ويرسل الصواعق ، ويفجر الزلازل ، فيصيب بها من يشاء ويصرفها عمن يشاء .

فإرادة اليوم الدنيوى ـ أو البشرى ـ أبلغ فى بيان القدرة الإلهية ، والإعجاز الكونى .

على أن (اليوم الكونى) عندما يذكر فى القرآن يرد مقترناً بما يدل عليه كقوله عز وجل : ﴿**إنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً**﴾ أى الكفار الذين يكذِّبون بيوم الدين ، يوم الحساب والجزاء على الأعمال ـ يرون هذا اليوم بعيداً ولكنه فى علم الله وحسابه الكونى قريب ..

وقد ورد هذا التوجيه الإلهى إلى هذا المعنى أو هذه الحقيقة الكونية فى قوله تبارك وتعالى : ﴿**ويستعجلونك بالعذاب .. ولن يُخلف الله وعده ـ وان يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدُّون**﴾ .

أورد المؤلف الفاضل هذه الآيات القرآنية ـ من سورة فصِّلت ـ **﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون له أنداداً .. ذلك رب العالمين ـ وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها ، وقدَّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ـ ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً .. قالتا أتينا طائعين ـ فقضاهنَّ سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها﴾** (١)

ثم أردف قوله : «ولنا أن نتصور لا بحسابنا الأرضى ولكن بحساب المطلقات القرآنية : الأمداء الزمانية لهذه الأيام الست ـ صوابها الستة ـ التى صمم الله فيها سبحانه بناء السماوات والأرض ، وأعدَّ كرتنا الأرضية لاستقبال الحياة ..»

وأضاف : «ولنا أن نتصوَّر بعد هذا .. ماذا تريد أن تقول لنا هذه الآية : **﴿يسأله من فى السموات والأرض ، كل يوم هو فى شان ..﴾** كل يوم ؟ وأى يوم ؟ انه ذلك اليوم الذى قلنا إنه قال ربما يبلغ (١٨,٢٥٠,٠٠٠) يوماً من أيامنا :

● قلت : وفى رأيى أن الله عز وجل يخاطب البشر بما يعرفون ويدركون .. أى أنه يعنى باليومين ، والأربعة ، والستة : أيام الدنيا ـ لأنه تبارك تعالى فى حديثه عن خلق السماوات والأرض إنما يستنكر على المشركين أن يشركوا به غيره من خلقه ، وعلى الكفار أن يكفروا به إلهاً خالقاً ورازقاً وقادراً على كل شىء ..

يستنكر عليهم كفرهم وشركهم وغفلتهم عما يرون من خلق

● أقول ذلك : معقِّباً على الدكتور عماد الدين خليل ـ وأنا أعلم اختلاف المفسرين القدامى والمحدثين على تفسير الأيام الستة لخلق السماوات والأرض بين القول بأنها مثل أيام الدنيا ، والقول بأنها كأيام الآخرة أى أن اليوم بألف سنة ..

وقد تكرَّر إيراد الحديث النبوى الذى يرويه الإمام مسلم ـ فى هذه التفاسير ـ بياناً لهذه الأيام الستة بأنها أيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ـ أما السبت فلم يكن فيه شىء ، ولذلك سُمِّى (سبتاً) أى انقطاعاً عن العمل ..

واختار الأستاذ سيد قطب ـ صاحب ظلال القرآن ـ رحمه الله ـ وهو من المفسرين العصريين القول : بأن ذلك (غيب) من الغيوب التى يجب الإيمان بها دون سؤال أو بحث عن مقدار اليوم هل هو يوم «دنيوى» أم يوم كونى !؟

ومع ما قاله القدامى والمحدثون من علماء التفسير ـ فالرأى عندى ما أسلفت من أن الأيام الستة هى كأيام الدنيا ، وكذلك ما جاء فى سورة الرحمن : **﴿كل يوم هو فى شأن﴾** .

ويؤيد وجهة نظرى فيما ذهبت إليه قوله عز وجل فى سورة (ق) : **﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض . وما بينهما فى ستة أيام ـ وما مسنا من لغوب﴾** أى من تعب أو نصب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ولذلك استبعد أن يكون مقدار اليوم الواحد من الأيام الستة ألف سنة ، فيكون خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة آلاف سنة ؟؟

ودارس القرآن ـ كما نرى ـ ينبغى له أن يربط بين الآيات

المتشابهة .. ولو ربط المفسرون القدامى والعصريون بين هذه الآية ، وآية (ق) وآية (الزمر) : ﴿**لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس**﴾ والآيات الأخيرة من سورة (يس)

وهى قوله عز وجل : ﴿**وضرب لنا مثلاً ، ونسى خلقه ـ قال من يُحيى العظام وهى رميم ! قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ـ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ـ أوليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ! بلى .. وهو الخلاق العليم ـ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ـ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون**﴾ .

● نقول : لو أن المفسرين القدامى والمعاصرين ربطوا بين هذه الآيات وأمثالها فى القرآن الكريم لأدركوا أن الأيام الستة التى خلق الله فيها السماوات والأرض هى كأيام الدنيا .. وليست أياماً كونية لأن اعتبارها كتلك ليس فيه بيان وتأكيد لقدرة الله المتمثلة فى قوله للشيء : ﴿**كن فيكون**﴾ .

أجســـاد الأنبياء

وفى ص ١٨٨ بقية من حديث عن سيدنا سليمان عليه السلام كنبى سخر الله له طاقات من الجن والطير والريح لخدمته ـ وفى بعض سطوره جاءت هذه الجملة : (إن الرجل النبى الذى سخرت

له طاقات العالم ينتهى به الأمر إلى الموت .. ثم ما تلبث الديدان أقذر الحشرات واحطها أن تأكل منه ..)

وتكرر هذا القول فى (ص : ٢٣٠) من كتابه الثانى (آفاق اسلامية) ..

ـ قلت : أن الآية التى جاء فيها ذكر موت سيدنا سليمان عليه السلام هى قوله عزّ وجلّ : ﴿**ما دلهم على موته إلّا دابة الأرض تأكل منسأته . فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين**﴾ ..

أى أنه توفى وهو جالس على عرشه ـ متوكئاً على عصاه ، وظل هكذا ، وظل الجن يعملون له فيما سخرهم فيه ، دون أن يتبينوا موته .. حتى أكلت الديدان عصاه ، فخر إلى الأرض .

فالديدان لم تأكل من جسده .. وإنما أكلت من عصاه . لأن الأنبياء أجسادهم محرمة على الأرض وحشراتها أن تأكل منها .

نزول الغيث بين القانون الطبيعى والارادة الإلّهية ؟؟

استمعت صباح الأربعاء ١٤٠٢/١٢/١٢هـ ـ إلى عرض علمى فى التلفاز السعودى لتكوّن السحاب ثم تحوّله إلى مطر ينزل من السماء لسقيا الإنسان والحيوان والنبات .

وقد مهّد مقدِّم المشهد لحديثه بمقدمة وجيزة عن عقيدة سابقة يعتقدها الأقدمون عن أسباب نزول المطر من السماء ـ وهى أن

نزول المطر وامتناعه يرتبطان أو يترتبان على رضا الله عز وجل عن الناس ، أو على سخطه عليهم ، فإذا رضى تبارك وتعالى أنزل عليهم الغيث وإذا غضب منعه عنهم .

ثم عقَّب مقدِّم البرنامج على ذلك : بأن هذا اعتقاد باطل ، وأن نزول المطر إنما يخضع للقانون الطبيعى من تبخر البحار حيث يتكون السحاب ثم ينزل الغيث الخ .

ومع اعترافنا بأن شئون الكون كله من بحار وجبال ، وشمس وقمر وكواكب ، وتقلبات أحوال الأرض والسماء وحياة الإنسان والحيوان والنبات جميع هذه المخلوقات ـ تخضع لقوانين طبيعية سنها الخالق القادر المدبر .. الّا أن ارادة الله تبارك وتعالى ومشيئته قبل هذه القوانين الطبيعية وفوقها ، فالله عز وجل لا تتقيَّد إرادته ومشيئته بما خلق من قوانين وما وضع من سنن : ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً : أن يقول له كن فيكون**﴾[1] .

● وبالنسبة لموضوع المطر أو الغيث .. فصحيح أن العلم الحديث ـ كما ذكر مقدم البرنامج ـ قد اكتشف حقيقة تكوُّن المطر على النحو المعروف ـ الذى أشار إليه .

● ولكن هذه الحقيقة العلمية لا تعنى أن المطر أو الغيث يتكوَّن أو ينزل من السماء بغير إرادة الله ومشيئته ، وأن القانون الطبيعى وحده هو المتحكِّم فى نزوله أو امتناعه .

وعقيدة المسلم فى كون الله عز وجل هو الفعَّال الحقيقى لما

---

(١) سورة ياسين ٨٢ .

يريد .. وأن نزول المطر يتأثر برضاه تبارك وتعالى وسخطه ـ هذه الحقيقة صحيحة أيضاً .

والقرآن الكريم نفسه سبق إلى تقرير هذه الحقيقة العلمية ، إلى جانب تقريره لحقيقة تعلّقها وارتباطها بالإرادة الإلّهية المطلقة .

يقول الله عز وجل **﴿الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً ، فيبسطه فى السماء كيف يشاء ـ ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله ـ فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾**(١)

ويقول تبارك وتعالى : **﴿ألم تر أن الله يزجى سحاباً ، ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاماً ، فترى الودق يخرج من خلاله ـ وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ـ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ـ يقلب الله الليل والنهار ـ إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾**(٢)

وقد تكرر هذا المعنى فى آيات أخرى من القرآن ـ لا نريد الإطالة بسردها ـ وهى تؤكد حقيقتين كما أسلفنا : حقيقة تكوُّن المطر طبيعياً بما يتفق مع اكتشافات العلم الحديث ، وحقيقة ارتباط ذلك بالإرادة الإلّهية .

فالله عز وجل يقرِّر بمنتهى الصراحة والوضاحة أنه هو وحده بعد أن يتكون الغيث من تراكم السحاب المتصاعد أساساً من تبخُّر مياه البحار والمحيطات ـ يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء .

وجاء فى الحديث الصحيح : أن مفاتح الغيب خمسة أوضحتها

---

(١) سورة الروم ٤٨ .

(٢) سورة النور ٤٣ و ٤٤ .

الآية القرآنية : ﴿**إن الله عنده علم الساعة ـ وينزِّل الغيث ـ ويعلم ما فى الأرحام ـ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ـ وما تدرى نفس بأى أرضٍ تموت ـ إن الله عليم خبير**﴾[1] .

ويؤكد حقيقة الإرادة الإلٓهية فى نزول الغيث أو عدمه وفى تعلُّقه برضا الرب وسخطه قوله تبارك وتعالى ﴿**ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً**﴾[2] أى تخويفاً من غضبه ، وتطميعاً فى رحمته .

كما يؤكد غلبة حقيقة الإرادة الإلٓهية على الحقيقة العلمية ، أو إبطالها للقانون الطبيعى ـ ما قصة القرآن علينا من موقف (عاد) قوم هود عليه السلام حين كفروا برسالة نبيهم ، وتحدوه بأن يرسل عليهم العذاب الذى تَوعَّدهم به ﴿**فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارضٌ ممطرنا ـ بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذاب أليم**﴾[3] أى أنهم رأوا احتجاب الشمس ، وانتشار السحاب . وهبوب الرياح ـ وهى علامات نزول المطر ومقدماته ـ فأيقنوا بنزوله حتى قالوا : ﴿**هذا عارضٌ ممطرنا**﴾ .

ولكن حقيقة الإرادة الإلٓهية غلبت أو سبقت حقيقة القانون الطبيعى ، الذى هو أساسٌ من تدبير الارادة الإلٓهية وجزءٌ منها ـ فتحوَّلت المطر إلى ريح فيها عذاب أليم : ﴿**تدمِّر كل شيءٍ بأمر ربها ـ فأصبحوا لا يرى إلَّا مساكنهم ـ كذلك نجزى القوم المجرمين**﴾ .

وفى الحديث الذى يرويه الطبرانى وغيره عن ابن عباس رضى

---

(١) سورة لقمان ٣٤ .　　(٢) سورة الروم ٢٤ .

(٣) سورة الأحقاف ٢٤ .

الله عنهما أن النبى ﷺ قال : **(ما طفّف قوم كيلاً ولا بخسوا ميزاناً إلّا منعوا القطر ـ أى الغيث ـ وما ظهر فى قوم الربا إلّا ظهر فيهم الموت ـ وما ظهر فى قوم الزنا إلّا سلّط الله عليهم الجنون ـ ولا ظهر فى قوم القتل ـ إى ظلماً وعدواناً ـ إلّا سلط عليهم عدوهم ـ ولا ظهر فى قوم عمل قوم لوط إلّا ظهر فيهم الخسف ـ وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلّا لم ترفع أعمالهم ولم يسمع دعاؤهم)** .

وواقع الأحداث فى المجتمعات الإنسانية عامة ـ والاسلامية بصفة خاصة ـ مصداق واضح وأكيد لهذا الوعيد النبوى المنذر بألوان من العذاب للأمم التى ترتكب هذه القبائح والمنكرات .

وبعد .. فينبغى أن تكون هناك مراقبة واعية لما يعرض فى التلفزيون من برامج أو أحاديث عن اكتشافات أو نظريات للعلم الحديث .. لأنها مع ما تتضمنه من حقائق علمية قد لا تخلو من انحرافات عقائدية ربما خفيت على معظم المشاهدين لهذه الأحاديث والبرامج . وبخاصة الشباب من الجنسين .

والله المستعان على تحقيق ما يرضيه من علم نافع ، وعمل صالح ، وإيمان وثيق .

وكل فى فلك يسبحون

تلقيت من أحد القراء الأفاضل رسالة يقول فيها : إن بعض العلماء المنسوبين إلى الإسلام يريدون أن ينسخوا الآيات القرآنية بالعلوم الكونية ، فالقرآن الكريم يذكر فى عدّة آيات أن الشمس

تجرى .. وهؤلاء يقولون : إن الشمس واقفة ، والأرض تدور حولها . وقد استمعت لمتحدث فى الإذاعة وهو عالم كبير يشرح حديث البخارى عن حبس الشمس ليوشع عليه السلام ، فذكر أن ابن حجر أورد فى هذا الحديث ثلاثة أقوال أحدها : أنها رجعت إلى الوراء ـ والثانى : أنها وقفت ـ والثالث : أنها أبطأت فى سيرها حتى فتحت القرية ، ثم عقَّب المتحدث على ذلك بأنه يميل إلى الرأى الأخير وقال : إن العلوم الكونية أثبتت أن الشمس ثابتة ، وأن الأرض هى التى تدور حول الشمس ـ فما رأيك أيها الأستاذ فى هؤلاء العلماء الذين بلبلوا أفكار الناس ، وأتوا بهذا التقليد الأعمى للأفرنج فى نظرياتهم ، بدون تروّ ولا تفكير ! أرجو أن تتحدث فى هذا الموضوع أدام الله توفيقك للدفاع عن دين الله ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[١] .

● أقول للقارىء الفاضل :

منذ بضعة أشهر قرأت بحثاً لعالم غربى نسيت اسمه الآن ـ يعارض فيه القول بثبات الشمس ودوران الأرض ، ويقول : إنَّ الشمس جارية وليست ثابتة ، وأرجو أن أجد قريباً مرجع هذا البحث واسم العالم الغربى .. بعون الله وتوفيقه .

ورأيى الخاص ـ فى هذه المسألة ـ أن المسلم ملزم بتصديق ما ثبت فى القرآن والحديث النبوى ، وعدم التصديق بما يخالفه ، ومهما قيل من أقوال العلماء وآرائهم ونظرياتهم ، ومهما اجمعوا على أمر

---

(١) كاتب الرسالة هو فضيلة الشيخ محمد عمر عبد الهادى مدير دار الحديث بمكة المكرمة والمتحدث فى الإذاعة هو الدكتور أبو شهبة ـ رحمه الله ـ .

جاء فى القرآن أو الحديث النبوى الصحيح نقيضه فنحن المسلمين ملزمون برفض ما قاله أو يقوله العلماء .. لأنهم ـ أولاً ـ بشر يصيبون ويخطئون ، وثانياً ـ لأن النظريات العلمية خلال القرنين الماضيين لم تثبت على مبدأ أو رأى واحد .. بل تعارضت وتناقضت ، ولا تزال تتعارض وتتناقض . وثالثاً ـ لأن قول الله وقول الرسول ﷺ هما الحق والصدق والصواب .

على أن حركة الأرض أو دورانها لا تنفى حركة الشمس أو جريانها فقد يكون لكل منهما ثبات داخلى وحركة خارجية . كذلك حركة الشمس أو جريانها الذى أثبته القرآن فى قوله عز وجل : ﴿**والشمس تجرى لمستقر لها**﴾[1] لا يعارض حركة الأرض أو دورانها ، فكل من الأرض والشمس والقمر وبقية الأجرام السماوية كما قال القرآن نفسه : ﴿**وكل فى فلك يسبحون**﴾[2] وكلٌّ كذلك فى مراكز خاصة يثبتون . وقد أجريت اسلوب العقلاء فى عبارتى اقتداء بأسلوب القرآن نفسه واقتباساً لبلاغته وفصاحته .. فى هذه الآية وفى أوائل سورة يوسف عليه السلام : ﴿**يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين**﴾[3]

ثم لماذا يطيل الناس الجدل حول هذه الموضوعات ، ولماذا يعيدون الكلام ، ويكرِّرون الحوار عنها فى أحاديثهم ! فسواء أكانت الشمس ثابتة أم جارية ، وسواء أكانت الأرض دائرة أم راسية فكل من هذه الكائنات تؤدى وفق القانون الآلهى الذى رسم

---

(١) سورة يس ٣٨ . (٢) سورة يس ٤٠ .

(٣) سورة يوسف ٤ .

له ـ واجبها وعملها فى مصلحة الكون ، والحياة ، والناس ، وعلى الناس أن ينتفعوا بما سخَّر الله لهم فى الأرض والسماء من منافع وخيرات وبركات ، وأن يتعلموا العلوم التى تيسر لهم هذا الانتفاع ، وألا يستخدموا هذا المسخَّرات فى الإضرار بعضهم ببعض ، كما أن عليهم أن يزدادوا إيماناً (بالخالق) الذى خلقهم وخلق لهم هذه المنافع ، (المعلم) الذى هداهم .. سبحانه فقد خَلَق وسوَّى ، وقدَّر فهدى ، وعلَّم الإنسان ما لم يعلم ..

﴿قل انظروا ماذا فى السموات ..﴾

ويوجه القارىء نفسه ـ فى رسالته ـ هذه المسألة القرآنية : أن الله سبحانه وتعالى ذكر فى عدة آيات من كتابه العزيز الحثَّ على النظر إلى السماء كقوله تعالى ـ فى سورة ق ـ : **﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيَّناها ، وما لها من فروج﴾** وقوله فى سورة الغاشية : **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ! وإلى السماء كيف رفعت ..﴾** وغير ذلك من آيات تدل على أن السماء ترى بالعين المجردة ـ فما رأيكم فى ذلك ! أرجو الإجابة : مع العلم أنى حريص كل الحرص على سماع حديثكم اليومى فلا يفوتنى منه إلَّا النادر ، وأعتقد أنكم سوف تطبعون هذه الأحاديث القيمة فى كتب بعد الإنتهاء منها ليعم النفع .

أقول للسائل الفاضل :

إن النظر إلى السماء ، يحث عليه القرآن الكريم فى العديد من آياته ـ وهو يفعل ذلك بالنسبة للسماء وللأرض وللجبال ولسائر المخلوقات كالبحار والرياح الخ .. ليلفت الأنظار والأفكار إلى آيات

الله البينات الدالة على الوهيته وربوبيته ووحدانيته .. فالمؤمن من الناس يزداد إيماناً بالنظر والتفكير فى ملكوت السماوات والأرض ، والكافر أو الملحد يجد فى النظر إليهما طريقاً إلى التفكُّر والتدبُّر .. وقد يهتدى إلى خالقها ومدبِّرها وقد يضل ، وصدق الله العظيم فيما يقول عز وجل : ﴿**ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ، ولا يزالون مختلفين ـ إلّا من رحم ربك ـ ولذلك خلقهم**﴾[1] وفيما يقول أيضاً : ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار .. ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور**﴾[2] .

ومطالبة القرآن للناس بالنظر فى السماء لا تعنى النظر فيما وراءها أو فوقها .. فذلك من الغيب الذى أمرنا أن نؤمن به عن طريق إخبار القرآن والحديث النبوى .. وهو ما عناه القسم الآلهى فى قوله تبارك وتعالى : ﴿**فلا أقسم بما تبصرون ، وما لا تبصرون**)[3] فما نبصره هو عالم الشهادة وما لا نبصره هو عالم الغيب ..

إنما المطلوب والمقصود أن ننظر إلى ما خلق الله عز وجل تحت السماء أو دونها من شمس وقمر ، ونجوم وكواكب ، وسحاب وما ينزل منها من مطر ـ رحمةً أو عذاباً .. ولذلك علَّمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن ندعو عندما نرى السحاب عارضاً فى السماء : «**اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق**» لأننا لا ندرى بم ينزل !

وكل ما نراه فوقنا من هذه المخلوقات والأجرام هو سماء كما يفيد

---

(١) سورة هود ١١٨ و ١١٩ .
(٢) سورة الحج ٩٦ .
(٣) سورة الحاقة ٣٨ و ٣٩ .

ذلك الاصطلاح اللغوى لهذه الكلمة ، ويعتبر الحاجز بيننا وبين الملأ الأعلى ، وإن كانت رؤيتنا ليست دقيقة كما هى بالنسبة للأرض وما فوقها من جبال أو بحار ، ومع ذلك وبقدر ما نستطيع من رؤية للسماء . فإن الله يطالبنا بالنظر فيها وفيما زينها به من مصابيح ، وفى قوة بنيانها وقيامها بدون عمد ، وارتفاعها الذى لا ينال وفى كونها مع الأرض أكبر من خلق الناس وأعظم كما قال عزّ وجلّ : ﴿**لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس**﴾[1] وكما قال مستنكراً على الكافرين بالبعث وقدرة الله على الإعادة : ﴿**أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها !؟**﴾[2] . ـ كل ذلك لنزداد ايماناً على إيماننا ، ويكون اتجاهنا دائماً إلى خالقها ومدبِّرها ومدبّر الأرض والإنسان جميعاً : ﴿**الرحمن على العرش استوى ـ له ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى**﴾[3] .

هذا ما تيسر لى من جواب على المسألتين . وهو بطبيعة الحال غير واف وربما كان غير شاف ، ولكنى أسأل الله مزيداً من الإيمان ، ومزيداً من العرفان إنه الرحيم الرحمن ، والموفِّق المستعان.

الفضيلة
بين النظرية القرآنية
والنظرية الغربية

قرأت فى إحدى المجلات هذه الحكمة الضالة لبرناردشو الكاتب

---

(١) سورة غافر ٥٧ . (٢) سورة النازعات ٢٧ .
(٣) سورة طه ٥ و ٦ .

الإيرلندى الراحل «أن الفضيلة ليست فى الامتناع عن الرذائل فقط ، إنما هى فى عدم اشتهائها» .

وقد استوقفتنى هذه الحكمة الضالة لأعقِّب عليها ، فأقول عكس ما يقوله برناردشو : «إن الفضيلة ليست فى عدم (إشتهاء) الرذائل ، إنما الفضيلة فى الامتناع عنها» ؟ وتفصيل ذلك :

● أن الإنسان الذى لا يتحرك شعوره للذةٍ أو ألم ويظل بارداً ، أو جامداً أو خامداً أمام اللذة والألم ـ ليس هو بصاحب «فضيلة» .

● ولكن صاحب «الفضيلة» هو الإنسان الذى يحس حرارة الشوق إلى اللذة الحرام ، ولكنه يملك نفسه عن النزوع إلى إطفائها وارواء شوقه .. وهو الإنسان الذى يغمره الشعور بمرارة الألم الفادح ولكنه يتمالك نفسه عن الخضعان لثقله فلا يمزقه الألم ولا يحرقه .

وكذلك الإنسان الذى يقدم على المخاطر والمهالك ، وهو لا يفكر فى أولها ولا يقدر آخرها ، ولا يحس بمسئولية ما هو مقدم عليه ، بالنظر إلى نفسه وأهله وأمته ـ ليس هذا الإنسان بصاحب «فضيلة» أى شجاعة ، وإنما هو متهور طائش مغرور . وكذلك الإنسان العامل الناصب ـ فى معيشته أو وظيفته ، إذا كان قوى البدن قدير الساعد ليس هو بصاحب «فضيلة» كالعامل الناصب وهو ضعيف أو مريض فهذا «أفضل» من ذاك .

وكذلك الغنى الثرى ذو المال الطائل الذى يسخو به عن فيض وسعة ، ليس صاحب «فضيلة» كذى المال القليل يسخو به ـ على حاجة قريبة أو بعيدة ـ فهذا «أفضل» من ذاك . وقس على ذلك جميع الأوصاف والخصال التى يتحلى بها الناس من تقوى وشجاعة

وقوة وعلم وحلم وكرم وغيرهما .

وقد جاءت الفلسفة الأخلاقية الاسلامية مؤيِّدة وجهة النظر هذه ، ومؤكِّدةً صحة هذا «المذهب الأخلاقى» مذهب الامتناع على مقدرة والإعطاء على حاجة ، والإقدام على حذر ، والتعفف على اشتهاء .. ففى النصوص القرآنية نجد :

● **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**[1]

● **﴿إن الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكَّروا ، فإذا هم مبصرون ، وإخوانهم يمدونهم فى الغىِّ ثم لا يقصرون﴾**[2] .

أما الآية القرآنية الأولى ، فمن الصراحة والوضاحة بحيث لا تحتاج إلى تفسير . ولكننا نقف عند الآية الثانية قليلاً : والذين **﴿إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكَّروا﴾** .. لنجد أنها تعنى أن فريق الإيمان الصحيح معرضون لمسِّ الشيطان واستزلاله لهم ، والتقى منهم من تذكَّر عظمة ربه ، وتدبّر عقبى تعدّيه حدوده وحقوقه بزنا أو سرقةٍ أو غيرهما ، فكفَّته رهبة الله وحكمة التدبّر والتعقّل عن إتيان الآثام .

فى الوقت الذى نجد فيه ، فى الآية التالية : **﴿واخوانهم يمدُّونهم فى الغىِّ ثم لا يقصرون﴾** نصاً على أن فريق العصيان والفسوق معرَّضون هم أيضاً ـ لمسِّ الشيطان ولكن أولئك امتنعوا ، وهؤلاء انساقوا ، وازداد طمع الشيطان فيهم فمدُّوهم فى غيِّهم بحيث لا يقصرون .

---

(١) سورة الأعراف ٢٠١ و ٢٠٢ .

(٢) سورة الحشر ٩ .

وإذن فالفريقان يستويان فى أن كلًّا منهما عرضة لنزغ الشيطان إلا أن المتقين يتذكَّرون الله ، ويتمسكون بالفضيلة ، فيقهرون أنفسهم الأمَّارة بالسوء ، ويدحرون الشياطين الغواة . أما أولئك «أتباع الشياطين» فليس لهم من القوة والرجولة والكرامة ما يحمون به أنفسهم من غزوات الشياطين ليكونوا أصحاب «فضيلة» .

ونلاحظ ـ فى آياتٍ قرآنية أخرى ـ أن الله عز وجل يثنى على المؤمنين الذين يتعرَّضون للفتن والوساوس والمتاعب .. فيواجهونها بالصبر الجميل فيذكر عزّ وجلّ : ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس**﴾ كما يذكر تبارك وتعالى : ﴿**والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس**﴾ أى الذين يصابرون الفقر والمرض ولقاء العدو .

وفى الحديث النبوى ما يقوى «مذهب» الإمتناع على قدرة ، والاعطاء على حاجة ، والإقدام على حذر ، والتعفّف على اشتهاء ـ ونكتفى بالدليل على نوع واحد من أنواع هذا المذهب ، وهو هذا الحديث النبوى الكريم «**ليس الشديد بالصرعة .. وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**» .

ويروى الحافظ ابن كثير ـ فى تفسيره عن مجاهد أنه كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أميرٌ للمؤمنين يسأله : رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها ! فكتب إليه عمر : إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ [(١)]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٥٩ .

وقد فضل فريق من العلماء والفقهاء صالحى المؤمنين على الملائكة ـ فلماذا ! لأن طبيعة الملائكة خلقت فاقدة للشعور بالشهوات ، بعيدة عن التكاليف ومتاعب الحياة .. فى حين خلقت طبيعة البشر فى وسط هذه الشهوات وهذه التكاليف وهذه المتاعب .. فإذا كان فى البشر مؤمنون صالحون كانوا أفضل من الملائكة بلا جدال .

﴿ألا له الخلق والأمر﴾

حديثنا هنا خاص بقضايا تتصل بقدرة الله عز وجل وانفراده بالأمر والحكم والتدبير : **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** [1] . ومهما أوتى العلماء النظريون والصناعيون من علم وصناعة .. فإن لهم حدوداً لا يستطيعون تجاوزها فيما وراءها من اختصاص الله الخالق القادر ، الخبير العليم :

- **﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً﴾** [2] .

منذ بضعة أشهر نشرت الصحف نبأ عما أطلقوا عليه (طفل الأنابيب) وهو ما قام به بعض الأطباء من استخراج بويضة احدى النساء وتلقيحها بنطفة زوجها داخل أنبوبة خلال أيام ثلاثة أو أربعة ثم نقلها إلى رحم المرأة نفسها حيث ظلت فيه فترة الحمل المعلومة ثم وضعت طفلاً صحيحاً سليماً .

---

(١) سورة الأعرف ٥٤ .
(٢) سورة الاسراء ٨٥ .

وقد عدُّوا ذلك معجزة طبية عظيمة ، وسمُّوا المولود : (طفل الأنابيب) وهو خطأ كبير ـ لا شك فى ذلك ـ لأنه يعد طفلاً عادياً نشأ من اختلاط نطفة الرجل ببويضة زوجته خارج الرحم لمدة قصيرة محدودة ثم أدخلت البويضة الملقحة إلى رحم الأم وهو المكان الطبيعى للتخليق والتكوين ونفخ الروح فيه .

ومما ينبغى أن يلاحظ ـ فوق ذلك ـ أن طبيعة عملية استخراج البويضة صالحة للتلقيح من قناة فالوب بالزوجة استغرقت عدة سنوات واحتاجت إلى تكرار العمليات الجراحية للمرأة .. فقد تكرر خروجها دون أن تستجيب لاحتضان الحيوان المنوى فى نطفة الزوج . وهو ما يحدث أيضاً مع وجودها داخل القناة وبعد تسرّبها للقاء الحيوان المنوى .. فقد يتم التلقيح وقد لا يتم لأن أمر الحمل منوط بمشيئة الله عز وجل : ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلّا بعلمه**﴾[1] .

وكل ما فعله الأطباء هو التلقيح لأيام محدودة ومعدودة خارج الرحم بسبب العقم المؤقت عند الزوجة لانسداد قناة فالوب التى تتسرب البويضة منها عادةً للقاء الحيوان المنوى فى نطفة الرجل .

وأنا أعتقد أن هذه العملية سوف لا يستطيع الأطباء أن يستمروا فى اجرائها لكل زوجة أصيبت بانسداد قناة فالوب .. لأن العملية شاقة ، وتحتاج إلى تكرار حتى يحصلوا على بويضة مستعدة للقاح ، وهو أمر يكلفهم جهداً متواصلاً ، كما يكلِّف المرأة

---

(١) سورة فاطر ١١ .

عمليات متتابعة لاستخراج البويضة الصالحة أو القابلة للتلقيح .

وليتهم اهتموا بمعالجة انسداد القناة بقطع الجزء المسدود ، ثم وصلها مرة أخرى .. كما يفعلون ذلك بأجزاء كثيرة من جسم الانسان باطنه وظاهره ، ليتم اللقاء بين البويضة والنطفة طبيعياً وسهلاً ، ويتم الحمل بإذن الخالق المصور سبحانه وتعالى ، وبعونه وتوفيقه . فهو وحده الذى ﴿**يعلم ما تحمل كل انثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد**﴾[1] .

وإنما يكون المولود (طفل أنبوبة) لو أنه تخلق ونفخت فيه الروح وهو داخل الأنبوبة خلال شهور الحمل التسعة المعروفة .. ولكن هذا لم يحدث ، ولن يحدث لأنه من اختصاص الله عز وجل وقدره ومشيئته .

ومثل هذه المبالغة فى اشاعة الاكتشافات أو الانجازات الطبية ـ ما نشرته الصحف قبل ذلك عن نبأ من هولندا أن العلماء أعلنوا عن مولد عجل صناعى .. وأن النبأ كان مثيراً ، وأن العالم قد فوجىء به ! .

ثم نقرأ تفاصيل الخبر فنجدها تقول : «لقد تم حقن نطفة الثور بواسطة إبرة طبية فى رحم البقرة ، وتعتبر هذه التجربة أو الزراعة «الثورية» عاملاً هاماً فى عمليات تربية الماشية ، وقد ولد العجل فى حالة صحية رائعة !!» .

هكذا اطلقوا عليه : (العجل الصناعى) !! .

---

(١) سورة الرعد ٨ .

وفى رأينا إذا كان الأمر كما ذُكِرَ .. لا تعتبر هذه الولادة صناعية ، لأنها أساساً نتيجة لإلقاء نطفة الثور فى رحم البقرة .. فهو أمر طبيعى ، وكل ما حدث أن الثور لم يكن هو نفسه الذى ألقاها فى رحم البقرة وإنما أخذت منه وحقنت فى رحمها .

فالأساس إذن طبيعى : ذكر وانثى ، ونطفة ورحم طبيعيان .. وإنما جاءت فكرة الحقن الصناعى لأن نطفة الانسان والحيوان أيضاً تحتوى على حيوانات منوية منتجة لأكثر من جنين واحد .. ربما مئات أو آلاف أو ملايين ـ كما يقولون ـ .

وبطريقة الحقن استطاعوا أن يفرغوا النطفة الواحدة أو الدفعة الواحدة فى أرحام متعددة لأبقار كثيرة وبهذا ضمنوا انتاجاً أكثر فى فترة موحدة ..

ولذلك ينبغى لكاتبى الأخبار وناشريها ألا يفهموا منها غير ما تعنيه أو أكثر مما تعنيه ، لئلا يكتبوها وينشروها على غير حقيقتها .

وإنما يكون العجل صناعياً إذا استطاعوا أن يولدوا بقرة من غير نطفة ثور .. وهيهات ثم هيهات ، فليس من خالق غير الله سبحانه وتعالى عما يشركون .

وقريب من هذا المجال .. مجال خيالات الانسان وأوهامه وضلالاته تجاه الاكتشافات الحديثة طبية وصناعيةً ما كتبه بعض محررى احدى المجلات عن اختراع الطائرة ـ والراديو ـ والتلفزيون ـ والصعود إلى القمر .. وجعل منها دليلاً على قدرة الانسان التى أصبحت تحطم أو حطمت فعلاً ما كنا نسميه «الاستحالة المطلقة» وأكد ذلك بقوله : (إن العقل البشرى استطاع على مر السنين : أن

يثبت أن ظاهرة الاستحالة المطلقة لا وجود لها فى شبكة التفكير الانسانى) .[1]

وهى دعوى يلقيها الكاتب على عواهنها ، فالعقل البشرى نفسه لا يدعيها ، والتقدم العلمى الحاضر لم يزعمها ، والعلماء والمفكرون العصريون لم يجرؤوا على التكلم بها ..

● فمازالت (الاستحالة المطلقة) حقيقة قائمة وثابتة وواضحة الآن . وستظل كذلك أبداً مهما تعاقبت الأزمان .. ومهما تقدم الفكر الانسانى ، وتطور العلم البشرى .

ـ فمازالت «الروح» من أمر ربى .. ﴿**قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً**﴾ ..

ـ ومازال حلم الأطباء فى نجاح زراعة القلوب باطلاً وخيالاً ..

ـ وستظل علوم البشر وأفكارهم عاجزةً عن مقاومة العواصف والقواصف ، والأمطار والسيول ، والجفاف العام والبراكين ، وهى تحدث فى أرقى البلاد علمياً وتطوراً تكنولوجياً .

● **وهذا الطبيب الأمريكى مؤلف كتاب (الانسان ذلك المجهول) الدكتور أليكسِس كارل ـ يعترف بصراحة وذكاء : «بأن ثمة أمراضاً وعللاً يعجز الطب عن مداواتها .. وقد شفيت بمجرد الإيمان واللجوء إلى الرحمن» .**

● والدكتور ريجى ـ الطبيب الأمريكى اللبنانى الأصل ـ وهو من كبار الجراحين يلقى السلاح ويؤكد عدم نجاح (زراعة القلوب) ..

---

(١) مجلة (الجناح الأخضر) فى صفر عام ١٣٩٥هـ .

ويطالب الأطباء بالاهتمام والبحث فى إيجاد (وقاية) من الأمراض القلبية . والكف عن اجراء عمليات زراعة القلوب .

مشيئة الخالق ..
وليس تحدى المخلوق ! !

نشرت بعض صحفنا اليومية خبراً تحت عنوان (تحدَّت الأطباء .. بغريزة الأمومة) عن أم تعانى مرضاً فى كليتيها ، وهى فى الرابعة والعشرين من عمرها .. وقد قرر الأطباء أن تخضع هذه الأم المريضة لعلاج مستمر من غسل دمها ، ومراقبة كليتيها ، وعندما أخبرتهم بأنها قد حملت أجمعوا على ضرورة إجهاضها .. فرفضت .. وانجبت أخيراً طفلة تتمتع بصحةٍ جيدة .. الأمر الذى أذهل الأطباء[1]

● قلت : لو كان الأمر ، كما وصفت الجريدة ، تحدياً من الأم المريضة للأطباء بغريزة الأمومة .. لكان من الجائز أو المحتمل أن يسقط حملها بعد بضعة شهور ، أو أن تموت هى بسبب الحمل الذى رآه الأطباء مستحيلاً بالنسبة لمرضها الخطير ..

ولكن الحقيقة هى أن ما حدث لهذه الأم من حمل وإنجاب على الرغم من إجماع الأطباء المختصين على استحالة سلامة الأم مع بقائها حاملاً ـ يؤكد (أولاً) أن مشيئة الله عز وجل وقدرته هما المتحدِّيتان الغالبتان ـ للعمل البشرى والتقدير الإنسانى ـ كما يؤكد

---

(١) جريدة (الرياض) فى ١٥/١٠/١٣٩٧هـ .

(ثانياً) حاجة الإنسان مهما أوتى من علم وخبرةٍ وتقدير وتدبير .. إلى التسليم بأن هناك ربًّاً هو أعلم وأخبر وأقدر وأحكم تدبيراً ، وإلى الاستعانة فى الوقت نفسه بهذا الرب العليم ، الحكيم الرحيم ..

إن هذه الأم المريضة لم تتحدَّ الأطباء بغريزة الأمومة ، وإنما تحدَّتهم بمشيئة الله الذى خَلقها ، وابتلاها بهذا المرض الخطير ، ثم أراد لها أن تحمل وتنجب على رغم أنوف الأطباء ذوى العلم القليل والإيمان الهزيل !

وصدق الله العظيم فيما قال :

● **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾** (١)

ولذلك نجد زكريا أحد أنبياء بنى اسرائيل عليه السلام .. عندما بُشِّر بأنه سينجب ولداً **﴿قال رب أنيَّ يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيّاً﴾** !

إن زكريا عليه السلام هنا يتعجب كيف سيكون له ولد وقد وهن عظمه ، واشتعل رأسه شيباً ، كما أن امرأته عقيم لم تلد منذ تزوجها .. وهى حالة بالنسبة للزوجين معاً تجعل الحمل والانجاب مستحيلين .

ولكن مشيئة الله القدير الخبير فوق المستحيلات البشرية ، فكان الردُّ الآلهى على زكريا : **﴿قال كذلك قال ربك هو عليّ هَين ، وقد خلقْتك من قبلُ ولم تَكُ شيئاً﴾** (٢)

وبعد قصة زكريا تأتى قصةُ مريم بنت عمران عليها السلام فى

---

(١) سورة يس ٨٢ .

(٢) سورة مريم ٩ .

سورة واحدة وسياق واحد ، يأتى إليها الملكُ .. وهى معتزلةٌ أهلها شرقى المسجد الأقصى للعبادة ، متمثلاً فى صورة بشر سوىّ .. فتتعوذ بالرحمن منه خوفاً على نفسها وعرْضها ، ويسارع جبريل عليه السلام لطمأنتها وإزالة مخاوفها ، فيقول لها : إنه رسول الله عز وجل ليهب لها غلاماً زكيّاً .

وإذا كان زكريا قد تعجب أن يكون له غلام .. مع أن له زوجة ، وكل ما ظنه مانعاً من الولد هو شيخوخته وعقم زوجته ، فمن حق مريم أن يكون عجبها أشدَّ لأنها امرأة لا زوج لها .

ولذلك قالت لجبريل : **﴿أنّى يكونُ لى غلام ولم يمسسنى بَشَرٌ ولم أكُ بَغِيّاً﴾**[1] فأجابها جبريل : **﴿قال كذلك .. قال ربُّك هو علىَّ هينٌ ولنجعله آيةً للناس ، ورحمةً منا وكان أمراً مقضياً﴾**[2] .

* * *

إن العلماء ـ على اختلاف اختصاصاتهم نظريةً وعمليةً ـ يجب أن يقترن علمهم وخبرتهم بالإيمان الثابت ، واليقين الراسخ بأن الله عز وجل الذى علّمهم ما لم يعلموا ، وفتح أمامهم أبواب المعرفة ، ونوافذ التجربة ، أعلمُ منهم وأقدر وأخبر وأحكم ـ وصدق الله العظيم فيما قال :

- **﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾** .
- **﴿وما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً﴾** .

وبين أيدينا قصة بل حادثة من الوادى نفسه ، وادى الأطباء

---

(١) سورة مريم ٢٠ .

(٢) سورة مريم ٢١ .

والمرضى ـ يقول الأستاذ موريس قطريب فى مجلته (نداء الصحة) :
طالعت مؤخراً اختبار سيدة علمتنى درساً فى الإيمان والثقة وعدم القلق على ما قد يخبئه الغد من أحداث .

« قالت السيدة : ذهبت يوماً بزوجى إلى أحد كبار الأطباء ، ولم أكن حينذاك جاوزت الثلاثين من عمرى ، فانتحى بى الطبيب جانباً وصرح لى بأن حالة زوجى خطيرة ، وبأن الأمل فى شفائه ليس كبيراً ، فاسودت الدنيا فى عينى ، وكدت أقع مغشياً علىَّ فأجلسنى الطبيب ، وراح يعزينى بكلمات رقيقة ، ثم تابع قائلاً : أذكر أننى كنت يوماً فى الريف ، فرأيت فلاحاً متقدماً فى السن يحرث حقلاً ، فاقتربت منه ، وقلت له مداعباً : هبْ أنك ستموت بعد ساعتين .. فماذا تفعل !

فنظر الرجل إلىَّ نظرةً ساخرةً وقال : استمر فى عملى ..

فأثَّرت فى نفسى هذه الكلمات أعمق تأثير ، وعلمتنى أن أواصل عملى غير عابئ بما قد يصوِّره عقلى العاجز من متاعب أو مخاوف قد تصادفنى فى الغد» .

ونصح الطبيب العاقل المعترف بعجزه البشرى ـ الزوجة الشابة الخائفة على زوجها المريض أن يموت بسبب مرضه الخطير ـ أن تعتصم بالإيمان وتستمر فى أداء رسالتها الزوجية نحو زوجها وأولادها وبيتها !

يقول الأستاذ قطريب : وخرجت الزوجة من عيادة الطبيب معتصمة بالإيمان .. ومرت الأزمة بسلام ، واستعاد زوجها صحته ، ومرت سنوات على هذه الحادثة وهما يعيشان سعيدين »

● قلت : هكذا ينبغى أن يكون إيمان الأطباء عندما يتعاملون مع مرضاهم .. فهم عاجزون مهما أوتوا من علم وخبرة ، وهم جاهلون أيضاً بالغيب ، وما يأتى بعد الغد ـ مِنْ قَدَرِ الله اللطيف الخبير .

ويذكرنى موقف الفلاح الذى ردَّ على الطبيب : بأنه سوف يستمر فى حرثه وزرعه حتى لو علم بأنه سيموت بعد ساعتين .. يذكرنى بالتوجيه النبوى الذى يعلِّمنا فيه الرسول ﷺ أن نقف دائماً مثل هذا الموقف المؤمن الشجاع ، حين قال ما معناه : إنه لو قامت الساعة وكان بيد أحدكم فسيلة فليغرسها ..

الضمير فى القرآن

سألنى أحد طلابى ـ فى الجامعة ـ بعد أن فرغت من القاء المحاضرة ، واذنت لمن شاء من الطلاب أن يوجه سؤالاً أو يطرح مشكلة ، أو يعرض رأياً حول ما تحدثت إليهم به ـ سألنى هذا الطالب : يا أستاذى .. نقول دائماً فى أحاديثنا : فلان لا ضمير عنده ـ وفلان صاحب ضمير حى ، ونعنى بذلك أن هذا مخلص فيما يقول ويفعل ، وأن ذاك لا إخلاص له فى قول ولا عمل ، فما هى الكلمة البديلة فى مصطلحات الثقافة الإسلامية لكلمة (الضمير) !؟ !؟ أهى النفس !؟ أم العقل ! أم الروح ! .

● قلت للطالب : إن الاسلام اختار لفظ (القلب) للتعبير عما نطلق عليه ـ اليوم (الضمير) ونجد ذلك واضحاً وصريحاً فى ما تحدث به نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام عن مهمة القلب أو وظيفته بالنسبة لسلوك الإنسان .. نجده ﷺ يقول :

ـ «**ألا إن فى الجسد مضغة .... إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ـ ألا وهى القلب**» .

ـ وجاء رجل إليه ﷺ يسأله عن البر والاثم فأجابه بقوله : «**استفت قلبك .. وان افتاك الناس وافتوك**» وأضاف عليه الصلاة والسلام : «**ان البر ما اطمأن إليه القلب والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر !**»

ـ وجاءه مرة أحد أصحابه فسأله : كيف أصبحت ! فرد عليه : «**أصبحت أحب الخير وأهله ، وان قدرت عليه بادرت إليه ، وإن فاتنى حزنت عليه ـ فقال له ﷺ : تلك علامة الله فيمن يريد ..**» .

ـ وسئل عن (الاحسان) فأجاب : «**أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» .

هذه الأحاديث النبوية عن القلب ومشاعره وخواطره تؤكد أنه هو ما نسميه فى أحاديثنا اليوم (الضمير) .

فحديثه ﷺ عن تأثير قلب الإنسان فيما يحدث لجسده من صلاح أو فساد : أمر واقع من الجانب المادى والجانب الفكرى أو الخلقى على سواء ..

فالقلب الصحيح طبياً أو بيولوجياً يتبعه جسم صحيح لأن صحة الجسم تتبع صحة القلب كجهاز منظم للدورة الدموية .

والقلب السليم إيماناً بالخالق والسليم شعوراً نحو الخلق يتبعه جسم سليم لا تتحرك جوارحه إلّا بحركات الحب ، والعمل الصالح ، والسلوك الكريم ... وثمرات هذه الحركات أو التصرفات

الطيبة هى الطمأنينة النفسية والراحة الفكرية والرضا عن الحياة ، وحسن الظن بالأحياء .

والعكس صحيح أيضاً : أى إذا فسد القلب طِبيًا أو بيولجيا مرض الجسم واعتل وربما أسرع بصاحبه إلى الموت ، وكذلك إذا فسد إيماناً وشعوراً وسوء ظن وميلا إلى إيذاء الغير ، وحسداً لأولى النعمة ـ فإن الجسم يتبعه فساداً فى كل تصرفاته ومسالكه .

كما أن القلب السليم إذا عرض له أمر من الخير والعمل الصالح ـ ارتاح له وسرّ به . وإذا عرض له أمر من الشر والعمل السيىء نفر منه وتألم له . ولذلك يوجه الرسول عليه الصلاة والسلام المسلم إلى استفتاء قلبه ، وأن يستجيب لفتواه أكثر مما يستمع إلى فتوى الناس .

وهنا نلاحظ ـ فى الخلافات التى تحدث بين الناس حول ما يعرض لهم من مشكلات أو قضايا ـ أن بعضهم يتردد فلا يرضى بما يفتى به بعض العلماء أو الوسطاء من حل أو فصل فى القضية ، ويرى أن هذا الحل أو هذا الفصل لا يبرىء ذمته .. وفى الجانب المعاكس نرى أن بعضهم ـ وهو يعلم يقيناً أنه مبطل ـ يركن إلى ما يفتى به من حل أو فصل لمشكلته أو قضيته ، ويضع اثم الفتوى على القائل به ، ويظن أنه سينجو من مؤاخذة الله وعقابه .

مع أن الرسول ﷺ قد نبهنا إلى استفتاء الضمير ـ أو القلب ـ وعدم الاطمئنان حتى إلى حكم القاضى فيما لو حكم له بحق أخيه . وذلك فى هذا الحديث النبوى الحكيم : (**إنما أنا بشر .. وانكم تختصمون إلىّ . ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فأقضى**

له ـ بنحو مما اسمع ـ فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه ، فإنما أقضى له بقطعة من النار) .

وصاحب القلب السليم هو كما جاء فى الوصف النبوى : مراقب لله عز وجل فى كل تصرفاته وأعماله ، معتقداً أن الله يراه وينظر إليه فى كل حركة وفى كل سكنة ، وان لم يكن هو يرى الله شاخصاً أمامه كالقرباء من البشر .

وهو ـ كذلك ـ يصبح ويمسى محباً للخير وأهل الخير ، كارهاً للشر وأهل الشر ، راغباً فى العمل الصالح إن استطاعه سارع إليه ، وإن عجز عنه حزن عليه .

● أليس (القلب) إذن هو الضمير بكل مشاعره وخواطره ، ووظائفه ومسالكه !

ونزداد يقيناً بأن القلب هو الضمير إذا تأملنا الآيات التالية التى تؤكد أهمية عمل القلب وأثره فى سلوك الانسان ـ يقول الله عز وجل :

● **﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ـ ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾** .

● **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾** .

● **﴿من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾** .

● **﴿اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾** .

● **﴿ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾** .

● **﴿ان يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾** .

● **﴿قال أو لم تؤمن ! قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾** .

والخطاب أو الحديث القرآني هنا عن قلوب المؤمنين أي عن الضمائر المخلصة ـ وفي آيات أخرى نجد خطاباً أو حديثاً قرآنياً عن الضمائر المنافقة ، أو القلوب الفاسدة ـ يقول الله عز وجل :

- **﴿ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام﴾** .
- **﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ..﴾** .
- **﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾** .
- **﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم﴾** .
- **﴿أفلا يتدبرون القرآن ! أم على قلوبٍ أقفالها !﴾**
- **﴿وقالوا : قلوبنا في أكنَّةٍ مما تدعونا إليه ..﴾** .

وهناك آيات أخرى تصوّر أهمية (القلوب) في الاستجابة للإيمان أو للقرآن ، والاقدام على العمل الصالح أو الإسراع إلى اقتراف السيئات والمنكرات .

وحسبنا أن نختم الاجابة على سؤال الطالب عن (الضمير) بالحديث النبوي : (**إنما الأعمال بالنيات ..**) فهو حكم أساسي في قبول الأعمال ورفضها ، ومواطن النيات إنما هي القلوب ..

نسأل الله أن يثبِّت قلوبنا على الإيمان به ، والعمل الصالح في سبيله .

الدنيا : بين الامتحان والامتهان !

بعض علمائنا الأفاضل ينظرون إلى الحياة الدنيا نظرة احتقار وامتهان ـ ويذكرون للتدليل على صحة نظرتهم هذه طائفة من آيات

القرآن الكريم كقوله عزّ وجلّ :

● ﴿فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلّا قليل﴾[1]

● ﴿إعلموا أنَّما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد﴾[2]

● ﴿وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾[3] .

قلت : هذه الآيات الكريمات ، وأمثالها ونظائرها كثيرة فى القرآن .. لا تعنى التوجيه إلى عدم الاهتمام بالحياة الدنيا ، ولا احتقارها ، وإنما تعنى عدم إيثار لهوها ومتاعها وزينتها على العمل الصالح فيها من أجل ثواب الآخرة ..

ذلك لأنها كما أكَّد القرآن نفسه دار ابتلاء وامتحان للإنسان ، وهى بمثابة (اختبار) لما وهبه الله من نعمة العقل والسمع والبصر ، بحيث ينظر ويسمع ويفكِّر ويختار ما ينفعه من سلوك فى دنياه وآخرته معاً ، بحيث يتأمل فى ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق الله فيهما من عجائب الأحياء ، وبدائع الأشياء ، ثم يسعى لاستغلال خيراتها واستنباط منافعها ـ يقول الله تبارك وتعالى فى ذلك :

● ﴿انا جعلنا ما على الأرض زينة لها .. لنبلوهم أيُّهم أحسن عملاً﴾[4] .

● ﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسن عملاً﴾[5]

وهناك ـ فى القرآن الكريم ـ آيات أخرى مماثلة تؤكد حقيقة

---

(١) سورة براءة ٣٨ . (٢) سورة الحديد ٢٠ . (٣) سورة القصص ٦٠ .
(٤) سورة الكهف ٧ . (٥) سورة الملك ٢ .

كون الدنيا امتحاناً للإنسان هل يعمل صالحاً أم يجترح السوء ـ وهذا ما يجعلنا نختلف مع هؤلاء العلماء الأفاضل فى دعوتهم إلى انتباذ الحياة الدنيا ، والنظرة إليها بازدراء ، وعدم الاهتمام بالعمل فيها من أجل النفس والغير حتى يكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هى العليا فى دولة الإسلام الحاكمة بشرعه ، المؤمنة بوحدانيته ، المدافعة عن نظامه القويم .

إن الله تبارك وتعالى قد استخلف آدم وذريته من بعده على الأرض ليعمروها بالحق والخير والنور والعدل ـ وردَّ على الملائكة التى سألت لتعرف ـ لا لتعترض ـ : ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾ ! بقوله الحكيم : ﴿**إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ [1] .

فالدنيا مقدمة الآخرة ، والطريق إليها ، وميدان العمل الذى يسبقها ، ولابد فيها من تدبر وتصرف ، وتفكير وجهاد حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ـ ونذكر هنا قول الله عز وجل : ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ..﴾ [2] وآية الملك : ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾ التى أوردناها كاملةً آنفاً صريحة فى وجوب العمل الجادّ فى الدنيا . لأن احتقار الدنيا والزهد فيها ، والاشتغال بالعبادة وحدها يمنع الزاهدين من التكسب أولاً ، ومن الإنفاق على أنفسهم وأهليهم ثانياً ، لأنهم يتفرغون للركوع والسجود والقعود فى مجالس الذكر .. يأكلون من صدقات الأغنياء ويشربون ويكتسون !

---

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة التوبة ١٠٥ .

وفى التوجيه النبوى الرشيد : (**ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا من ترك آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه**)[1] وهذا هو الإسلام الصحيح .

إن الأوصاف التى وصف القرآن بها الحياة الدنيا من لهو ولعب وزينة ومتاع ، وتفاخر بالأموال ، وتكاثر فى الأولاد ـ تخص المنحرفين المنصرفين إلى الدنيا وحدها ، الذين لا يعملون لدينهم ولا لآخرتهم ، وقد وصفهم القرآن نفسه بقوله فى سورة محمد : ﴿**يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**﴾ .

وما يستدل به هؤلاء العلماء المزهِّدين فى الدنيا الصارفين للناس عن العمل والجهاد للنفس والعدو ـ من قول نسبوه إلى الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه : (يا دنيا غرىِّ غيرى ... قد بتتك ثلاثاً لا رجعة لى فيك . فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير) هذا الخبر يبدو فيه التكلُّف البيانى على طريقة نهج البلاغة ، وهو من حيث واقع الإمام على غير صحيح .. فقد كان كرم الله وجهه : عاملاً نشيطاً للدنيا والآخرة فى حياة الرسول ﷺ ، وعهد أبى بكر ، وعهد عمر ـ رضى الله عنهما ـ ومقاومته لمعاوية خير شاهد على ذلك .

وكذلك ما جاء فى بعض الأحاديث النبوية قوله ﷺ : (**اللهم لا عيش إلّا عيش الآخرة**)[2] وقوله : (**ما أنا والدنيا إلّا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**)[3] وأمثالها ـ لا تعنى أكثر من

---

(١) رواه أبو داود . (٢) رواه البخارى .

(٣) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة .

أن الدنيا مرحلة أولى سوف تتبعها مرحلة الآخرة .. فكلتاهما كما اسلفنا : مقدمة ونتيجة ، أو بداية ونهاية ، ولا يلزم من قصر البداية حقارتها وهوانها وعبثها . فالحياة ـ دون شك ـ جدٌّ وامتحان ومسئولية : ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾[1] ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً**﴾[2] .

إن هذه النظرة المزدرية للدنيا ، والاستدلال عليها ببعض آيات القرآن دون الالتفات إلى الآيات الأخرى التى تقرر العكس ، وتؤكد جدية الحياة ومسئولية الإنسان عن عمله فيها ـ تدعو الأتباع والمريدين الذين يجرون خلف هؤلاء العلماء ـ إلى الكسل عن السعى إلى المزيد من عمارة الحياة بالخير والحق ، والعمل من أجل كسب النصر على الأعداء المستعمرين لبلاد المسلمين ، المستذلين لأعناقهم الآكلين لخيراتهم ، السافكين لدمائهم ظلماً وعدواناً .

وبعد .. فإن (الحياة الدنيا) حق وجد ، وليست باطلاً وعبثاً بل هى دار ابتلاء بالخير والشر : ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، وإلينا ترجعون**﴾ ونخطىء كثيراً حين ننظر إليها ونتحدث عنها بهذا الأسلوب المزهد فيها لأننا بذلك نعين أعداءنا علينا ونخالف سنة الله عز وجل ونعارض حكمته من خلقنا ، وتسخير ما فى الأرض لنا ودعوته إيانا إلى النظر فى ملكوت السماء والأرض للإعتبار والعمار والإزدهار .

---

(١) سورة المؤمنون ١١٥ .

(٢) سورة ص ٢٧ .

المال والنفس
فى ميزان القرآن

بعض من يكتب فى مجلاتنا التجارية ينظرون فى آيات القرآن الكريم نظرات سطحية ، ويفهمونها فهماً عاجلاً ، وقد كان حقاً عليهم أن يتفكروا وأن يتدبروا ، وألا يستعجلوا الفهم ، وألا يرسلوا الحكم .. حتى يسألوا أهل الذكر إن كانوا لا يعلمون[1] .

يقول هذا البعض .. إن المال ذكر فى القرآن (٧٦) مرة ـ ثم يستنبط من ذلك المقررات التالية :

● إن دوران المال بهذه الكثرة فى كتاب الله دليل على نظرة الاسلام باهتمام وتقدير إلى المال لآثاره فى الحياة .

● إن أكثر ما يذكر المال فى القرآن يذكر مقروناً بالأولاد أو الأنفس ، ويقدم عليهما فى جميع الآيات ، ما عدا مرة واحدة ، وهى قوله تعالى : ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم .. بأن لهم الجنة ..**﴾ أما فى غير هذه الآية فالمال مقدم دائماً .

● من الآيات التى قدم فيها ذكر المال على النفس والولد قوله عز وجل : ﴿**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله**﴾ وقوله تعالى : ﴿**فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة**﴾ وقوله سبحانه : ﴿**فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم**﴾ : وقوله : ﴿**وأمددناكم بأموال وبنين**﴾ وقوله : ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ .

---

(١) مجلة (التجارة) الرياض محرم ١٣٨٩هـ والمقال لكاتب مجهول لم يذكر اسمه .

● إن تقديم ذكر المال على النفس والولد فى جميع الآيات القرآنية التى جمعت بينهما عدا آية واحدة .. هذا التقديم بلا شك فيه لفت صريح إلى أن المال فى منزلة النفس والولد !

● إن هذا التقديم لابد أن فيه قصداً إلى معنى يراد من هذا التقديم وهو التفضيل . وإلّا لما التزمت الآيات هذا الالتزام الذى يكاد يكون إصراراً .

● بل إن تقديم (النفس) فى تلك الآية الواحدة على (المال) وهى قوله تعالى : ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ يعنى أن المال أعزّ من النفس ، لأن الإنسان فى مجال التضحية والبذل يجعل آخر ما يقدم هو أعز شيء عنده ؟

● إن واقع الحياة يشهد بهذا .. أى بأفضلية المال على النفس فإن للمال سكرة تطغى على مشاعر المرء وتفكيره ، فيذهل عن نفسه وعن ولده . حتى إنه ليلقى مصرعه فى مغامرات يغامر فيها بنفسه ويلقى بها فى مواطن التهلكة من أجل المال . وهل كانت جريمة قتل الأولاد عند بعض العرب فى الجاهلية إلّا خوفاً من الفقر والحاجة ! إذ يقول الله عزّ وجلّ : ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق**﴾ .

هذا ما يراه كاتب المقالة المجهول عن (المال) ونظرة القرآن إليه كشيء أعز من النفس والولد ، ، بزعم الكاتب ، لا برأى القرآن . وسنناقش هذه المقررات فقرة فقرة ، لنرى مبلغها من الصحة والصواب . أو عكسها :

أولاً : أن المال هو قوام الحياة ، من غير شك ، فبه يتبادل الأحياء المرافق والمنافع . ويتعاونون على قضاء المطالب والحاجات

وهو ـ بعد ـ زينة الحياة كما قرر القرآن ذلك ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ . وكثرة دوران (المال) فى كتاب الله إنما هى تصوير لواقع الحياة وطبيعة الأحياء . وليس دليلاً ـ كما يظن الكاتب على اهتمام الاسلام أو القرآن وتقديرهما للمال وآثاره . وتقديمه على النفس والولد . .

فواقع الحياة ، وطبيعة الأحياء ، والحكمة منهما لتحقيق الامتحان والابتلاء ـ هى كما يقرر القرآن نفسه : ﴿**زُيِّنَ للناس حب الشهوات من النساء ، والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسوَّمة . والأنعام . والحرث ـ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**﴾[1] .

ونحن نرى (النساء والبنين) قدما فى هذه الآية على المال الممثل فى قناطير الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث .

ثانياً : أن آية ﴿**زُيِّنَ للناس** . .﴾ قد فاتت الكاتب وهى كما نرى تقدم فيها ذكر الأولاد والنساء على ذكر المال . وهى أكثر صراحة من غيرها فى تقرير ما حبب إلى الناس وزين لهم من شهوات الحياة الدنيا .

فقد زعم أن (المال) لم يؤخر ذكرُه إلّا فى آية ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ ومع ذلك فنحن لا نرى مع الكاتب أن التقديم يعنى الأفضلية أو مزيداً من الاهتمام .

ففى القرآن الكريم آيات كثيرة يقدم فيها ذكر المال . وفى أخرى

---

(١) سورة آل عمران ١٤ .

يقدم ذكر النفس والولد والأزواج .

وفى آيات يقدم ذكر الأرض ويؤخر ذكر السماء أو السماوات ـ وكذلك الانس والجن تقدم ذكر هؤلاء مرة وتأخر أخرى .

فما دل التقديم على أفضلية أو اسبقية ولا دل التأخير على العكس .

ثالثاً : أن تأكيد الكاتب لوجهة نظره بقوله (إن هذا التقديم بلا شك فيه لفت صريح إلى أن المال فى منزلة فوق منزلة النفس والولد) إنما هو تأكيدٌ لسوء فهمه لمنطوق الآيات القرآنية ومفهومها من ناحية . ومغالطة مكشوفة لواقع الحياة والأحياء .

فالقرآن الكريم عندما يقدم ذكر المال .. إنما يعنى مطالبة الناس بما يهون عليهم أولاً ، ثم مطالبتهم بما يصعب ويعز ، وهو النفس ، أخيراً .

والناس فى واقع حياتهم كذلك .. فهم يبذلون المال ، ويشترون به سلامة أعراضهم ، وعافية أبدانهم ، وحسن سمعتهم .. ولا يضحون بأنفسهم إلّا إذا لم يغن عنهم مالهم شيئاً . فهى ـ أى النفس ـ آخر ما يبْذلُ دفاعاً عن عرض أو شرف أو وطن أو زوجة أو ولد . وبذلك كانت الأعز والأفضل والأحب .. ومن هنا قال الشاعر العربى :

أماوِىَّ إن المال غادٍ ورائحٌ
ويبقى من المال الأحاديث والذكر

ولو أن المال أعز من النفس ـ كما يزعم الكاتب ـ ما جُعِلَ المال فداء للأسير ، ودية للقتل خطأ ، فى حين جُعل القصاص جزاء

القاتل عمداً . وحسبنا قول الله عز وجل : ﴿**إنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**﴾ .

هذه هى قيمة (النفس) فى القرآن : من قتلها فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنَّما أحيا الناس جميعاً .

إن النظرة إلى (المال) على أساس أنه أعز وأفضل من (النفس) ليست نظرة قرآنية ولا إسلامية ، بل حتى ولا عربية أصيلة وإنما هى نظرة يهودية .. فاليهود هم الذين ينظرون إلى المال نظرة إعزاز وتفضيل ، ويبذلون فى سبيله الأعراض والأنفس ، ويشعلون الفتن والحروب ، ويسومون البشرية الهوان والعذاب .

رابعاً : إن بعض العرب فى جاهليتهم لم يقتلوا أولادهم حرصاً على المال ، أو تفضيلاً له على أولادهم ـ كما توهم الكاتب ـ وإنما قتلوهم خوفاً من الفقر الذى يضطرهم إلى ذل الحاجة والسؤال أو إلى بذل العرض بالنسبة للبنات .

فإن العرب فى جاهليتهم وإسلامهم معروفون بالإباء والمروءة ، وإكرام الضيف ، وبذل المال ، وحماية العرض ، والتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل حفظ شرفهم وكرامتهم .

والقرآن إنما زجرهم عن قتل أولادهم مخافة الفقر ، ووعدهم بقوله : ﴿**نحن نرزقهم وإياكم**﴾ فالقضية إيمان بأن الله هو الرزاق والمعطى ، وهو الكفيل برزق الأولاد ووالديهم .. وليست قضية (مال) واهتمام بجمعه ، وتفضيل له على النفس والولد .

وقد قرأنا فى تاريخنا أن شاعراً حكيماً عرف قيمة (النفس)

وسجلها فى قوله :

نفسى التى تملك الأشياء ذاهبةً

فكيف آسى على شىء إذا ذهبا !

وقرر حقيقة أزلية أبدية لا يجادل فيها عاقل .. وهى أن النفس فوق كل شىء من متع الدنيا وشهواتها .. إذ هى الكاسبة والمالكة للأشياء الأخرى التى تنتفع بها أو تستمتع ولكنها ككل النفوس مصيرها الموت والفناء .. ولذلك لا يأسف الشاعر على ما يفقد فى الدنيا من مال أو متاع مادامت النفس ، وهى أعز الأشياء ، ذاهبة وفانية إلى أجل !

ومن هنا يتأكد لنا ويتجلى واضحاً :

أن تقديم القرآن ذكر المال على النفس فى مثل قوله عز وجل : ﴿**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله**﴾ وقوله أيضاً ﴿**والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم**﴾ لا يعنى أهمية المال وأفضليته على النفس وإنما يعنى أنه يجب على المسلم أن يجاهد بما يستطيعه من مال إن كان يملكه أو بنفسه ، أو بهما معاً ، ولا يعنى ذلك بحال من الأحوال أن المال مفضل عند الإنسان على النفس .. فالعكس هو الصحيح .. إذ أن النفس أغلى وأهم عند الإنسان من ماله ، بل من ولده أيضاً ..

● خامساً : حديث المرأة الجهنية .. التى زنت ، وجاءت إلى الرسول ﷺ وهى حبلى ، ليقيم عليها الحد .. فأخرها ﷺ حتى ولدت .. ثم جىء بها فشدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت وصلى الرسول عليها ، فقال عمر رضى الله عنه :

تصلى عليها يا رسول الله ! وقد زنت ؟ فقال ﷺ : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين رجلاً من أهل المدينة لوسعتهم .. وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل !

فالرسول ﷺ يرى أن المرأة الزانية التى جاءت إليه مختارة تريد أن يطهرها بإقامة الحد عليها ، وهو القتل بالرجم ـ قد جادت لله بأفضل ما تملك وهو نفسها . ولقد كان يسعها أن تستر نفسها . وأن تتوب إلى الله فى سرها ، وتقضى بقية حياتها صائمة قائمة ، ولن يرد الله لها توبة ولا يرفض لها استغفاراً لأن حد الزنا بالنسبة لها حق من حقوق الله ، والله غفور رحيم .

● سادساً : فى ختام غزوة حنين بين المسلمين وهوازن ، وعندما سيقت غنائم المشركين إلى المسلمين .. جاء وفد هوازن إلى النبى ﷺ ـ وقد أسلمت هوازن ـ يتوسلون إليه أن يمن عليهم ، فخيرهم بين نسائهم وأبنائهم وبين أموالهم ، فاختاروا النساء والأبناء على الأموال ؟

وقد عرف ـ فى التاريخ العسكرى القديم والحديث ـ نظام الفدية بالنسبة للأسرى ، إذ يقدم أهلهم المال لآسريهم فداء لرجالهم .

وهو نظام شبيه بنظام الدية فى القتل الخطأ وشبه العمد فلو كانت النفس أهون من المال لما كانت دية ولا فداء . !

● سابعاً : يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب ـ (وهو قائد عسكرى عراقى معاصر) : «إن نفس الإنسان هى أغلى ما يملكه . ولذلك من المستحيل أن يضحى الإنسان بها إلّا إذا كانت له عقيدة

راسخة وأهداف سامية» .

ويقول الدكتور محمد البهى فى كتابه (الإيمان من توجيه القرآن) : إنَّ الإيمان رسالة وهدف . وليس وسيلة وطريقاً إلى غاية أخرى . ورسالته رسالة شاقة .. لأنها تقوم على التنازل عن (المال) الذى تسعى النفوس عادة إلى جمعه واكتنازه ، كما تقوم على إيثار الموت على (الحياة) نفسها وهى أعز ما يحرص عليه الإنسان ، وأكثر ما يجنى بسببه .

هذا ما أحببت التعقيب به على دعوى أفضلية (المال) على النفس والولد ..

وقد خطرت لى بعد ذلك خواطر وتأملات ، وأنا أقرأ القرآن وبعض الحديث النبوى . فأحببت أن أضيفها هنا ليكتمل البحث ، وربما خطرت بعد ذلك خواطر وتأملات أخرى .

● زيادة على ما سبق ، فى التعقيب الأول عن فطرة الإنسان التى فطر عليها فى حب المال . نجد فى القرآن الكريم هذه الآية : ﴿**وإنه لحب الخير لشديد**﴾[1] وهذه الآية الأخرى : ﴿**وتحبون المال حباً جماً**﴾[2] والخير فى الآية الأولى هو (المال) .

ثم نجد القرآن يصور الحرص على الحياة والمحافظة على النفس أبلغ تصوير فى قوله عز وجل : ﴿**كُتب عليكم القتال وهو كُرهٌ لكم**﴾[3] ثم يُهَوِّنُ على المؤمنين الصادقين الموت فى سبيل الدين وجهاد الكافرين بقوله سبحانه فى نفس الآية : ﴿**وعسى أن تكرهوا**

---

(١) سورة العاديات ٨ . (٢) سورة الفجر ٢٠ .
(٣) سورة البقرة ٢١٦ .

شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾ لأن جزاء الاستشهاد فى سبيل الله الجنة . ونعمت الدار وما أسعده من قرار . ثم يؤكد التهوين من عظم الفادحة بالإصابة فى النفس فى سبيل الله ، لأنها أعز وأغلى ، فيقول عز وجل : **﴿ولئن قُتِلتم فى سبيل الله أو مُتُّم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾**[1].

و «مما يجمعون» هو المال . فالنفس كما تقرر الآية خير من المال ، وجزاء التضحية بها فى سبيل الله خيرٌ من جزاء جمع المال وإنفاقه .

● ونجد فى القرآن أيضاً أن عقوبة القتل الخطأ : الدية وتحرير رقبة مؤمنة ، لأن القاتل لم يقصد القتل قصداً فى حين نجد عقاب القاتل المتعمد : هو القتل أى القصاص ... أى لا يكافىء إزهاق النفس إلّا إزهاق نفس القاتل ، ولا يكفى فى ذلك المال أى الدية ، إلّا أن يكون خطأ أو شبه عمد كما أسلفنا . ومع ذلك الوعيد الشديد للقاتل العامد : **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾**[2] ؛ أى مع القصاص : غضب الله ولعنته والخلود فى عذاب جهنم ..

أما سارق المال فجزاؤه قطع يده نكالاً من الله والله عزيز حكيم . وهو فرق واضح مبين بين سارق المال وسارق النفس ، يؤكد أهمية النفس على المال ..

● ثم نقرأ فى حديث الرسول ﷺ **«لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه التى بين جنبيه»** ولم يقل أحب إليه من ماله

---

(١) سورة آل عمران ١٥٧ .

(٢) سورة النساء ٩٣ .

الذى فى يديه بل أضاف أنفساً عزيزة أخرى ـ فى رواية ثانية .. «**حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس أجمعين**» أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

● وكما قلنا سابقاً : إن اليهود هم الذين تهون عندهم الأعراض والأنفس فى سبيل الحصول على المال ..

.. نضيف هنا أن اليهود ـ كما يروى تاريخهم الأسود ـ كانوا يسترقون مدينيهم إذا عجزوا عن أداء ديونهم ، بينما توصى شريعة الاسلام السمحة بإنظار المدين المعسر إلى ميسرة كما يقول الله عز وجل فى القرآن الكريم : ﴿**وإنْ كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة**﴾ .

وفى الحديث النبوى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للرسول ﷺ : «**إنك أحب إلىَّ من كل شىء إلّا نفسى . فقال : لا يا عمر حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك .. فقال : إنك لأحب إلىَّ من نفسى يا رسول الله .. فقال رسول الله ﷺ (الآن يا عمر ..**» أى الآن كمُلَ إيمانك .

ومعنا هنا أيضاً ـ فى موضوع المقارنة بين النفس والمال ـ بيت الشاعر الذى يقول فيه عن ممدوحة الذى يجود بأقصى الجود :

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وحق ما يقول : الجود بالنفس أقصى غاية الجود .

وبعد .. فلعلنا ـ خلال هذا البحث ـ قد أوضحنا بما لا يدع مجالاً للشك ، أو مثاراً للجدل : حقيقة أفضلية (النفس) على المال .. مقدمين الدليل من القرآن نفسه ، وحديث الرسول ﷺ ،

ثم من واقع الفطرة البشرية ومشاهد سلوكها فى الحياة .

«القرآن» هل هو معجزة أدبية قبل كل شىء !؟

فى إحدى الندوات الأدبية أدلى أديب عربى معروف باهتمامه البالغ بشئون الأدب ، ورعايته السابغة للأسلوب العربى الفصيح الصحيح ـ وأكاد أقول : أنه المدرس المختص للأدب العربى فى إحدى الكليات [1] .

.. أدلى هذا الأديب العربى الكبير برأى فى إعجاز القرآن ، فقال : «إن القرآن معجزة أدبية قبل كل شىء !» وعلقت عليه برأى وسط يجعل الاعجاز الأدبى وجهاً واحداً من وجوه إعجاز القرآن المتعددة .

ولكنه أصر ـ فى تعقيبه علىّ ـ على رأيه الذى يجعل إعجاز القرآن هو امتيازه فى فصاحته اللغوية وبيانه الأدبى .

ولم يفسد الخلاف فى الرأى بيننا وداً ، ولا وضع لصداقتنا حدًّا . فمازلنا أخوين صديقين ، ولكنى رأيت أن أجمع أشتات رأيى ، وأطراف قولى ... عن اعجاز القرآن فى مقالة برأسها ، لأنى مازلت عند رأيى الأول .

المسألة المطروحة هى : هل القرآن معجزة أدبية قبل كل شىء ! والجواب ـ فى نظرى ـ أن القرآن ليس معجزة أدبية قبل

---

(١) هو الأستاذ محمد فوزى البشبيشى ـ من مصر ـ وكان مدرسًا فى كلية الشريعة بمكة المكرمة .

كل شيء .. هكذا بهذا الاطلاق والتعميم والحسم . وإن كان القرآن قد جمع إلى إعجازاته المتعددة إعجازاً أدبياً إلّا أن القول بأن (القرآن معجزة أدبية قبل كل شيء) يجرِّد القرآن عن أبلغ إعجازاته التى دلت عليها مقاصد الرسالة والنبوة .. وعن إعجازات التشريع الحكيم الصالح لكل زمان ومكان ـ والأخبار الصوادق ـ والغيوب العجيبة عن الماضى والمستقبل .

والقول ـ كذلك ـ بأن القرآن معجزة أدبية قبل كل شيء يجعل القرآن كتاب أدب ولغة وبلاغة فى حين أنه كتاب تشريع وتعليم وتنظيم ، ومن الطبيعي والبديهى أن يكون ـ وهو كلام خالق البشر وآدابهم ولغاتهم وبلاغاتهم ـ معجزاً فى اسلوبه وصياغة تراكيبه وتعابيره ، وفوق كل التعابير والتراكيب .

وهناك من يظن أن تحدِّى القرآن للمشركين أن يأتوا بسورة أو عشر سور من مثله ، وأن قول الله تبارك وتعالى : ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾[1] . يعنيان الاعجاز أو التعجيز بالإسلوب وحده دون المعانى والأحكام والأنباء والغيوب الماضية والآتية .

وهذا الظن بعيد وغريب ، والذين يذهبون إليه إنما يشغلهم الغلاف عن اللباب ، والاطار عن الصورة ، فالقرآن قد أعجز ولا يزال بمعانيه قبل ألفاظه ، معانيه التى جاءت مناسبة لفطرة الناس فيما

---

(١) سورة الإسراء ٨٨ .

حدَّثهم به من عقيدة سهلة ، وشريعة سمحاء ، وفيما استوفته من حقائق الوجود ورب الوجود ، كما يقول تبارك وتعالى :

- **﴿ما فرَّطنا فى الكتاب من شيء﴾** .
- **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾** .
- **﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها﴾** .

.. الأمر الذى لم يسبق القرآن فيه كتابُ رسولٍ ، ولا صحفُ نبيٍ فضلاً عن مواعظ الحكماء من غير الرسل والأنبياء ،

إن اللغة والبلاغة فى القرآن غلاف جميل للباب أجمل ، وإطار جليل لصورة أجلّ ! وذرونا نتأمل الآية التى ذكرناها آنفاً : **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾** . ثم نتساءل : ما معنى أنه تبيانٌ لكلِ شيء ! ونترك الإجابة لبعض الصحابة والتابعين ، ونتبعها بآراء بعض المفكرين العصريين .

يقول مجاهد : إنه تبيان لكل حرام وحلال . ويقول إبن مسعود : قد بين لنا القرآن كل علم وكل شيء . وعقّب عليهما ابن كثير بقوله : إن قول ابن مسعود أعم وأشمل . فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع .. من خبر ما سبق ، وعلم ما سيأتى فى كل حرام وحلال ، وما الناس محتاجون إليه فى أمر دنياهم ، ومعاشهم ومعادهم .

وابن مسعود رضى الله عنه ـ كما هو معروف ـ أحد الأربعة الذين أمر الرسول ﷺ بأن يؤخذ القرآن منهم ، والثلاثة الآخرون هم : سالم مولى أبى حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب .

ولذلك كما يرى الدكتور محمد أحمد الغمراوى ـ « يغلب على

الظن أن هذا الفهم لابن مسعود لمعنى الآية قد أخذه عن الرسول عليه الصلاة والسلام . وعلى الباحث أن ينظر أولاً كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء فى الدين ، ليتخذ من ذلك معياراً ومقياساً لكون القرآن تبياناً لكل شيء فى الفطرة» .

وهناك آيات فى القرآن يتكرر معناها ويتغير بعض ألفاظها ، وهى تتضمن المنّ على الرسول عليه الصلاة والسلام بما اشتمل عليه القرآن : من الغيوب الماضية عن أهل الكتاب وأنبيائهم ومواقفهم تجاه رسالات الله إليهم :

● كقوله تبارك وتعالى : ﴿**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين**﴾ [١] ــ أى من قبل القرآن وفى ذلك اعجاز مبين ! .

● وقوله عزّ وجلّ : ﴿**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون**﴾ [٢] .

● وقوله سبحانه : ﴿**وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين ــ ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر ــ وما كنت ثاوياً فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ــ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون**﴾ [٣] .

فهذا هو الإعجاز (بالغيوب) الماضية التى بُهِتَ لها أهل

---

(١) سورة هود ٤٩ . (٢) سورة آل عمران ٤٤

(٣) سورة القصص ٤٤ ، ٤٦ .

الكتاب ، وغيرهم من الأعراب .

ومن اعجاز القرآن ما تكشف على مدى الأجيال المتعاقبة تصديقاً للآية القرآنية :

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء «شهيد﴾[1] .

ونكتفى ـ هنا ـ بالإشارة إلى ما توصل إليه العلم الحديث من أسرار تحريم القرآن لأكل لحم الخنزير ، والميتة والدم ، وشرب الخمر ، وغير ذلك مما دل دلالة معجزة على حكمة التشريع القرآنى الخالد الرشيد .

كما نثبت ـ هنا ـ كشفاً علمياً جديداً من كتاب : «حياتى فى المحكمة» للمحامى الأمريكى لويس نيزر يقول فيه : «إن المحامى عادة يلجأ إلى عنصرى الملاحظة والذاكرة من أجل الحصول على الحقيقة» ثم يذكر أنه بعد تجارب عديدة واختبارات أجريت على طلبة جامعة هارفارد تبيَّن له : أن العاطفة والتحيُّز قد يحولان (ما نراه بالفعل) إلى (ما نحب أن نراه) وأن الملاحظة ركيزة واهية حين يكون الملاحظ تحت تأثير انفعال عاطفى .

ويعلق الدكتور سعيد رمضان ـ فى مجلة المسلمون ـ على ما قاله لويس نيزر بإيراد الآية القرآنية : **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين .. فرجل وامرأتان ، ممن ترضون من الشهداء .. أن تضل إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى﴾**[2] ويرى

---

(١) سورة فصلت ٥٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

أن ضلال الشهادة فى الآية معناه اختلاط الأمور واضطراب الوعى . وان أخطر مزالق الانحراف فى الشهادة هو غلبة العاطفة فى الأمر المشهود به ، والمرأة كما هو معروف ومقرر فى طبيعتها ، ذات عاطفة عنيفة غلابة .

وفى بحث قيم للشيخ محمد الخضر حسين ـ من شيوخ الأزهر ـ يرد فيه على من ينكر تعرض النسيان للنساء بأكثر من الرجال ويستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿**أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى**﴾ يقول رحمه الله : «إن علماء أوروبا قرروا أن فى ذاكرة المرأة ضعفاً وأنها لا تستحضر الماضى كما يستحضره الرجل» .

واستشهد بكلام للدكتور «فينجر» الطبيب الفيلسوف النمساوى بأن التذكّر هو التغلب على ما مضى من الزمن واستحضاره فى الذهن ، ولا يمكن للمرأة لأسباب عضوية ونفسية السيطرة على هذه الموهبة لأن حياتها متقطعة .. أما الرجل فيمكنه متابعة سلسلة حياته حلقة فحلقة ، ولا يغيب عنه جوهرها فى أى وقت من الأوقات ، ثم قال (فينجر) : إن المرأة لا يمكنها التفرقة بين حياتها الوجدانية والعقلية ..

● قلت : ومن هنا كان طلب التشريع القرآنى للشهادة رجلين لإحداث التركيز والترابط والتذكير ـ ثم طلبه ، ان لم يكونا رجلين ـ رجلاً وامرأتين للغرض نفسه مع مقاومة التأثير العاطفى عند المرأة ، وصدق الله العظيم : ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ..﴾ .

ويقول الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ـ رحمه الله ـ فى بحث

قيم له نشرته مجلة (الوعى الإسلامى) الكويتية :(أن الخبر القرآنى إذا تحقق ووقع المغيَّب اكتسب الخبر إعجازاً آخر هو اعجاز المعنى إلى جانب التعبير . وهو إعجاز دائم لأن الخبر القرآنى محفوظ باق يتلى ، وتحققه الماضى ثابت تاريخياً لا شك فيه ، وتحققه فى المستقبل إذا كان لا يزال ينتظر التحقيق هو تجديد للإعجاز .. هو معجزة جديدة تظهر فى العصر الذى يتحقَّق فيه الخبر ، وكذلك كل قصص قرآنى وصفه الله بأنه من انباء الغيب) .

ويقول الأستاذ أحمد حسين ـ المحامى المصرى المعروف ـ رحمه الله ـ (ما من رسول إلّا وقد أرسل إلى قومه ـ مزوداً بمعجزة خارقة تصدع عقولهم ، وتحملهم بالتجربة والمشاهدة والعيان على التصديق والإيمان .. إلّا سيدنا محمد ﷺ فقد جاءت معجزته الكبرى «القرآن» معجزة عقلية تخاطب العقول بالدليل والبرهان ، ولذلك نرى أنه بينما أصبحت معجزات الرسل تروى وتحكى نرى معجزة الإسلام باقية خالدة خلود العقل الإسلامى) .

ويقول الأستاذ إبراهيم الكتانى : (سيجد كل جيل فى القرآن أشياء جديدة لم تكن معروفة من قبل ، ولن يستطيع جيل واحد مهما أوتى من علم ومهما بذل من جهد أن يحيط بجميع عجائب القرآن ، لأن الله لم ينزله لجيل واحد وإنما أنزله لجميع الأجيال البشرية المتعاقبة) .

● قلت : وهؤلاء العلماء الغربيون من أوروبيين وأمريكيين وغيرهم ما الذى اجتذبهم نحو الإسلام غير الإعجاز العلمى والتشريعى فى القرآن .. ولقد قرأوه مترجماً ـ لا فى العربية البليغة ـ ومع ذلك

اعترفوا فى مقالاتهم ومؤلفاتهم عن الإسلام : بأن روائع القرآن العلمية والتشريعة هى التى أغرتهم باعتناق الاسلام ـ أو على الأقل دفعتهم إلى الاعتراف بعبقرية التشريع القرآنى ، وإن لم يعتنقوا الاسلام ديناً .

وبعد : فحسبنا بياناً لتعدد وجوه الاعجاز القرآنى ، وأن الأسلوب ليس أولها ولا أفضلها ـ قول القرآن نفسه : ﴿**ما فرّطنا فى الكتاب من شيء**﴾ . وقول رسوله الذى أنزل عليه وأمر ببيانه « **فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم**»[1] .

هل الإنفاق فى مستوى الإيمان !

قرأت ـ فى مجلة (القافلة) عدد ذى القعدة سنة (١٤٠٠هـ) دراسة قيمة للدكتور أحمد جمال العمرى بعنوان «تأملات فى منهج القرآن العظيم» تناول فيها عدداً من الموضوعات القرآنية .

ووجدتنى عندما عدت إلى مجلة القافلة اليوم معلقاً على موضوع اهتمام القرآن (بالانفاق فى سبيل الله) كما تناوله الكاتب الفاضل فأحببت أن أسجل هذا الهامس ضمن دراساتى القرآنية .

يرى الدكتور العمرى : أن القرآن يضع الإنفاق فى سبيل الله فى مستوى الإيمان به حتى أنه لم يطلق عنوان (العقبة) التى تحول بين الإنسان وسعادته على شيء سوى اطعام الفقير والمسكين ، وذلك فى قوله عز وجل : ﴿**فلا اقتحم العقبة ـ وما ادراك ما العقبة ـ فك**

---

(١) رواه الترمذى .

رقبة ، أو طعام فى يوم ذى مسغبة .. يتيماً ذا مقربة . أو مسكيناً ذا متربة ـ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ـ أولئك أصحاب الميمنة﴾ .

وقد أورد الكاتب الفاضل كدليل على رأيه هذه الآية : **﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر . وأنفقوا مما رزقهم الله﴾** . كما أورد أيضاً بعض آيات من سورة الماعون : **﴿أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ـ ولا يحض على طعام المسكين﴾** كدليل على أن القرآن لم يجعل علامة على التكذيب بيوم الدين أى يوم البعث والجزاء ، وعلى عدم الصدق فى الصلاة .. سوى عدم اطعام المسكين ورد اليتيم .

ثم يضيف الدكتور العمرى : إن الصلاة على مكانتها فى الدين ، وكونها الركن الذى يلى الإيمان ، وكذلك الصوم والحج لا نجد لها فى ترغيب القرآن وترهيبه مثل ما وجدناه للإنفاق فى سبيل الله .

● قلت : (أولاً) إن القرآن الكريم لم يركز على أمر واجب بعد ـ الإيمان بالله ـ كما ركز على اقامة الصلاة وما أكثر عدد الآيات ـ خلال سور القرآن القصار والطوال ـ التى تطلب المؤمنين باقامة الصلاة ثم إيتاء الزكاة أو تصفهم بأنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة .

(ثانياً) قد ترد بعض الآيات فيها طلب الانفاق فى سبيل الله على ذكر الصلاة ـ ولكن هذا لا يعنى أهمية الانفاق على الصلاة ، (فواو) العطف فى مثل هذه الآيات ليست للترتيب ، ولا يعنى

التقديم والتأخير فى معطوفاتها تفضيل المقدم على المؤخر ـ كآية (البقرة) التى أوردها الكاتب الفاضل : ﴿**وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة** ..﴾ .

فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ركنان من أركان الإسلام ، وما سبق ذكرهما فى هذه الآية من الانفاق على ذوى القربى والايتام والمساكين وأبناء السبيل والسائلين . والمماليك لفك رقابهم : فروع أو «مجالات» للفريضة الأصلية التى هى (الزكاة) التى جاء ذكرها فى الآية أخيراً بعد الصلاة .

(ثالثاً) أن الآيات القرآنية التى استدل بها الكاتب الفاضل على (أهمية) الانفاق فى سبيل الله على الصلاة والزكاة والصوم والحج ـ جاءت فى مواضع أو موضوعات أو مواقف خاصة ببخل الذين تحدثت عنهم الآيات وشحهم ، وعدم حبهم للإنفاق فى سبيل الله .. من المنافقين والكفار .

(رابعاً) إذا كان هناك تركيز ـ كما يرى الدكتور العمرى ـ فى هذه الآيات التى أوردها وفى غيرها على الانفاق فى سبيل الله ، فهو إنما حدث معالجة وتربية وترويضاً لما أكده القرآن أيضاً وركز عليه فى آيات وسور أخرى : من طبيعة (الشح) الغالبة فى الإنسان كقوله عز وجل فى سورة المعارج : ﴿**إن الإنسان خلق هلوعاً ـ إذا مسه الشر جزوعاً ـ وإذا مسه الخير منوعاً إلّا المصلين**﴾ .

ونلاحظ هنا استثناء القرآن (المصلين) من هؤلاء الأشحاء البخلاء مناعى الخير ، الجازعين من الشر .

وكقوله تبارك وتعالى ـ فى سورة العاديات : ﴿**وانه لحب الخير لشديد**﴾ وقوله : ﴿**وتحبون المال حباً جماً ـ وتأكلون التراث أكلاً لما**﴾ وقبل ذلك وفى السورة نفسها ـ سورة الفجر ـ يقول : ﴿**كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين**﴾ .

وكقوله ـ فى سورة الاسراء ـ ﴿**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً**﴾وقوله : فى سورة التغابن ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ .

وفى التوجيه النبوى الذى يرويه مسلم : (**اتقوا الشح .. فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**) .

● فليس ما جاء من تركيز ـ فى هذه الآيات المعدودة المحدودة على الانفاق فى سبيل الله .. دليلاً .. على أهميته فوق الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وليس هو كذلك برهاناً على أن القرآن جعله فى مستوى الإيمان ـ كما قال الدكتور العمرى .

النفس الإنسانية ! !
فى حديث القرآن

نتناول فى دراستنا هذه (النفس) الإنسانية ـ فى ضوء القرآن الكريم ـ تعقيباً على ما جاء فى كتاب صدر حديثاً بعنوان : (النفس الإنسانية فى القرآن الكريم) للأستاذ إبراهيم محمد سرسيق ..

وقد تناول المؤلف الفاضل فى كتابه : مفهوم النفس الإنسانية ـ ونماذجها فى القرآن .. الأمارة بالسوء ـ واللوامة ـ والمطمئنة ـ

وأهداف القرآن فى النفس البشرية الخ .

وكنت قد قرأت الكتاب خلال رحلتى إلى نيجيريا فى شوال سنة ١٤٠١هـ وعدت إليه الآن : فوجدت بعض الهوامش بقلمى على بعض صفحاته .. فأحببت أن أحاور حولها الصديق العزيز الأستاذ إبراهيم . الذى أقدر له جهاده الصحفى الإسلامى حق قدره ، وأسأل الله له مزيداً من التوفيق .

* * *

● فى ص ٤٩ ـ وجدته ينقل عن الإمام الشوكانى رحمه الله من كتابه (فتح القدير) عن الآية القرآنية : ﴿**وما أبرىء نفسى إنَّ النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربى**﴾ .. «قوله : إن كان ذلك من كلام يوسف فهو من باب الهضم للنفس ، وعدم التزكية لها .. مع أنه قد علم هو وغيره من الناس أنه برىء ، وظهر ذلك ظهور الشمس ـ وإن كان من كلام امرأة العزيز فهو واقعٌ على الحقيقة ، لأنها قد أقرَّت بالذنب ، واعترفت بالمراودة والافتراء على يوسف ..) .

قلت : عجبت كثيراً أثناء مطالعاتى لكتب التفسير من ذهاب كثيرٍ من المفسرين إلى أن هذه الآية : ﴿**وما أبرىء نفسى .. إن النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربى**﴾ من كلام سيدنا يوسف عليه السلام ، مع أن سياق الآيات قبلها ، وواقع القصة يمنعان ذلك ، ويؤكدان أنه تتمة لكلام إمرأة العزيز الذى بدأته بقولها بين يدى الملك وفى حضور النسوة الأخريات : ﴿**قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق .. انا راودته عن نفسه ، وانه لمن الصادقين ـ**

ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ـ وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربى ، إنَّ ربى غفور رحيم ..﴾[1]

هذا هو سياق الآيات الثلاث المتابعة وكلها من حديث امرأة العزيز جواباً على مسألة الملك عندما امتنع يوسف عن الخروج من السجن والحضور إلى الملك : **﴿وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتى قطَّعن أيديهن ! إن ربى بكيدهن عليم ـ قال : ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ! قلن حاش لله : ما علمنا عليه من سوء ـ قالت امرأة العزيز ..﴾** الخ[2]

إن يوسف عليه السلام رفض أن يحضر من السجن عندما طلبه الملك وبعد أن استمع إلى تفسيره لرؤياه كما نقله إليه الفتى الذى كان سجيناً مع يوسف ، وعرف صدقه وقدرته على تأويل الأحلام ـ أجل لقد رفض الحضور إلى الملك حتى تعلن براءته من النسوة ومن امرأة العزيز .. فلما سمع الملك جواب النسوة أولاً ثم الاجابة المهمة والمطلوبة بالدرجة الأولى .. وهى إجابة امرأة العزيز طلبه للمرة الثانية **﴿وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ..﴾**[3] .

فالسياق والسباق خلال آيات هذا المقطع من قصة يوسف عليه السلام .. ابتداء من تعبيره لرؤيا الملك ـ وهو فى السجن ـ ثم طلب الملك إياه أن يحضر لديه ، وامتناع يوسف عن الحضور حتى

---

(١) سورة يوسف ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) سورة يوسف ٥٠ ، ٥١ . (٣) سورة يوسف ٥٤ .

يسمع الملك جواب امرأة العزيز والنسوة الأخريات عن ما اتهم به ـ ثم حضور هؤلاء النسوة وامرأة العزيز وإعلانهن جميعاً براءة يوسف .

.. أقول : ان سباق الآيات وسياقها يؤكدان أن هذه الآية **﴿وما أبرىء نفسى .. إن النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربى﴾** من كلام امرأة العزيز لأنها اعترفت بخطيئتها وبراءة يوسف ، ولذلك عقَّبت على اعترافها بأنها لا تبرِّىء نفسها من الخطأ .. فالنفس البشرية أمارة بالسوء ..

أما يوسف فقد كان غائباً ـ فى السجن ـ عن مجلس الحوار بين الملك والنسوة وامرأة العزيز ... ثم هو برىء فعلاً ، وليس فى مقام اتهام واعتراف بالذنب كما هو مقام امرأة العزيز .

ولذلك فأنا أرى أنه لا محل لتردد الامام الشوكانى بين نسبة الكلام فى الآية ليوسف أو لأمرأة العزيز .

* * *

● وفى ص ٥٢ ـ يقول الأستاذ إبراهيم سرسيق : إن الله سبحانه أورد الناس ـ فى الآية موضوع البحث ـ فى صيغة الاستغراق المفيد لعموم الجنس .. ونظيرها قوله تعالى : **﴿إن الإنسان لفى خسر﴾** من سورة العصر .

ـ قلت : إن (ال) التعريف فى النفس : **﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾** وفى الإنسان : **﴿إن الإنسان لفى خسر﴾** هى للعهد وليست للجنس .

فليس جنس النفس عموماً أمارة بالسوء ـ وليس جنس

الإنسان عموماً فى خسر . وإنما المقصود : النفس المعهودة بالأمر بالسوء ، والإنسان المعهود بالكفر والجحود .

ولذلك جاء الإستثناء مُنقطعاً بعد هذا التعريف للعهد ـ لا للجنس ـ بقوله : ﴿**إلّا ما رحم ربى**﴾ وفى الثانية : ﴿**إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ..﴾

ولا أطيل بسرد الآيات القرآنية التى تثبت تكريم الخالق العظيم للإنسان ، وإنشائه فى أحسن تقويم ، وتفضيله على كثيرٍ من المخلوقات .

* * *

● وفى ص ٦٦ ـ يقول المؤلف الفاضل عن الآية الكريمة من سورة الشمس : ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾ : إن تقديم الفجور على التقوى سببه ـ والله أعلم ـ أن دواعى الفجور فى النفس أقوى ، ولذلك ورد الخبر بأن الجنة حُفَّت بالمكاره كما حُفَّت الجنة بالشهوات .

ـ قلت : إن التقديم هنا ـ فى رأينا ـ لمراعاة الفاصلة وهو كثير فى آيات القرآن الكريم كقوله عزّ وجل : ﴿**إن لنا للآخرة والأولى**﴾ وقوله : ﴿**قالوا آمنا برب هارون وموسى**﴾ .

ثم ان الحديث فى الآية ليس عن دواعى الفجور ودواعى التقوى ، ولكنه حديث عن بيان الله عز وجل للإنسان طريق الخير وطريق الشر ، كما قال تبارك وتعالى ـ فى سورة البلد ـ : ﴿**وهديناه النجدين**﴾ وفى سورة الإنسان : ﴿**إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً**﴾ ..

ونلاحظ هنا فى الآية الأخيرة أنه قدَّم الشاكر على الكافر مع أن الشاكرين المؤمنين من الخلق قليلون : ﴿**وقليل من عبادى الشكور**﴾ ولكن تأخر «الكفور» مراعاة للفاصلة أيضاً .

وقد امتاز القرآن كما نعلم جميعاً ـ ببلاغته اللفظية والموضوعية ، ولا غرابة فى ذلك فهو كلام العليم الحكيم ، وهو أحسن الحديث ، وأصدق الكلام .

* * *

ويقول المؤلف فى صفحة ٦٢ ـ ٦٥ : (هناك رأى يقول : «إن النفس اللوامة صفة ذم لا مدح ، وينسب هذا الرأى إلى قتادة وابن عباس رضى الله عنهم ـ اجمعين وقد توسط الإمام ابن القيم رحمه الله فى الأمر ، فلم يعتبر النفس اللوامة ممدوحة على الدوام ، أو مذمومة على الدوام ، وإنما نظر إليها من ناحية ما تلوم عليه فإن لامت على الخير فهى مذمومة ، وإن لامت على الشر فهى ممدوحة» .

ثم أضاف المؤلف الفاضل قوله : (واذن فهى نفس مترددة بين الخير والشر ، أو هى فى منزلة وسطى بين النفس الأمارة بالسوء ، التى اختارت السير على طريق الشوك ، والتخبط فى الظلام ، والتردى فى الإثم .. وبين النفس المطمئنة التى هى أعلى مراتب النفس وعندها السكون والطمأنينة) ..

ـ قلت : إن الله عز وجل يقسم بالنفس اللوامة ، وهو لا يقسم إلّا بعظيم أو طيب من مخلوقاته ، واذن فالنفس اللوامة هى النفس الطيبة التى تلوم صاحبها إذا ارتكب خطأ أو اجترح إثماً ،

وقد ذكر القرآن الكريم نموذجاً لهذه النفس اللوامة ـ فى سورة آل عمران ـ فى قوله تبارك وتعالى : ﴿**والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلّا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم ، وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين**﴾ [1] .

وفى الحديث النبوى : (**كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون**) .

والمؤلف الفاضل نفسه يذكر فى (ص ٦٥) إن الله لا يقسم إلّا بأعلى الأشياء وأكرمها وأعظمها ـ واذن فلا حاجة إلى سرد الأقوال والآراء المتناقضة أو المتعارضة عن (النفس اللوامة) فهى النفس الطيبة التى تلوم صاحبها على ما تخطىء فيه ، أو تظلم ، أو تأثم ، وآيات آل عمران تكفى للدلالة على ذلك وتأكيده .

* * *

● وفى (ص ٧٠) يقول الأستاذ إبراهيم عن قوله عز وجل (لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة ..) : لقد وردت الآيتان فى مطلع سورة القيامة متضمنتين صورة القسم دون تحقيقه وإمضائه ـ ويبدو أن التلويح بالقسم دون تحقيقه وإمضائه جاء لحكمةٍ جليلة ، وهى التدليل على أن المقسم عليه أمر لا يحتاج فى وضوحه وثبوته وتيقنه إلى قسم .

---

(١) سورة آل عمران ١٣٥ ، ١٣٦ .

ـ قلت : إن الله عز وجل عندما يقسم على أمر لابدَّ من إيراد المقسم عليه ظاهراً والا لم يكن للقسم الآلهى داع أو حاجة أو مبرِّر ، والمقسم عليه هنا فى أوائل سورة القيامة موجود وظاهر ، والحاجة إليه داعية ، وهو قوله عز وجل : ﴿**بلى قادرين على أن نسوِّى بنانه**﴾ وإن كانت قد وقعت بينه وبين القسم جملة معترضة هى قوله تبارك وتعالى : ﴿**أيحسب الإنسان ألَّن نجمع عظامه**﴾ فهى جملة مهمة وضرورية لأنها هى موضوع القسم ، وهى سببه ، والداعية إليه ..

ذلك أن موضوع القضية الذى أقسم بسببه هو : إنكار الكفار للبعث والنشور يوم القيامة ، واستكثارهم أو استعظامهم أن يُحيى الله العظام وهى رميم .. كما جاء ذلك فى أواخر سورة (يس) ﴿**وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم ـ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾ وهنا فى سورة القيامة جاء قوله : ﴿**أيحسب الإنسان ألَّن نجمع عظامه**﴾ فكان التعقيب وهو المقسم عليه : ﴿**بلى قادرين على أن نسوى بنانه**﴾ وهى عظام أصابع اليدين وهى أصغر العظام فى جسم الإنسان وأدقها ، والقادر على جمع الصغار قادر على جمع الكبار .. تبارك وتعالى عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً .

وقد أوردت كتب التفسير روايات متعددة عن أسباب نزول سورتى القيامة و(يس) وسمَّت الأشخاص المستنكرين والمستكثرين للبعث والنشور ..

* * *

● وفى (ص ٩٠) يشير المؤلف الفاضل إلى ما يقرره علماء النفس العصريون من وجود (الذات العليا) أو (الأنا العليا) وضرب الأستاذ إبراهيم مثلاً لما يقرره هؤلاء : نفسية الرسول عليه الصلاة والسلام .. وهو فى غار ثور عند هجرته من مكة الى المدينة ، عندما قال له أبوبكر رضى الله عنه : يا رسول الله لو نظر أحدهم ـ أى المشركون الذين كانوا يطاردون الرسول ـ تحت قدميه لرآنا» !

يقول الأستاذ إبراهيم (.. وهنا تجلت النفس المطمئنة بأروع مظهر ، وأبدع مخبر ، وربط الله على قلب نبيه محمد ﷺ فردَّ على أبي بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما) ؟

ـ قلت : إن نفوس الأنبياء لا يقاس عليها ، فإنهم صلوات الله وسلامه عليهم ينفردون بالوحى الإلٓهى دون سائر البشر ، وإنما نستطيع أن نضرب المثل للنفس المطمئنة أو (الذات العليا) كما يسميها علماء النفس العصريون ـ بنفس (بلال بن رباح) رضى الله عنه عندما كان يعذِّبه المشركون فى مكة بأشد أنواع العذاب ، فيقول : (أحد .. أحد) حتى أنقذه أبوبكر رضى الله عنه فاشتراه من سيده أمية بن خلف ثم اعتقه ، وقال عنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا)؟؟

ومثله (خبيب الأنصارى) الذى أسره المشركون فى مكة وسجنوه ، ثم خيروه بين الموت والارتداد إلى الشرك ، والإيمان باللات والعزى ـ فكان رده : والله لن أرجع عن الإسلام ، وإن قتلى فى الله قليل .

* * *

● وفى ص (٩٣) يقول المؤلف الفاضل : من المعلوم أن صاحب النفس الأمارة يجاهد نفسه ، ويغالب هواها .. لِكفِّ شرها ، والحدِّ من طغيانها ـ ثم يورد نقلاً عن ابن القيم أنه قال : «فى الزمن الذى يشتغل هذا بنفسه ، ومحاربة هواه وطبعه يكون صاحب النفس المطمئنة قد قطع مراحل من سيره ، وفاز بقرب صاحب المنازعة والمحاربة» !

ـ قلت : هذا الوصف الذى جاء فى كلام الأستاذ إبراهيم سرسيق ، وفى مقالة ابن القيم .. ينطبق على (النفس اللوامة) أما النفس الأمارة بالسوء فهى التى تنقاد لهواها دون مجاهدة ولا مغالبة ولا مكايدة . فتشرب الخمر ـ مثلاً ـ أو تأكل الحرام ، أو تزنى ، وهى ملتذة بما تقترف من منكر ، سعيدة بما تمارس من حرام !

النفس الإنسانية : واحدة !

وكتب الدكتور محمد النقيب العطاس فى جريدة المدينة يوم ١٤٠١/٢/٤هـ مقالاً عن (طبيعة المعرفة .. وتحديد أهداف التعليم) ابتداء بالحديث عن (الإنسان) فقال : للإنسان نفسان على قياس طبيعته الثنائية .. فالنفس الأعلى هى النفس الناطقة والنفس الأدنى هى النفس الحيوانية .. (والصواب أن يقول : العليا والدنيا) وعلى النفس الناطقة أن تعلو على النفس الحيوانية .. الخ .

● والحقيقة العلمية والدينية : أن للإنسان نفساً واحدة وأن الله عز وجل خلق الإنسان إنساناً ولم يخلق بعضه انساناً وبعضه حيواناً والقرآن الكريم صريح وفصيح بأن الله كرم بنى آدم وفضّلهم على

كثيرٍ من المخلوقات الأخرى .. وبأن الله خلق الإنسان فى أحسن تقويم .. وأنه صور الناس فأحسن صورهم ومنحهم عقولاً واسماعاً وأبصاراً ليتفكروا ويتدبَّروا ثم يعملوا على بينةٍ وعلى بصيرة : ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾ .

وإذا وقع من النفس الإنسانية خطأ أو انحراف عن الصراط المستقيم فهو صادر من النفس ذاتها لجهلٍ أو سفهٍ أو ضلال وقد تعود النفس إلى الصواب فتهتدى أو تبقى فى الضلال فتشقى .

والقرآن الكريم عندما يصف النفس مرةً بأنها لوامة ، وأخرى بأنها أمَّارة بالسوء ، وثالثة بأنها مطمئنة ، فهى أوصافٌ لنفس واحدة .. تتعدَّد أهواؤها ، وتتكرَّر أخطاؤها ، وتختلف مجالات تقديرها وتدبيرها .

* * *

وذهب الدكتور العطاس فى مقاله إلى أن الاسلام لا يقبل نظرية العقد الاجتماعى الذى وضعه الإنسان فلا الدولة ولا المجتمع حقيقة فى نظره الخ .

وقد أسلفت القول مفصلاً فى كتابى (محاضرات فى الثقافة الاسلامية)[1] عن نظرية العقد الاجتماعى التى قال بها أولاً (وأيَّدها (جان جاك روسو) وتوسع فيها وقد عرف بها ـ وقلت : إن الإسلام سبق إلى إقرار هذه النظرية وأوردت كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام لعمرو بن حزم حين بعثه والياً على اليمن حيث بدأ

---

(١) ص ٢١٥ الطبعة السادسة .

هذا الكتاب بالآية القرآنية : ﴿**يآأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾ فهو بهذا يؤكد أن الحكم أو الحكومة إنما تقوم بين الحاكم والشعب على أساس التعاقد والاتفاق والرضا حيث لا تجب الطاعة للحاكم إلّا إذا حكم بما أنزل الله : (ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) .. الخ .

● وفى أول خطبةٍ لأبى بكر وهو أول خليفة بعد الرسول ﷺ قال : (**اطيعونى ما أطعت الله فيكم ـ فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم**) .

● فالحكومة الاسلامية ـ بلا ريب ـ عَقْدٌ إجتماعى بين الحاكم والمحكوم أو بين الحكومة والمواطنين لكل منهما حقوق على الطرف الآخر يجب أن تؤدَّى كاملة دون اختلال أو مطال[1] .

الراسخون فى العلم

فى كتابى : (مأدبة الله فى الأرض) الذى صدر سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م دراسة مفصلة للآية القرآنية : ﴿**هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب** ، وأخر **متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون فى العلم.. يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلّا أولوا الألباب**﴾[2]

وإنما أكتب هذا الفصل هنا تعقيباً وتأييداً للدكتور محمد عالم كبير خان ـ الطبيب الباكستانى ـ لما بحثه فى كتابه (الإسلام والطب

---

(١) أى مماطلة وتسويف .

(٢) سورة آل عمران ٧ .

الحديث) حيث قال فى مقدمته : (إن الإسلام دين الفطرة الإنسانية ، وهو مع كونه مصدراً للروحانية فهو فى الوقت نفسه أفضل وأكمل نظام للحياة المادية ، وإن الذى يسير فى نطاق أحكامه لا ينال الكمال فى حياته المادية والاقتصادية والسياسية فحسب ـ بل ينال أيضاً القوة والصحة والعافية فى نفسه وجسده) .

ثم أشار الدكتور خان إلى الآية الكريمة فقال : إن الآيات المحكمات هى الأسس الراسخة فى بناء الأحكام القرآنية ، وهى قطعية .. مفهومها واضح ومقاصدها ظاهرة .. لا تحتاج إلى تأويل ، ولا مجال فيها للاختلاف . أما الآيات الأخرى التى سماها الله عز وجل «بالمتشابهات» فهى الآيات التى مازالت حتى يومنا هذا عزيزة على إدراكنا ، ولا يستطيع المرء فهمها بعلمه وحواسه ، ولا يعرف معناها الحقيقى إلّا الله ، ويؤمن بها الراسخون فى العلم الذين هم المتضلعون فى علومهم ، أو ما نسميهم فى أيامنا هذه (بالأخصائيين) .

وأضاف الدكتور خان : إن نطاق العلم واسع جداً وهو آخذ بالاتساع يوماً بعد يوم . وإن كل علم فى الحياة من العلوم الدينية .. إلى علوم الطب والهندسة والزراعة والصناعة وغيرها ، يدخل فى نطاق العلم الذى أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿**والراسخون فى العلم**﴾ ومما يؤكد إعجاز القرآن أنه لم يترك حكماً من أحكامه ولا أصلاً من أصوله ناقصاً .. كما أشار إلى ذلك فى قول

الله عز وجل : ﴿**ونزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[1] .

فالآية تدل على أن الله قد فصَّل كل شيء بوضوح فى القرآن الكريم ، وان ما نحتاج إليه هو أن نؤمن به إيماناً كاملاً ثم نبحث عما نريد ، وسنجد مزيداً من التفصيل للآيات المتشابهات فى أحاديث نبى الإسلام ﷺ .. كما يشير إلى ذاك قوله تبارك وتعالى ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم . ولعلهم يتفكرون**﴾[2] .

● قلت : يبدو من كلام الدكتور خان هذا أنه يميل إلى الرأى القائل بإمكانية وصول الراسخين فى العلم إلى تأويل الآيات المتشابهات .

وذلك لأن العلماء اختلفوا فى تفسير الآية فقال فريق منهم بوجوب الوقف على نهاية هذا المقطع من الآية : ﴿**وما يعلم تأويله إلّا الله**﴾ ثم الابتداء بقوله : ﴿**والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**﴾ أى أن الراسخين فى العلم ليسوا معطوفين على لفظ الجلالة ، وإنما هى جملة مستأنفة مكونة من مبتدأ وخبر . ومعنى ذلك أن الآيات المتشابهات لا يعلم تأويلها إلّا الله وحده عز وجل ..

أما الفريق الثانى فيرى أن جملة ﴿**والراسخون فى العلم**﴾ معطوفة على لفظ الجلالة ، وان جملة ﴿**يقولون آمنا به كل من عند ربنا**﴾ هى حال وليست خبراً .. أى يعلمون تأويل هذه الآيات المتشابهات ، مع إيمانهم الكامل بها وبالمحكمات أنها جميعاً من عند الله تبارك وتعالى .

---

(١) سورة النحل ٨٩ .

(٢) سورة النحل ٤٤ .

ويستدل الدكتور خان على ذلك بدليلين (الأول) من القرآن نفسه ، من قوله عزّ وجلّ : ﴿**ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء**﴾ ، وقوله أيضاً : ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبيِّن للناس ما نُزِّل إليهم**﴾ ـ فالآيات المتشابهات لا بدَّ أن تكون معلومةً .. ولكن ليس لكل الناس وإنما للراسخين فى العلم منهم ، وفى مقدمتهم الأنبياء والرسل الذين مهمتهم تبيان أحكام الكتب وتفسير ما أجمل منها .

والدليل الثانى : تفسيره (للراسخين فى العلم) بما نسمِّيه فى عصرنا الحاضر بالأخصائيين ـ أى ذوى التخصص فى علوم الطب والهندسة والزراعة والصناعة فهؤلاء العلماء المتخصصون فى علومهم ، المتعمقون فى أبحاثهم ودراساتهم وتأملاتهم .. كل فى مجال علمه وتخصصه يستطيعون ـ بل استطاعوا فعلاً ـ أن يصلوا إلى حقائق القرآن العلمية .. التى لم تعرف من قبل للأجيال السابقة بحكم افتقاد هذه التخصصات العلمية .. فى عصورهم الغابرة .

واستطيع أنا أن أضيف إلى استدلالات الدكتور خان ما يزيد هذا الأمر وضوحاً وتأكيداً لصحة مذهبه فى فهم الآية القرآنية .. فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾[1] .

وقد تحقق مفهوم هذا التحدى الإلهى فى الكثير من تطورات العلوم خلال العصور الحديثة . فمن الآيات المتشابهات قوله عز وجل : ﴿**سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن**

---

(١) سورة فصلت ٥٣ .

أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ وقوله تعالى : ﴿**ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكَّرون**﴾ وقوله تعالى : ﴿**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق ما لا تعلمون**﴾ .

فهذه الآيات كانت فى عصر نزول القرآن وما بعده مما لا يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم فيما يأتى من الزمان .. فقد ثبت علمياً فى العصر الحاضر أن نظام (الزوجية) شاملٌ للجماد أيضاً .. مع الانسان والحيوان والنبات ، أى فى جميع المخلوقات بما فى ذلك الذرة التى هى أصغرها ولا ترى بالعين المجردة .

وكذلك الأمر فى مجال النقل والانتقال تحقق إعجاز القرآن الكريم كما وقع التحدِّى الإلهى بإظهار القدرة الإلهية وإثبات صدق القرآن وصدق الرسول .. فعلَّم الله تبارك وتعالى الإنسان ما لم يعلم .. من اختراع السيارة فالطائرة فالمراكب الفضائية .. والبقية آتية لا ريب فيها .

وإذن فالراسخون فى العلم يعلمون تأويل المتشابهات من آيات القرآن الكريم ، مع إيمانهم الكامل بأنها من عند الله كالآيات المحكمات تماماً .. والفرق بينهم وبين الذين فى قلوبهم زيغ أن هؤلاء يفسرون المتشابه من آيات القرآن عن جهل وسفه وهوى ليتخذوا منه حجة لمذاهبهم الضالة ويزعمون أنهم إنما يتبعون القرآن ، وهم ـ فى واقع الأمر ـ يتبعون الشيطان .

ونضرب ـ مثلاً ـ من هؤلاء الذين فى قلوبهم زيغ يوضح كيف اتخذوا من المتشابه حجةً على ضلالهم المبين .وهذا مثل هم أتبع الدين المسيحى الذين حرَّفوا عقيدة (التوحيد) عما جاءت به فى التوراة

والانجيل ، كما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام ـ حرَّفوه إلى الشرك والوثنية بزعمهم : أن الله ثالث ثلاثة ، وأن المسيح عليه السلام ابن الله .

لقد احتجوا على سلامة عقيدة التثليث التى لم تكن أصلاً من أصول كتبهم المقدسة ، وعلى أن المسيح عليه السلام ابن الله تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ بما جاء فى كتبهم أولاً وبما أيّده القرآن أخيراً .. من أن الله عزّ وجلّ خلق المسيح من أمٍّ بلا أب ، وأنه ـ أى المسيح ـ روحٌ منه .. أى من الله .

وقد تكرر الحديث فى القرآن الكريم عن كيفية خلق المسيح ، ونكتفى بما جاء فى سورة مريم وما جاء فى سورة التحريم ـ وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿**فأرسلنا إليها روحنا فتمثَّل لها بشراً سويا**﴾ وقوله تعالى ﴿**ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ..**﴾ ـ وكيفية نفخ الروح فى مريم الذى كان وسيلةً أو سبباً أو علامةً لخلق المسيح فى رحم مريم ـ هذه الكيفية من المتشابه الذى يفوض علمه إلى الله ، وليس فى هذه الآية أو الآيات التى تحدثت عن خلق المسيح وحمل مريم له ما يفهم منه أن المسيح هو ابن الله ، وأن جبريل عليه السلام الذى كان رسولاً إلى مريم يبشرها بميلاد المسيح ، وواسطة لنفخ الروح بطريق مباشر أو غير مباشر ـ أصبح ـ أى جبريل ـ شريكاً فى الألوهية (الأب ، والابن ، وروح القدس) .

ولكن هؤلاء الذين فى قلوبهم زيغ يحتجون بأن الله عزّ وجلّ قال : إنه أى المسيح (روحٌ منه) وأنه نفخ مريم من روحه ، فهو

إذن بزعمهم ـ ابن الله ! !

هذا مثل واحد من أمثلة كثيرة على مرضى القلوب الذين ينحرفون بتأويل المتشابه من آيات القرآن الكريم إلى تأييد معتقداتهم الضالة ابتغاء الفتنة كما قرر القرآن نفسه ذلك .

أما الراسخون فى العلم فقد يدركون تأويل هذا المتشابه مع إيمانهم بالله وبالقرآن وبالرسول جميعاً ويكون تأويلهم متفقاً مع هذا الإيمان .. لا منحرفاً أو منصرفاً إلى ما يخالف عقيدة التوحيد وشريعة الاسلام ، وقد جاء وصف هؤلاء الراسخين فى العلم فى آية أخرى من القرآن بما يؤكد التزامهم (بالإيمان) قبل كل شىء وهى قوله عزّ وجلّ : ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[1] .

---

(١) سورة فاطر ٥ .

الفصل الثانى

قضايا قرآنية

- القرآن صريح فى اثبات السحر والحسد .
- القرآن والعلم الحديث !
- حوار مع الدكتور مصطفى محمود .
- حوار مع الشيخ على الطنطاوى .
- هل كان الرسول يعلم الغيب ؟
- مصادر القرآن كما يقررها القرآن .
- اليهودية بدأت مع موسى .
- خطاب القرآن لأهل الكتاب خطاب لنا .
- المسألة الجنسية وامرأتا نوح ولوط وبناته .
- معرفة الجنين ، والأرحام الصناعية ، ومفاتيح الغيب .
- القرآن هل حرم تعدد الزوجات !
- هل نملك نحن تحريم التعدد !

القرآن صريح باثبات :

السحر والحسد

نشرت مجلة (المسلمون) ـ خلال سنة ١٤٠٥ ـ تحقيقات مطولة عن (السحر) متتابعة اسبوعياً وهى تحقيقات مهمة للقارىء المسلم .

وفى ندوة تليفزيونية ـ منذ أكثر من عشر سنوات ـ دار حوار طويل بين الأساتذة «على الطنطاوى ، وضياء الدين رجب رحمه الله، والدكتور مجاهد الصواف» ـ حول حقيقة السحر والحسد . وكان من [illegible] الأستاذ الطنطاوى : أنه لا حقيقة للسحر كما أنه لا حقيقة للحسد . وأن حديث عائشة «رضى الله عنها» عن سحر الرسول ﷺ هو حديث آحاد ـ ولو انه مروى فى صحيح البخارى ـ لأن اعتقاد سحر الرسول ينافى عصمته الخ ..[1]

ومن قبل حاورت الدكتور محمد محمد أبوشهبة ـ فى مجلة الحج سنة ١٣٨٨هـ ـ حول قوله : أن آية ﴿**ومن شر النفاثات فى العقد**﴾ فى سورة الفلق تعنى الكيادات من النساء تشبيهاً للكيد بالسحر والنفث فى العقد ، أو اللاتى يفتنّ الرجال الخ ..

وفى كتاب الأستاذ محمد توفيق بركات عن العالم الشهيد «سيد قطب» رحمه الله ـ قال : إنَّ الأستاذ سيد .. كان ينفى سحر النبى ﷺ ، لأنه يراه منافياً للعصمة ، متأثراً فى هذا الرأى بأفكار

---

(١) كرر الأستاذ الطنطاوى فى حديثه يوم الجمعة ١٤٠٥/٧/١ بالتلفاز السعودى ـ كرر رأيه فى أن السحر مجرد تخيل لا حقيقة له ، وكرر أيضًا تحديه للمشاهدين بأن يأتوا بساحر يسحره .. فيمنعه من التحدث إليهم ـ وكرره أيضًا للمرة الثالثة فى حديثه يوم الجمعة ١٨ ٣ ١٤٠٦ .

الشيخ محمد عبده .. التى تحرر منها قليلاً قليلاً الخ ..

* * *

ونبدأ فى حوارنا للعلماء الأجلاء باثبات «حقيقة» السحر من آيات القرآن الكريم ، ثم الحديث النبوى ، ونتبعها بآراء الفقهاء والعلماء قدامى ومحدثين . وبعد ذلك نتحدث عن حقيقة «الحسد» بالأسلوب نفسه والمنهج ذاته .. والله وحده هوالموفق والمستعان .

فأما (السحر) فقد أثبته القرآن الكريم فى مواضع كثيرة منه ــ منها :

أولاً : فى سورة البقرة ــ فى قوله عزّ وجلّ عن اليهود الذين اتهموا نبى الله سليمان بأنه كان ساحراً : ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلّا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون**﴾ .

ثانياً : فى المعوذة الأولى سورة (الفلق) : ﴿**ومن شر النفاثات فى العقد**﴾ .

ثالثاً : فى عدة سور من القرآن عن سحرة فرعون . وبخاصة قوله تعالى ﴿**وجاء بسحر عظيم**﴾ .

رابعاً : تكرّر ذكر القرآن لقول كل أُمة لنبيها عند تكذيبها اياه : انه ساحر ، أو أن ما جاء به : سحر .

خامساً : ان نبى الله موسى عليه السلام قد تأثر بفعل السحرة الذين جمعهم فرعون لمواجهة معجزة العصا التى احتج بها موسى على دعواه النبوة .. وهذا صريح فى قوله عزّ وجلّ : ﴿**فأوجس فى نفسه خيفة موسى**﴾

وفى الآية الأولى يذكر القرآن أن أساليب السحر جاءت إلى الأرض لأول مرة ــ فى بابل ــ نزل بها الملكان هاروت وماروت .. جاءا فى صورة بشرين ، وأن الله أراد بنزول هذه الأسرار فتنة الناس وامتحانهم : وفى ذلك اعتراف صريح بحقيقة السحر ، وتحقيق عن كيفية نزوله ، وتاريخه ومكانه .

كما أنه صريح فى تقرير أثره فى التفريق بين المرء وزوجه ، وإن كان ذلك لا يحدث إلّا باذن الله ومشيئته : ﴿**وما هم بضارين به من أحد إلّا بإذن الله**﴾ ويلاحظ فى هذا الاستثناء اثبات لضرر السحر أيضاً .

كما أن فى آية سورة الفلق : ﴿**ومن شر النفاثات فى العقد**﴾ اثباتاً لحقيقة الشر الذى يسببه السحر ، ولهذا جاءت السورة تعلّمنا الاستعاذ من شر السحر .

وفى الآية : ﴿**فأوجس فى نفسه خيفة موسى**﴾ إثبات لخوف موسى مما رأى من فعل السحرة ، ولم يزل عنه خوفه حتى طمأنه الله عز وجل بقوله ﴿**قلنا : لا تخف إنك أنت الأعلى**﴾ .

حقيقة السحر وأنواعه

.. وقد تعرضت كتب التفاسير كلها لقضية السحر ، عند

الحديث عن آية البقرة المذكورة آنفاً ، وسورة الفلق : وأوردت ما جاء من أحاديث وأخبار وآثار ، ووقائع حدثت لبعض الصحابة والتابعين . ونكتفى من أقوالهم بما جاء فى تفسير امام المفسرين (الطبرى) وما جاء فى تفسير (القرطبى) الجامع لأحكام القرآن :

● ان امام المفسرين الطبرى ـ رحمه الله ـ يتحدث باسهاب [1] فى تفسير قوله تعالى : ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر . وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت**﴾ فيذكر : ان الله بهذه الآية برأ سليمان من اتهام اليهود له بالسحر ، وأنه كان يستعبد به الانس والجن ، ويسخرهما لخدمته ـ وأن الشياطين هم الذين علموا الناس السحر ـ وأن السحر موجود قبل سليمان ـ أى فى عهد فرعون وموسى ، ومن قبله عهد نوح إذ قال له قومه : انه ساحر ـ هناك اختلاف بين الفقهاء فى القول بأن : العلم بالسحر لا اثم فيه وإنما الاثم فى العمل به ـ وأورد حديث سحر يهود بنى زريق للنبى ﷺ ، وفسر قوله تعالى : ﴿**ما يفرقون به بين المرء وزوجه**﴾ أى بالسحر ، وقوله : ﴿**ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم**﴾ أى السحر أيضاً ، وقوله : ﴿**ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق**﴾ أى اشترى السحر كذلك .

ويقول الطبرى [2] عند تفسيره : ﴿**ومن شر النفاثات فى العقد**﴾ : أى من شر السواحر اللاتى ينفثن فى العقد حين يرقين

---

(١) جـ ٢ ص ٣٥٦ .

(٢) جـ ٣ ص ٢٢٧ .

عليها . ونحو ذلك قال أهل التأويل – يعنى – ابن عباس والحسن وقتادة الخ ..

* * *

● ويقول القرطبى فى تفسيره[1] ما خلاصته : ان السحر حق ، وله حقيقة يخلق الله عنده ما شاء ، ومن السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة ، ومنه ما هو كلام يحفظ ، ورقى من أسماء الله تعالى ، وقد يكون من عهود الشياطين ، ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك – ومن السحر ما يكون كفراً من فاعله مثل ما يدعون من تغيير صور الناس ، واخراجهم فى هيئة بهيمة ، وقطع مسافة شهر ، والطيران فى الهواء ، الخ ..

● وقد ذهب أهل السنة – كما يقول القرطبى – إلى أن السحر ثابت وله حقيقة وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة له ، وإنما هو تمويه وتخييل ، ولا حجة لهم . فقد ثبتت أمور جوزها العقل وورد بها السمع . فمن ذلك ما جاء فى القرآن الكريم : ﴿**يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت**﴾ ، فلو لم يكن له حقيقة لم يكن تعليمه ، ولا اخبر سبحانه أنهم يعلمون الناس ، فدل على أن له حقيقة .

● ومن ذلك – كما يقول القرطبى – سورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم – الحديث ، وفيه أن الرسول ﷺ قال لما حُلَّ عنه السحر (إن الله شفانى)

---

(١) جـ ٢ ص ٤٤ .

والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض فدل على أن له حقاً وحقيقة فهو مقطوع به باخبار الله ورسوله على وجوده ووقوعه ، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الاجماع ، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم للحق .

ثم فصل القرطبي آراء الفقهاء واختلافهم فى حكم الساحر من تكفيره وقتله ، أو قبول توبته وطلب حل السحر منه عن المسحور الخ .. مما يدل دلالة واضحة على كون السحر حقيقة واقعة ، وانه قضية مسلمة .

النفاثات فى العقد هن السواحر .

أما آية : ﴿**ومن شر النفاثات فى العقد**﴾ فقد أسلفنا قول الإمام الطبرى من أنهن (السواحر) اللاتى ينفثن فى العقد حين يرقين عليها ، ونضيف هنا : أن القرطبي ـ فى تفسيره[1] ـ يرى الرأى نفسه .

ولا ندرى موجباً لتأويل (النفاثات) بالكيادات كما يذهب الدكتور أبوشهبة ـ رحمه الله ـ لأن ألفاظ الآية صريحة فصيحة ، وليست مشتركة المعانى ، ولا ضرورة لصرفها عن مفهومها الحقيقى إلى ذلك المعنى المرذول وهو كيد النساء وفتنتهن .. التى لا مجال لها فى موضوع السورة ومقاصدها وسياقها .

وإذا عرفنا أن نزول السورة مسبب بما ثبت فى الأحاديث الصحيحة ـ التى يرى الدكتور نفسه أنها مفسرة القرآن فى الدرجة

---

(١) جـ ٢٠ ص ٢٥٧ .

الأولى ـ من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سُحر فعلاً ، وأنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وهو لم يفعله وأن جبريل عليه السلام نزل بالمعوذتين ، فكلما قرأ آية انحلت عقدة الخ ـ كان تأويل ﴿**النفاثات فى العقد**﴾ بالكائدات أو الفاتنات أشد سخفاً وأكثر تفاهة .. ولو قال به بعض أئمة التفسير الأقدمين كما يذكر الدكتور دون أن يعين أسماءهم ، والاحتجاج برأى المجهول مردود .

ونفرض جدلاً ـ والجدل غير التسليم ـ أن نزول السورة غير مسبب بسحر الرسول ﷺ مع أن الحديث الصحيح يثبت ذلك ـ فالله عزّ وجلّ يعلم فى هذه السورة رسوله عليه الصلاة والسلام : أن يستعيذ من شر السحر ممثلاً فى النفث فى العقد ـ كما يستعيذ من شر ما خلق ، ومن شر الليل إذا أظلم أو اشتد ظلامه ، ومن شر الحسد والحاسدين . فكل هذه الأمور . أو هذه الشرور : (حقائق) وليست أوهاماً ولا تخيلات ولا تمويهات ، وإلا لما ارشد الله رسوله ـ وهو المعصوم ـ إلى الاستعاذة بالله منها .

كما أن (باب السحر) أحد الأبواب التى تدرس لطلبة المدارس فى كتب التوحيد .. كما تدرس لهم الرقى والتمائم ما يحل منها وما يحرم . ولفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والدعوة والافتاء والارشاد فتوى فى مجلة الجامعة الاسلامية أرشد فيها المستفتى إلى قراءة بعض الآيات القرآنية لفك السحر عنه .

حقيقة السحر فى الحديث النبوى :

أما ما جاء فى الحديث النبوى ـ عن حقيقة السحر ، فهو :

أولاً : حديث البخارى ومسلم الذى ترويه عائشة «رضى الله

عنها» قالت : كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ، ولا يأتيهن ـ قال سفيان أحد رواة الحديث : وهذا أشد ما يكون السحر ـ فقال يا عائشة : اعلمت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه ! أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى ، والآخر عند رجلى فقال الذى عند رأسى للآخر : ما بال الرجل ! قال مطبوب (أى مسحور) قال : من طبه ! .. قال : لبيد بن الأعصم ـ رجل من بنى زريق حليف اليهود ، كان منافقاً ـ قال : وفيم ! قال : فى مشط ومشاطة . قال : وأين ، قال : فى جف طلعة ذكر تحت راعوفة فى بئر ذروان ـ قالت عائشة : فأتى البئر حتى استخرجه فقال : هذه البئر التى أريتها وكأن ماؤها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين ، فقلت ـ أى عائشة : : أفلا تنشرت ! فقال : أما والله فقد شفانى واكره أن أثير على أحد من الناس شراً) .

قال شراح الحديث : ولم تنفرد عائشة بهذا الحديث .. بل رواه زيد بن الأرقم ، وابن عباس ، وأنس بن ماللك وقد صحح الحاكم حديث زيد بن الأرقم ـ وأما من زعم أن هذا يقدح فى شأن النبوة فحاشا أن يكون ذلك .

فالوحى محفوظ لا يثلمه عمل من أراد النيل منه ، والنبوة محفوظة رعاها رب السماء ، وسحر لبيد لم يكن يتعلق بشىء من ذلك ، ولم يكن الرجل معروفاً إلّا بربط الرجال عن النساء وعقدهم منهن ، وكان سحره فى هذا فقط ، وذلك هو الذى عمله مع الرسول ، والرسول بشر يقع عليه ما يقع على البشر ولا يقدح ما يقدع على الرسل من الأحداث فى رسالتهم قطعاً ، فهم يمرضون

ويصابون بالعلل والأسقام ، ويؤذون من قبل مخالفيهم وتحل بساحتهم الكوارث والبلايا فيصبرون ولا ينقص ذلك كله من مقام نبوتهم شيئاً ، ألم يكن محمد عليه الصلاة والسلام رموه بالطائف بالحجارة حتى أدمت قدميه ، أو لم يكن هشموا على رأسه الخوذة وكسروا رباعيته . وتعقد فى حفرة يوم أُحد ، أو لم تكن اليهودية سمت له الشاة فهل كل ذلك قدح فى شأن نبوته ! كلا! لا يقدح ذلك فى نبوته البتة . فكانت حادثة سحر ابن الأعصم اياه وقعت عليه كما تقع على الآدميين ولم تقدح فى شأن نبوته أصلاً ، لأن سحر هذا الرجل كان فى شىء يتعلق بمقتضى الغرائز البشرية ، ولا علاقة له أصلاً بالنبوة ولا بالوحى ولا بالقرآن ولا بالشريعة[1] .

ثانياً : يروى البخارى ومسلم أيضاً قول النبى ﷺ **(اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يا رسول الله : وما هى ؟ . قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرّم الله إلّا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)** .

فلو كان السحر لا حقيقة له ، وأنه وهم فكيف يجعله الرسول من السبع الموبقات ، ويضعه مع (حقائق) ست لا شك فى أنها وقائع مادية محسوسة .. وقائع وحقائق شريرة ولذلك رتّب الشارع عليها عقوبة صارمة جازمة ..

ثالثاً : فى حديث يرويه الترمذى : **(حد الساحر ضربة بالسيف)**

---

(١) عن مقال للأستاذ أبى تراب الظاهرى ـ بجريدة الرياض ١٣٩١هـ .

وفى حديث مرسل : (**من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أم كثيراً كان آخر عهده من الله**) .

* * *

وهذه بعض آراء الفقهاء والعلماء والمحدِّثين :

● قال الامام النووى : والصحيح أن للسحر حقيقة ، وبه قطع الجمهور ، وعليه عامة العلماء ، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة .

● وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : الجمهور على أن للسحر تأثيراً يغير المزاج ، فيكون نوعاً من الأمراض .

● وقال المارزى : جمهور العلماء على اثبات السحر ، وأن له حقيقة ، وقول من نفى السحر مردود لورود النقل باثبات السحر . ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عن نطق السحر بكلام ملفق ، أو تركيب أجسام ، أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص .

● وقال العينى فى (العمدة) : السحر ثابت محقق ، ولهذا أكثر البخارى فى الاستدلال عليه بالآيات الدالة عليه والأحاديث الصحيحة ، وأكثر الأمم من العرب والروم والهند والعجم تشهد بأنه ثابت وحقيقة موجودة ، وله تأثير ولا استحالة فى العقل فى أن الله يخرق العادة .

وجاء فى (الكافى) لأبى محمد المقدسى : أن السحر عزائم ورقى وعقد ، وأنه يؤثر فى القلوب والأبدان ، فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، واستدل بآيات البقرة والفلق وحديث عائشة فى البخارى ، ثم ذكر خلاف الفقهاء حول تكفير الساحر وقتله

الخ ..

وينتقد الامام الاسكندرى فى (الانتصاف) القدرية لانكارهم حقيقة السحر وخبط الشياطين ومعظم أحوال الجن . ثم يقول : «احذرهم قاتلهم الله» .

وهكذا يتضح لنا أن السحر حقيقة واقعية مادية محسوسة بما قدمنا من براهين قرآنية ونبوية وعلمية ، وليس تخييلاً أو توهيماً كما يذهب الفريق المخالف من العلماء .

تعاون السحرة مع الجن كما يؤكده القرآن :

أحد مشاهدى التلفاز السعودى هتف إلىَّ ظهر يوم الجمعة يسألنى عن ما طرحه الشيخ على الطنطاوى : من أن السحر خيال أو مجرد إيهام من الساحر . وتوهُّم من المسحور ، وليس حقيقةً أو واقعاً ـ واستدلال العالم المتحدث فى التلفاز على قوله : بأن الله عزّ وجلّ إنما خصّ نبيه سليمان بتسخير الجن له دون غيره من الأنبياء وكافة البشر ، فما يقال من استخدام السحرة لبعض الجن فى عمليات السحر ليس صحيحاً .. الخ ..

● قلت للسائل : إن هذه المسألة قديمة طرحها الشيخ الطنطاوى قبل أكثر من عشر سنوات منكراً للسحر كحقيقة ، ومنكراً للحسد وأثره على نفس المحسود أيضاً ـ وقد عقَّبت عليه بدراسة مطولة مفصلة نشرتها فى بعض مجلاتنا المحلية يومذاك .

● ثم سئلت السؤال نفسه ـ عن حقيقة السحر ـ وأجبت عليه باستدلال جديد فى باب (يسألونك) بمجلة (المسلمون) خلال عام

(١٤٠٢هـ) وهو أن نبى الله موسى عليه السلام قد تأثر بفعل السحرة الذين جمعهم فرعون ، لمواجهة معجزة (العصا) التى احتج بها موسى على دعواه النبوة . وهذا صريح فى قول الله عزّ وجلّ : **﴿فخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾**(١) .

فالآية تثبت أن موسى خاف فعلاً مما رأى من فعل السحرة ، ولم يزل عنه خوفه حتى طمأنه الله عزّ وجلّ بقوله : **﴿لا تخفْ إنك أنت الأعلى﴾**(٢) .

● وكون السحر أساسه تخييل أو إيهام لا يمنع أن يكون أثره ماديًّاً واقعياً على نفس المسحور وجسده ، شأنه فى ذلك شأن الأمراض العضوية التى يكون سببها إحساساً نفسياً ، فالعبرة بالأثر المادى الحقيقى على نفس المريض وجسده .. والمسحور كذلك .

* * *

أما قضية استخدام السحرة لمردة الجن وهم (الشياطين) الكفرة الفجرة ـ فهى أيضاً حقيقة واقعة .. لا يمنع منها كون سيدنا سليمان ابن داود عليه السلام قد اختصه الله عزّ وجلّ بتسخير الجن له ـ كما جاء ذلك مفصلاً فى آيات وسور متعددة من القرآن الكريم ـ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابى وقدور راسيات الخ .

فالله عزّ وجلّ قد سخَّر لسليمان كافة الجن ، كما سخَّر له الطير

---

(١) سورة طه ٦٧ ، ٦٨ .
(٢) سورة طه ٦٨ .

والريح كمعجزات خاصة به .. يأمرها وينهاها ويستعين بها على تحقيق دعوته ورسالته .

أما استخدام السحرة لمردة الجن ـ والعكس ـ فهو محدود فى مجال التعاون بينهما على الإثم والعدوان وقد أكَّد القرآن الكريم ذلك فى قوله تبارك وتعالى : ﴿**وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا .. يعلِّمون الناس السحر ، وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر . فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه . وما هم بضارِّين به من أحد إلّا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم**﴾(١) .

وهنا فى الآية نلاحظ قول الله عزّ وجلّ فى تقرير أثر السحر المادى الحقيقى : ﴿**فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه**﴾ وقوله : ﴿**ويتعلمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم**﴾والناس بالتجربة يعرفون أثر السحر فى التفريق بين الزوجين عن طريق (الربط) أو بتصوُّر الزوج أن وجه زوجته مخيف ذميم ، والعكس ، أو يجد رائحتها منتنة ، والعكس .. فينفر منها أو تنفر منه .

والقرآن نفسه يؤكِّد أيضاً تعاون مردة الجن (الشياطين) مع فساق الانس وكفارهم على الاثم والعدوان ومعصية الأنبياء والرسل ـ من ذلك قوله عزّ وجلّ ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبىّ عدُوّاً شياطين الإنس والجن ، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً**﴾(٢) وقوله أيضاً ﴿**ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد**

---

(١) سورة البقرة ١٠٢ .

(٢) سورة الأنعام ١١٢ .

استكثرتم من الانس . وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض ... .

● فالإيحاء فى الآية الأولى و (الاستمتاع) فى الآية الثانية هو حقيقة تبادل الاستخدام بين الفريقين فالسحرة يستخدمون مردة الجن فعلاً بأسماء وقراءات خاصة ، ويستجيب مردة الجن لهم بشروط قاسية تؤدِّى بالسحرة إلى الكفر ، وهناك الصالحون من الإنس يستخدمون الصالحين من الجنِّ لمقاومة المَرَدة منهم فيما أحدثوه من أذى للمسحورين والمسحورات .

والجن ـ كما يقص القرآن علينا ـ منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، أو منهم المسلمون ومنهم القاسطون (أى الظالمون) وهم ـ كلا الفريقين ـ يروننا ولا نراهم ويمتازون علينا بسرعة الانتقال والاتصال ، وبالتأثير الخفى فى سلوكنا وأحوالنا ، ولذلك أمرنا بالاستعاذة من شياطينهم ﴿**وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون**﴾ وجاء فى الحديث النبوى : (**إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم**)[2]

وهناك دليل آخر على حقيقة استخدام الإنس للجن فى صحيح الإمام البخارى رحمه الله ج/١٠ كتاب الطب باب الكهانة ـ عن عائشة رضى الله عنها قال : سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال : (**ليس بشىء ـ فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بشىء فيكون حقاً ـ فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق**

---

(١) سورة الأنعام ١٢٨ .

(٢) رواه البخارى .

يخطفها الجنى فيقرُّها فى أذن وليّه فيخلطون معها مائة كذبة)[1]

وجاء فى شرح الحديث للحافظ ابن حجر قوله : والأصل فيه استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقيه فى أذن الكاهن .. كما نقل ابن حجر عن الخطابى قوله . الكهنة قوم لهم أذهان ، حادة ونفوس شريرة ، وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب فى هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه .. وأضاف ابن حجر أنه لما جاء الإسلام حرست السماء من استراق الجن السمع من الملائكة ... وأرسلت عليهم الشهب فبقى من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب وإلى ذلك يشير قوله تعالى ﴿**إلّا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب**﴾ .

فما رأى الشيخ الطنطاوى فى اعتراف الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه العلاقة القائمة بين الجنى والكاهن واستخدام الثانى للأول فى استراق أخبار السماء قبل الإسلام وبعده !

● ● ●

بعد الفراغ من كتابة التعقيب السابق حضرنى دليل واقعى معروف لكثير من الناس .. غير ما اسلفت من أدلة القرآن والحديث النبوى ..

● هذا الدليل هو ما أطلق عليه فى عرف مستخدمى الجن اسم (المندل) وهو اسلوب يتخذه هؤلاء : باختيار شخص آخر تعصب عيناه ويقرأ الشيخ عليه بعض التلاوات الخاصة ، وفيها شىء من آيات القرآن الكريم ، فيرى هذا الشخص جماعة من الجن تحضر بين

---

(١) رواه البخارى .

يديه ، ويوجِّه الشيخ عن طريقه إلى رئيس هذه الجماعة الأسئلة المطلوبة لمعرفة حادث سرقة ، أو قتل ، أو اختفاء طفل أو امرأة ، ، فيجيب الرئيس ويدل على السارق أو القاتل أو المختفى شخصيته ومكانه .

وقد ذكر لى (الشيخ أ . ج . ح) كمثال وحجة على حقيقة (المندل وحجة على حقيقة (المندل) واستخدامه فى اكتشاف الأحداث الغامضة ـ أنه فى سنة (١٣٤٩هـ) اغتصب ثلاثة رجال شاباً وأدَّت عملية الاغتصاب إلى خنقه وقتله ، فاضطروا إلى أن يحفروا فى الدار التى كانوا مجتمعين بها حفرة عميقة ، ويدفنوا ضحيَّتهم فيها ويغطوا جثته بأكياس من الملح لئلا تتصاعد رائحة الجثة ، ثم غطوا الحفرة بالتراب .. وعادت الغرفة كما كانت كأن شيئاً لم يكن ! !

وأبلغ والد الشاب القتيل مديرية الأمن العام باختفاء ابنه .. وبدأ البحث والتحقيق مع أصدقائه وزملائه ، ولم يهتد مدير الأمن العام إلى الحقيقة .. وكان يشغل هذا المنصب يومذاك «مهدى بك المصلح» فاضطر إلى الاستعانة (بشيخ ..)[1] معروف يجيد اكتشاف أمثال هذه الحوادث عن طريق (المندل) وفعلاً تم العثور على المكان الذى دفنت به جثة الشاب القتيل ، وأخرجت من مدفنها بالدار ، وهى دار معروفة إلى الآن بحى (الشامية) واعترف القتلة ، وصدر الحكم الشرعى عليهم بالقصاص ، وعلِّقت جثثهم

---

(١) هو السيد محجوب شيخ ـ من عائلة « شيخ » المعروفة فى مكة المكرمة .

الثلاث أمام باب (الحميدية) التى كانت مقر مديرية الأمن العام تجاه أحد أبواب المسجد الحرام ..

وقد أصبحت الآن داخل حدوده بعد توسعته سنة ١٩٧٥هـ .

● ● ●

ونضيف إلى ما سبق حول استخدام الانس للجن ، والعكس ، ما قرأناه لفضيلة الشيخ عبد الحميد كشك العالم المصرى المعروف حيث يقول ـ فى مجلة اللواء الاسلامى يوم ١٤٠٣/٨/٢٧هـ .

«إنما ينشأ السحر عن اتصال ممقوت بين الإنس الشرير والشياطين المردة ..

قال جل شأنه : ﴿**ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ـ وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجَّلت لنا ـ قال النار مثواكم خالدين فيها إلّا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون**﴾ .

ومعنى قوله جل شأنه ﴿**ربنا استمتع بعضنا ببعض**﴾ أى انتفع بعضنا من بعض . فالشيطان لا يخدم الشرير من الإنس إلّا إذا كفر ، فترى بعضهم يتخذ صنماً فيسجد له أو يستهين بالمصحف إلى غير ذلك من مظاهر السوء والفحشاء عندئذ يقوم الشيطان بما يشير عليه الإنس ، وبما يأمره به من فعل السوء وهذا هو انتفاع الإنس بالشيطان» .

والحسد : حقيقة أيضاً !

أما «الحسد» الذى ينكره صاحبنا[1] فالقرآن الكريم يحدثنا ـ اثباتاً لحقيقته ـ فى عدة مواضع منه :

الأول : فى قصة يوسف مع أبيه يعقوب عليهما السلام ـ ثم مع اخوته ، فعندما قص يوسف على أبيه رؤياه : ﴿**يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين**﴾ خشى عليه كيدهم له نتيجة حسدهم إياه ، فقال : ﴿**يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً**﴾ ..

الثانى : عندما اصطحب اخوة يوسف شقيقه بنيامين ، فى عودتهم إلى مصر بطلب يوسف ـ على اعتبار أنه العزيز ظاهرا ـ أوصى يعقوب بنيه ، خوفاً عليهم من أعين الحاسدين بقوله : ﴿**يا بنى لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة ..**﴾ .

الثالث : فى قصة ابنى آدم قابيل وهابيل : ﴿**إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر .. قال لأقتلنك قال : إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ فإنما كان قتل قابيل لهابيل ـ حسداً له ـ لأنه كان أسعد حظاً منه بقبول قربانه .

الرابع : فى مجال الذكر المطلق لهذه الحقيقة النفسية الفطرية : «الحسد» وذلك فى قوله عزّ وجلّ : ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة . وآتيناهم ملكاً عظيماً**﴾ .

---

(١) الأستاذ على طنطاوى ينكر أثر الحسد على المحسود تمامًا كما ينكر أثر السحر على المسحور .. وقد تحدى المشاهدين أن يحسدوه كما تحداهم أن يسحروه ! !

الخامس : وهو المهم ـ لأن فيه اثباتاً لأثر الحسد السيء فى المحسود ـ أى شر الحسد ـ حسب تعبير القرآن نفسه ، وذلك فى المعوذة الأولى من سورة الفلق : ﴿**قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسقٍ إذا وقب * ومن شر النفاثات فى العقد * ومن شر حاسد إذا حسد**﴾ .

فنى قوله : ﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾ اثبات لشر الحسد أى أثره السيء فى المحسود .. ولوكان الحسد وهماً ، أو لا ضرر منه على المحسود ، ما أمرنا القرآن أن نستعيذ بالله منه .

* * *

ثم ما ورد من أحاديث وآثار يؤكد كون «الحسد» حقيقة نفسية ذات أثر سيء فى المحسود منها :

ـ .«**لا يجتمع فى جوف عبد : إيمان وحسد**» .

ـ «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» .

ـ «**دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء وهى الحالقة تحلق الدين**» .

ـ **ثلاث لا يخلو منهن أحد : الحسد ، والظن ، والطيرة ، أفلا أنبئكم بالمخرج من ذلك ! إذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا تطيّرت فامض**» .

ـ «**استعينوا على أموركم بالكتمان «فإن كل ذى نعمة محسود**» .

ـ «**إن العين لتدخل الرجل القبر «كما تدخل الجمل القدر**» .

أمثلة من ضحايا الحسد :

بعد ذلك نجد كتب التفسير ملأى بالتعليقات المؤيدة لحقيقة أثر العين على المحسود ، من ذلك ما ذكره القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»[1] ، تعقيباً على قول يعقوب لبنيه ـ كما حكاه القرآن : ﴿**وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ..**﴾ .. قال رحمه الله :

«لما عزموا الخروج خشي عليهم العين ، فأمرهم ألّا يدخلوا مصر من باب واحد وكانت مصر لها أربعة أبواب ، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً ، لرجل واحد ، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة .. قال ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم .. وفي ذلك دليل على التحرز من العين ، والعين حق ، وقد قال رسول الله ﷺ : «**إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر**» وفي تعوذه عليه السلام : «**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**»ما يدل على ذلك ..» .

ثم نقل قصة سهل بن حنيف ، حسده عامر بن ربيعة حين رآه وهو يغتسل بالخرار ، فقال عامر : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء .. فوعك سهل مكانه ، واشتد وعكه فأتى سهل النبي ﷺ فأخبره بالذي كان من شأن عامر ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**علام يقتل أحدكم أخاه ! أَلاَ بركّت إنَّ العين حق**» أي قلت ما شاء الله تبارك الله ثم أمره بالوضوء له ـ وفي رواية : اغتسل عامر

---

(١) جـ ٩ ص ٢٢٦ .

فغسل لسهل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه .. فراح سهل ليس به بأس الخ ..

ثم نقل القرطبي قصة حسد امرأة لعمرو بن العاص ، حيث سقط فى منزله من أثر عينها وعلم بذلك فأرسل لها فغسلت له كما فعل عامر بسهل .

ويقول القرطبي بعد ذلك ، ففى هذين الحديثين : أن العين حق ، وأنها تقتل كما قال ﷺ ، وهذا قول علماء الأمة ، ومذهب أهل السنة ، وقد انكرته طوائف من المبتدعة ، وهم محجوجون بالسنة واجماع علماء هذه الأمة ، وبما يشاهد من ذلك فى الوجود ، فكم من رجل أدخلته العين القبر ، وكم من جمل ظهير أدخلته القدر . لكن ذلك بمشيئة الله تعالى .

وروى القرطبي أيضاً قول الأصمعي : رأيت رجلاً عيوناً ـ بفتح العين وضم الياء ـ سمع بقرة تحلب ، فأعجبه شخبها ، فقال : أيتهن هذه ؟ فقالوا : الفلانية لبقرة أخرى يورون عنها فهلكت الاثنتان .

ونقل حديث (**لو سبق شيء القدر سبقته العين**) وقال إنه منقطع ولكنه محفوظ لأسماء بنت عيسى عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة متصلة صحاح .

ومن تعليقاته الأخرى نوجز ما يأتى :

● العين أسرع إلى الصغار منها إلى الكبار ـ إنها تؤثر فى الإنسان وتضعفه وتنحله ، وذلك بقضاء الله وقدره» ـ و «أن الرقى مما يستدفع به البلاء ومنها العين ـ وأن واجب كل مسلم اعجبه شيء :

أن يبرّك ، فإن الدعاء بالبركة يبطل تأثير العين» ــ و «أن العائن إذا أصاب بعينه ولم يبرّك فإنه يؤمر بالاغتسال ويجبر على ذلك إن أباه ، ويغسل المحسود بغسالته ــ إن من عرف ــ بالاصابة بالعين منع من مداخلة الناس دفعاً لضرره» .

يقول الدكتور محمد البهى ــ فى مجلة الفكر الإسلامى ــ : إذا قرأنا فى احدى السور القصار قول الله جل شأنه : ﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾ وجب علينا أن نؤمن بالحسد ، وبأنه مصدر شر وأذى للإنسان . أما كيف يوجد الحسد ؟ أو كيف يصل شره من الحاسد إلى المحسود ، فهذا أمر لم يستطع الإنسان حتى الآن أن يكشف عن المادة فى بساطتها وفى تركيبها فى معمل أو مختبر ، ويكاد يكون أثر الحسد فى المحسود يشبه فعل الميكروب إذا تمكن من جسم ضعيف .. والوقاية من الحسد فى التعوذ من شره» .

وبعد : فهكذا نرى القرآن صريحاً فى اثبات «حقيقة» السحر والحسد وكذلك أحاديث الرسول ﷺ وآراء الفقهاء والعلماء . فهل لا يزال ذلك العالم الفاضل على موقفه ، فيكرر قوله : تعالوا اسحرونى ــ تعالوا احسدونى ..

القرآن والعلم الحديث
عرض ونقد

خلال الصفحات التالية سوف احاول بإذن الله وعونه تقديم خلاصات أو إشارات عن دراسات الطبيب الفرنسى (موريس بوكاى) للقرآن العظيم مقارناً بالتوراة والانجيل ــ مع تعليقات سريعة

عليها .

يقول الدكتور (بوكاى) فى المقدمة :

إن ما ورد فى التوراة والانجيل عن الظواهر الطبيعية والبشرية ـ على قلته ـ يناقض العلم كل المناقضة ، فهو إذن لا يثبت أمام الدراسة النقدية التى كرّس لها المؤلف كتابه و «الكتاب المقدس» محشوٌّ بمعلومات علمية خاطئة .

وإن القرآن الكريم ليس فيه مسألة واحدة تناقض العلم الحديث ، بل إن كل ما ورد فيه من آيات وإشارات فى علم الفلك ، وعلوم الحيوان والنبات ، وعن التناسب البشرى .. يوافق تمام الموافقة معطيات المعارف العصرية التى كانت مجهولة فى عصر النزول . ويجعل المؤلف من هذه النتيجة حجة أخرى على أن القرآن الكريم أوحى به الله ، وأنه كتاب تقصر عقول البشر عن صنعه . وكانت حجة المؤلف الأولى هى أن القرآن العظيم بقى كما نزل على محمد ﷺ لم تمسه يدٌ بتغيير ، حفظ فى الصدور وقت نزوله ، ودونه كَتَبَةُ الوحى ، وضمَّه المصحف الشريف .

إن بوكاى أتقن العربية ودرس القرآن العظيم فى أصله وفى مختلف ترجماته الفرنسية ، كما راجع تفاسير القدامى والمحدثين من علماء المسلمين وأتيح له أن يجتمع فى المملكة العربية السعودية الشقيقة بالملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله ، وبعدد من علمائها ورجالها ـ وقد رتّب بوكاى كتابه وقسمه إلى الفصول الرئيسية الآتية :

ـ كتاب العهد الجديد .

ـ الأناجيل (الأربعة)
ـ القرآن الكريم ، والعلم الحديث .
ـ الأقوال القرآنية ، وأقوال الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) .
ـ القرآن العظيم والأحاديث النبوية ، والعلم الحديث .. وعدد صفحات الكتاب (٢٥٤)

فحص المؤلف فى الفصل الأول من الكتاب أسفار العهد القديم ـ التوراة ـ مشيراً إلى اختلاف النصوص المتداولة ، وإلى ضياع نصوصه الأصلية الثلاثة التى كانت تقرأ فى القرن الثالث قبل الميلاد ، كما ذكر المحاولة التى تجرى الآن لاستخلاص نص تأليفى موحد للتوراة على يد هيئةٍ من الخبراء الكاثوليكيين والبروتستانيين (المجتمع المسكونى) .

وأبرز المؤلف ما أصاب التوراة من تحريف وتغيير خلال مدة ألفى عام وما داخلها من تصويب وتصحيح مع اختلاف الروايات والترجمات مؤكداً أن أسفار العهد الجديد قوامها الذاكرة انتقلت بالإنشاد والرواية من جيلٍ إلى جيل .

وبمقارنة بعض الإشارات الواردة فى أسفار العهد القديم ـ التوراة ـ بمعطيات العلم الحديث استخلص المؤلف أن هذه الاشارات تتنافى كلياً مع المعارف العصرية ، وقد تناول على الخصوص المسائل المتعلقة بخلق العالم وبالطوفان .

ومحَّص المؤلف فى الفصل الثانى من الكتاب (الأناجيل) مبرزاً التناقض الموجود بين الأناجيل الأربعة التى تتباين رواياتها فى موضوع معيَّن ، وألقى نظرة على تاريخ الأناجيل الأربعة ومصادرها المتعددة ،

ثم قارن أقوال الأناجيل بالمعارف العلمية العصرية مبيناً تناقض تلك الأقوال وتعارضها مع معطيات العلم ، وانتهى إلى النتيجة الآتية : «إن ما يوجد فى الأناجيل من تناقضٍ واضح ، وأقوال يستحيل تصديقها ، وتعارض مع معطيات العلم الحديث ، وما طرأ على نصوصها من تغييرات متعاقبة كل ذلك يجعل من الأناجيل كتباً تتضمن فصولاً ومقاطع من صنع خيال الإنسان ، إلَّا أن هذه العيوب ليس من شأنها أن تُشكك فى وجود رسالة عيسى عليه السلام : وإنما يخلق الشك حول مراحل سير هذه الرسالة» .

* * *

وفى الفصل الثالث من الكتاب ـ تحدث المؤلف عن ثبوت صحة القرآن العظيم . مبيناً مراحل نزوله منجماً وتدوينه ، ومستخلصاً من ذلك أن القرآن الكريم وحى منزَّل من عند الله ، وأن يد البشر لم تعبث به ولم تتطرق إلى نصه بزيادة أو نقصان . وتناول بالدرس والتحليل مسائل النزول والجمع والتدوين المتعلقة بالمصحف الشريف مستنداً فى ذلك على أصح الروايات التأريخية ومستشهداً بعديد من الآيات الكريمة التى تثبت أن القرآن الكريم كلام الله المنزَّل .

وأجرى المؤلف بعد ذلك مقارنةً علمية بين أقوال القرآن العظيم وأقوال التوراة والانجيل مبيناً ما يوجد بينها من اتفاق أو اختلاف حول مواضيع معينة وردت فى الكتب السماوية الثلاثة ، وأثبت بالمقارنة والحجة أن ما تحدث به القرآن عن مسائل تتصل بخلق العوالم والطوفان ـ مثلاً ـ يختلف عما ورد فى التوراة والإنجيل ، وإن كل ما

ورد فى القرآن الكريم يتفق كليةً مع معطيات العلم الحديث بخلاف ما ورد عن نفس المواضيع فى أسفار العهد القديم والعهد الجديد .

* * *

إن الصلة بين الدين والعلم لم تكن متشابهة فى كل مكان وعصر . والواقع أن كتب الديانات التوحيدية تخلو كلها مما قد يحمل على أنه إدانة للعلم . غير أننا ــ من الوجهة العلمية ــ نرى أن رجال العلم كانوا يخاصمون السلطات الروحية لبعض الديانات ، وان السلطات المسيحية المسئولة لم تتخذ من تطور العلم موقف المنازعة ، وذلك طوال قرون عديدة ومن غير أن يكون لها سند من نصوص الكتب السماوية الصحيحة ، وقد اتخذت هذه السلطات فى حق رجال العلم الذين كانوا يسعون فى سبيل التقدم التدابير التى نعرفها ، فكانت تنفيهم من الأرض أو تحرقهم بالنار إذا لم يقبلوا دفع غرامة مع الرجوع فى مواقفهم والتماس الغفران ، وكثيراً ما تذكر فى هذا المقام محاكمة غاليليو الذى اضطهد بسبب أخذه بمكتشفات كوبيرنيك فى مسألة دوران الأرض ، وقد صدر عليه الحكم استناداً إلى تأويلات خاطئة للتوراة والانجيل .

أما الاسلام ، فإن موقفه من العلم كان ، بصفة عامة ، مغايراً لما سبق ذكره ولا أدلّ على ذلك من هذا الحديث النبوى المشهور : «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1] .

ومن الحقائق الرئيسية أن القرآن الكريم ، الذى يدعو دائماً إلى

---

(١) رواه ابن ماجة فى سننه .

التّزود بالعلم يزخر بالعديد من التأملات حول الظواهر الطبيعية ، المشفوعة بتفاصيل توضيحية توافق تمام الموافقة معطيات العلم الحديث ، ولا شبيه لذلك فى التوراة والانجيل .

* * *

ثم يتصدى الدكتور (بوكاى) لأخطاء بعض مفسرى القرآن الكريم ـ فيرى أن بعض مفسرى القرآن الكريم (بما فيهم أولئك الذين عاصروا عهود الحضارة الاسلامية الزاهرة) قد وقعوا ، عبر العصور فى أخطاء حين تفسيرهم لبعض الآيات التى لم يكن فى وسعهم أن يدركوا معناها الدقيق ، ولم يعط لهذه الآيات تفسيرها الصحيح إلّا فى عهود متأخرة قريبة من عصرنا هذا .

ويترتب على هذا أن المعارف اللغوية لا تكفى وحدها لفهم تلك الآيات القرآنية ، بل لا بدَّ للمفسر من أن يكون محيطاً بمعارف علمية متنوعة جداً ، إذ أن هذا النوع من الدراسة يكتسى طابعاً موسوعياً شاملاً ، وكلما مضينا قدماً فى مطالعة المسائل التى يعرضها القرآن الكريم يتضح لنا جلياً أنه لا بدَّ من الإحاطة بعديد من المعارف القرآنية لاستيعاب معنى بعض آيات الكتاب .

إن القرآن العظيم لا يهدف ـ كما هو معلوم ـ إلى إثبات بعض النواميس التى تتحكم فى الكون ، ذلك أن مقاصده الجوهرية دينية ، وهو إذْ يتحدث عن القدرة الإلَهية فإنه يدعو الناس إلى التدبّر فى ملكوته وفيما أبدعه الله من أكوان ، وتتخلل هذه الدعوة الإلَهية اشاراتٌ إلى وقائع يمكن أن يدركها البشر بالملاحظة ، أو قوانين سنها بقدرته الإلَهية وجعل نظام العالم خاضعاً لها ، وذلك فى

مجال علوم الطبيعة وفيما يتصل بالإنسان نفسه . وبعض هذه الإشارات لا يعسر فهمها ، إلّا أن البعض الآخر لا يمكن إدراك معناه إلّا إذا توافرت المعارف العلمية الضرورية لذلك ، وهذا يعنى أن إنسان القرون الماضية لم يكن فى مقدوره أن يفقه من تلك الإشارات إلّا معناها الظاهرى ، وذلك ما جعله فى بعض الأحوال يستخلص نتائج غير صحيحة بسبب نقصان علمه فى عصره .

* * *

ثم يقول بوكاى :

وقد محّصت القرآن الكريم باحثاً عما إذا كانت فيه إشارات إلى ظواهر لا تعسر على الفهم البشرى حتى ولو لم يكن العلم الحديث أثبتها ، وأعتقد أننى من هذه الناحية قد وجدت فى القرآن الكريم إشارات إلى وجود كواكب فى الكون تشبه الكوكب الأرضى ، ويجب القول إن عدداً من العلماء يعتبرون ذلك محتملاً جداً ولو أن المعطيات الحديثة لا تستطيع أن تقطع فيه باليقين ، وقد رأيت من واجبى أن أعرض لذلك ذلك مع التحفظ الذى يقتضيه الحال .

«ولما كنت قد شرعت فى هذه الدراسة منذ نحو ثلاثين عاماً ، فقد كان ينبغى أن أضيف إلى ما سبق ذكره فى علم الفلك : مسألة أخرى أشار إليها القرآن العظيم ، وأعنى بذلك غزو الفضاء ، وقد كان الناس يرون ــ وقت شروعى فى هذه الدراسة وعقب إجراء أولى تجارب إرسال الصواريخ الفضائية ــ أن الإنسان قد يتاح له من الإمكانات المادية ما قد يجعله يرتاد فى يوم الفضاء بعيداً عن محيط الكرة الأرضية ، وكانوا يعلمون إذ ذاك ــ بوجود آية

قرآنية جليلة تقول بأن الإنسان سوف يحقق يوماً هذا الغزو الفضائى ، وها قد تم اليوم تحقيق ذلك .

● قلت : نختلف مع (بوكاى) فى فهمه لآيات سورة الرحمن حول اختراق الفضاء ، فالآيات المشار إليها لا تعنى ذلك . وقد أوضحنا وجهة نظرنا مفصلة فى كتابنا (القرآن كتاب أحكمت آياته) الجزء/٣ صفحة ٥٦ .

* * *

«إن هذه المقابلة بين الكتاب المنزّل والعمل تأخذ فى الحسبان المفاهيم المرتبطة بالحقيقة العلمية ، وذلك سواء تعلق الأمر بالتوراة والانجيل أو بالقرآن العظيم . ولكى تكون المقابلة صالحةً يجب أن تكون الحجة العلمية التى تستند عليها تامة الثبوت وغير قابلة للمناقشة . وإن أولئك الذين يغضبهم تدخل العمل فى تمحيص الكتب المقدسة ينكرون على العلم قدرته على أن يكون عاملاً صالحاً من عوامل المقارنة ، سواء تعلق الأمر بالتوراة والانجيل اللذين لا يصمدان أمام هذه المقارنة ، أو بالقرآن الكريم الذى ليس له أن يتخوف منها ، وهؤلاء يزعمون أن العلم يتغيَّر مع الزمن ، وأن مسألة بذاتها قد تكون اليوم مقبولةً وقد ترفض فيما بعد .

«وهذه الملاحظة تستوجب الإيضاح التالى : يجب التمييز بين النظرية العلمية وفعل الملاحظة القائم على صحة النظر ـ إن القصد من النظرية هو تفسير ظاهرة أو مجموعة من الظواهر التى يصعب فهمها ، فالنظرية إذن متغيرة فى كثير من الأحوال وهى محمولة على أن تبدَّل أو تعرض بنظرية أخرى حينما يتيح التقدم العلمى تحليل

الوقائع بشكل أفضل ، وتصوُّر تفسير أصلح وأنسب . وعلى العكس من ذلك فإن فعل الملاحظة الثابت بالتجربة لا يمكن تغييره : نعم يمكن تحديد صفاته بشكل أفضل ، إلّا أن الفعل يبقى هو هو . وإذ ثبت ـ مثلاً ـ أن الأرض تدور حول الشمس وأن القمر يدور حول الأرض فإن هذه المسألة لن تكون محل إعادة النظر ، بيد أنه فى الإمكان أن يقع فى المستقبل تحديد مسار كلا الكوكبين بشكل أدق ، وذلك على أحسن تقدير .»

علم الفلك فى القرآن

وهنا يبدأ الدكتور (بوكاى) فى دراسة الآيات القرآنية ذات العلاقة بالعلم الحديث فى المجالات المختلفة .

فهو يتحدث عن علم الفلك فى القرآن العظيم ويقول ما خلاصته :

(يزخر القرآن الكريم بتأملات فى السموات ، ويذكر تعددها وهو يشير إلى (ما بين السموات) ، وهذه مسألة أثبت العمل الحديث صحتها .

«وفضلاً عن الآيات التى تتحدث عن الخلْق نجد نحو أربعين آية تعطى بيانات اضافية دقيقة حول معطيات علم الفلك ، ويدخل بعض هذه الآيات فى باب تمجيد قدرة الخالق الساهر على نظام النجوم والكواكب المنتظمة حسب مواقع التوازن الذى شرحه العالم الانجليزى (نيوتن) فى نظريته عن جاذبية الأجرام فيما بينها .

«وإذا كان القصد الجوهرى من الآيات القرآنية التى سنوردها

هو تنبيه الناس إلى القدرة الإلٓهية المطلقة فقد رأينا مع ذلك ضرورة ذكرها هنا لاعطاء صورة حقيقية عن المعلومات التى قدَّمها القرآن الكريم ، منذ قرابة أربعة عشر قرناً ، عن تنظيم الكون .

«والإشارات القرآنية الجليلة فى هذا الموضوع تعد حدثاً جديداً فى الوحى الآلٓهى من حيث أن التوراة والإنجيل لم يتطرقا إلى مسائل تنظيم العالم باستثناء بعض الأفكار التى ثبت عدم صحتها جملة . أما القرآن العظيم فإنه قد تعرض لهذا الموضوع بإسهاب ، والذى ذكره القرآن الكريم جدير بالاهتمام وما سكت عنه كذلك ، فهو لم يذكر بالفعل نظريات كانت سائدة فى ذلك العهد عن تنظيم عالم السموات ، وهى نظريات برهن العلم على بطلانها .

يقول الله عزّ وجلّ :

- **﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيَّناها .. وما لها من فروج﴾** [1] .
- **﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾** [2] .
- **﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخَّر الشمس والقمر﴾** [1] .
- **﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾**
- **﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه﴾** [5]

---

(١) سورة (ق) ٦ . (٢) سورة لقمان ١٠ . (٣) سورة الرعد ٢ .
(٤) سورة الرحمن ٧ . (٥) سورة الحج ٦٥ .

«ومعلوم أَن بُعْدَ الاجرام السماوية بمسافات كبيرة ومتناسبة مع حجم الأجرام نفسها يشكل أساس توازنها وكلما كانت الأجرام متباعدة عن بعضها كانت قوى جاذبيتها أضعف ، وكلما كانت متقاربة زاد انعكاس تأثير بعضها فى بعض . هذا هو الشأن بالنسبة إلى القمر القريب من الأرض (فى مفهوم علم الفلك) والذى يؤثّر ، بحكم قانون الجاذبية فى موقع الماء بالبحار فتنشأ عن ذلك ظاهرة المد والجزر ، وإذا اقترب جرم سماوى من الآخر أكثر من اللازم فإن التصادم واقع لا محالة ، وخضوع هذه الأجرام للإذن الإلٓهى شرط لا بد منه لتجنب كل اضطراب لهذا فإن القرآن الكريم كثيراً ما يذكّر بخضوع السموات لأوامر الله :

● يقول الله عزّ وجلّ :

● **قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾** [1]

والمقصود بالسموات السبع ، كما رأينا من قبل السموات العديدة ، فلفظ (السبع) هنا يفيد الكثرة لا الحصر فى عدد معين .

وتعرض المؤلف لهذه المسألة فى مكان آخر من الكتاب مبيناً أن (السبع) لا يعنى العدد بل التعدد . كما بيَّن المؤلف بحجج استقاها من القرآن الكريم مدة (اليوم) الوارد ذكره فى معرض الكلام عن خلق السموات والأرض ، وهو الذى يعادل فى حساب الله تعالى عزّ وجلّ ألف سنة من حسابنا أو خمسين ألف سنة ، وفى معرض الحديث عن خلق السموات والأرض فى ستة أيام إنما يعنى (اليوم)

---

(١) سورة المؤمنون ٨٦ .

حقبة زمنية .

ـ قلت : إن مفهوم بوكاى عن (السبع) كعدد للسماوات غير سليم فهى سبع فعلاً وحقيقة لأن هذا الوصف تكرر فى القرآن معرّفاً أو مضافاً وهو يفيد الحقيقة .. والقياس على تقدير أيام الله غير صحيح .. فقد يكون اليوم فى حساب الله كألف سنة من حساب البشر فعلاً .

* * *

وعن الشمس والقمر : يقول تبارك وتعالى :

● ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾[1] .

● ﴿وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً . ذلك تقدير العزيز العليم﴾[2]

● ﴿وسخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾[3]

يقول بوكاى :

نلاحظ وجود تكامل بين الآيات الثلاث الأخيرة ، حيث يترتب عن (الحسبان) و (التقدير) الاجرام السماوية ، وذلك ما عبر عنه القرآن بلفظ (دائبين) ودائب إسم فاعل لفعل معناه الأصلى عمل شيء بجد ومواظبة ، وقد أعطيناه هنا معنى يدل على الإجتهاد فى عمل شيء بعناية واستمرار وعدم تغير وفقاً لعادة ثابتة .

ويقول عزّ وجلّ :

---

(١) سورة الرحمن ٥ . (٢) سورة الأنعام ٩٦ .
(٣) سورة إبراهيم ٣٣ .

• **﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾**[1]

وهذه إشارة إلى إعوجاج عنق النخلة الذى يتخذ شكل الهلال حينما يجف عوده.

• **﴿وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر. والنجوم مسخرات بأمره. إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾**[2].

• **﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر. قد فصلنا الآيات لقوم يعقلون﴾**[3]

• **﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾**[4]

• **﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً. وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب. ما خلق الله ذلك إلّا بالحق. يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾**[5]

يقول بوكاى:

نلاحظ أن القرآن العظيم يشفع كلامه عن هذا التنظيم السماوى وتأثير فعله العملى بالتأكيد على منفعته للإنسان فى تنقله براً وبحراً، واهتدائه ومعرفته عدد السنين والحساب، وإذا كان الكتاب المقدس اليهودى المسيحى قد اقتصر على وصف الشمس والقمر بالنيرين: (النير الكبير) و (النير الصغير) فإن القرآن الكريم قد أضاف إليهما فوارق أخرى غير فوارق الحجم.

فقد ورد فى القرآن العظيم أن الله سبحانه وتعالى (جعل الشمس ضياء.. والقمر نوراً) وبين فى آيات أخرى الفوارق بين الشمس

---

(١) سورة يس ٣٩. (٢) سورة النحل ١٢. (٣) سورة الأنعام ٩٧.
(٤) سورة النحل ١٦. (٥) سورة يونس ٥.

والقمر كما سنرى :

- ﴿**تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً . وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا**﴾[1]
- ﴿**ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً**﴾[2]
- ﴿**وبنينا فوقكم سبعاً شداداً . وجعلنا سراجاً وهاجاً**﴾[3] .

فقد وصف الله جل وعلا القمر ، بأنه منير والشمس بأنها سراج وهاج ، ومعلوم أن الشمس نجم ينتج بفعل احتراقه الداخلى حرارة شديدة وضوءاً ، وأن القمر الذى لا يضىء بنفسه يعكس الضوء الذى يتلقاه من الشمس ، وأنه كوكب جامد (على الأقل فى طبقاته الخارجية) . وليس فى القرآن الكريم شىء يناقض ما نعرفه فى عصرنا حول هذين الجرمين السماويين .

* * *

ويقول بوكاى :

«ونحن نعرف أن النجوم ، كالشمس ، اجرام سماوية تكمن فيها ظواهر فيزيائية شتى ، نلاحظ من بينها دون عناء ، ظاهرة إنتاج الضوء ، فهى بذلك اجرام مضيئة بذاتها ، ويتكرَّر فى القرآن الكريم لفظ (نجم) وجمعه (نجوم) ثلاثين مرة ، وأصل الكلمة من فعل (نجم) بمعنى طلع وظهر ، ويدل لفظ النجم على جرم سماوى مرئى من غير تعيين لطبيعته ، ولبيان أن المقصود فى القرآن الكريم هو ما

---

(١) سورة الفرقان ٦١ . (٢) سورة نوح ١٥ ، ١٦ .

(٣) سورة النبأ ١٢ ، ١٣ .

نسميه بالنجم نرى القرآن الكريم يضيف إليه نعتاً كما فى هذه الآيات :

● **﴿والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ؟ النجم الثاقب﴾** (١)

وصف القرآن العظيم نجم السماء بالثاقب ومعناه الذى ينفذ من خلال شيء (والشيء هنا ظلام الليل) ويتكرر نفس اللفظ فى هذه الآية **﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾** (٢) والمقصود هنا النيزك أو النجم السيار الذى ينتج عن الاحتراق .

كما نعرف أن الكواكب لا تضيء بنفسها ، وهى تدور حول الشمس ، والأرض التى نعيش عليها من هذه الكواكب التى تنتمى كما نعلم إلى المنظومة الشمسية أو النظام الشمسى ـ وليس فى مقدورنا أن نقطع بوجود كواكب أخرى خارج هذه المنظومة .

وأحسن تعريف فى القرآن الكريم لكلمة (الكوكب) هو ما ورد فى آية مشهورة تنطوى على معانى روحية عميقة ، وهى آية كثر حولها جدل المفسرين : **﴿الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى﴾** (٣)

والمقصود قذف نور على جسم يعكسه (والجسم هنا هو الزجاجة) فيجعله ساطعاً كالدّر شأنه فى ذلك شأن الكوكب المنير بضوء الشمس .

وعن مسار كل من الشمس والقمر تجد هاتين الآيتين

---

(١) سورة الطارق ١ ، ٢ ، ٣ .   (٢) سورة الصافات ١٠ .

(٣) سورة النور ٣٥ .

الجليلتين :

● **﴿وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، كل فى فلك يسبحون﴾** [1]

● **﴿لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون﴾** [2]

يشير القرآن الكريم هنا إلى واقعين جوهريين هما : وجود مسار لكل من الشمس والقمر ، وتحرك هذا الجرمين فى الفضاء كلٌّ بحركة خاصة به .

يقول بوكاى :

لقد رأينا أن القرآن الكريم أبرز فى آية سبقت الإشارة إليها منفعة القمر فى تقدير المنازل ومعرفة (عدد السنين والحساب) وقد وجهت انتقادات إلى هذا النظام الحسابى الذى وصفه ناقدوه بأنه عتيق وغير عملى ، ومضاد للعلم بالقياس إلى نظامنا القائم على دوران الأرض حول الشمس الذى يعبر عنه فى عصرنا بالنظام اليوليانى ، وأن هذا الانتقاد يدعونا إلى الإتيان بالملاحظتين التاليتين :

١ ـ كان القرآن الكريم يخاطب ، منذ أربعة عشر قرناً ، سكان الجزيرة العربية الذين اعتادوا استعمال التوقيت القمرى ، وأهل الصحراء يألفون كما نعلم مراقبة السماء والاهتداء بالنجوم ، ورصد القمر فى أطواره (منازله) المختلفة لضبط الزمن .

(ب) إذا استثنينا بعض ذوى الاختصاص نرى أن عامة الناس

---

(١) سورة الأنبياء ٣٣ .

(٢) سورة يس ٤٠ .

يجهلون التطابق التام الموجود بين التوقيت (الشمسى) والتوقيت القمرى ـ إن ٢٣٥ شهراً قمرياً توافق تمام الموافقة تسعة عشر عاماً من التوقيت الشمسى ذى الـ ٣٦٥ يوماً وربع يوم ، وإن مدة ٣٦٥ يوماً فى سنواتنا ليست كاملة ، بل إنها فى حاجة إلى تصحيح كل أربعة أعوام (السنة الكبيسة) وتتكرر نفس الظواهر فى التوقيت القمرى كل (١٩) سنة بوليانية . وهذا ما يعرف بدورة (ميلتون) الفلكى الاغريقى الذى اكتشف فى القرن الخامس قبل الميلاد هذا التطابق الدقيق بين الزمن الشمسى والزمن القمرى .

* * *

ويذكر الدكتور (بوكاى) الآيات القرآنية التالية ـ ثم يعلق عليها :

يقول الله تبارك وتعالى :

- **﴿يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾** [١]
- **﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾** [٢]
- **﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل﴾** [٣]
- **﴿يكور الليل على النهار ، ويكور النهار على الليل﴾** [٤]

إن الآية الأولى فى غنى عن كل تعليق ، وتعطينا الآية الثانية صورة عامة عن المسألة . أما الآيتان الثالثة والرابعة .. فإنهما تستحقان أن نوليهما كامل الاهتمام بسبب ما تذكرانه عن (الولوج) وعن تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل .

---

(١) سورة الأعراف ٥٤ . (٢) سورة يس ٣٧ .
(٣) سورة لقمان ٢٩ . (٤) سورة الزمر ٣٩ .

فماذا يحدث حقيقة فى الفضاء ! إن الصور التى التقطها رجال الفضاء الأمريكيون من مراكبهم الفضائية على مسافة بعيدة جداً عن الأرض ـ من سطح القمر مثلاً ـ تبين أن الشمس تضىء على الدوام (إلّا فى حالة الخسوف) نصف الكرة الأرضية المقابل لها ... بينما يبقى النصف الآخر مظلماً . ولما كانت الأرض تدور حول نفسها فى حين أن الاضاءة تبقى ثابتة . فإن منطقة مضاءة على شكل نصف كرة تتم دورتها حول الأرض فى مدة أربع وعشرين ساعة بينما يقطع نصف الكرة الآخر الذى يبقى فى الظلام نفس الشوط فى نفس المدة ، والقرآن الكريم يصف وصفاً دقيقاً هذا الطواف الدائب للنهار والليل ، إنها مسألة لا يعسر فهمها على البشر فى هذا العصر ، فنحن نقول بثبوت الشمس (نسبياً) وبدوران الأرض ، وأن (التكوُّر) الدائم و(الولوج) المستمر لقطاع فى آخر لما أعرب عنه القرآن العظيم .

ثم يتحدث عن أصل الحياة ـ فيقول : يتناول القرآن الكريم من وجهة نظر عامة أصل الحياة باقتضاب متناه فى آية تتحدث أيضاً عن تكوين العوالم إذ تقول : ﴿**أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما . وجعلنا من الماء كل شىء حى . أفلا يؤمنون**﴾ (١)

تدل هذه الآية على أن كل شىء حى صنع من مادة جوهرية هى (الماء) أو أن كل شىء أصله الماء ، وكلا المدلولين يطابق المعارف العلمية تمام المطابقة . والواقع هو أن للحياة أصلاً مائياً ،

---

(١) سورة الأنبياء ٣٠ .

وأن الماء هو العنصر الأول فى كل خلية ، ولا إمكان لحياة بدون ماء ، وهم حينما يناقشون إمكان وجود حياة فى أحد الكواكب فإنهم يلقون على الفور هذا السؤال : هل يحتوى هذا الكوكب على كمية كافية من الماء ! .

والماء فى الآية القرآنية المذكورة يدل على ماء السماء او مياه المحيطات أو أى سائل آخر ، والماء حسب المدلول الأول : عنصر جوهرى فى كل حياة نباتية ـ يقول القرآن العظيم :

- **﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾**[1]

ونلاحظ هنا أيضاً إشارة إلى (الأزواج) فى عالم النبات :

- **﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾**[2]

إن لفظ الماء هنا يمكن أن ينطبق أيضاً على السائل المنوى . وسواء تعلق الأمر بأصل الحياة عامة أو بالعنصر الذى يخرج النبات من الأرض أو (مبدأ) الكائن الحى فإن كل ما نطق به القرآن الكريم عن أصل الحياة يوافق المعطيات العلمية الحديثة ، وأنه لم يتسرب إلى القرآن العظيم أسطورة من الأساطير التى كانت تتردد عن أصل الحياة .

* * *

وهناك بعض الملاحظات نختتم بها حديثنا عن كتاب الدكتور (بوكاى) وهى :

أولاً : ذكر قوله تبارك وتعالى : **﴿وأوحى ربك إلى النحل أن**

---

(١) سورة طه ٥٣ .

(٢) سورة النور ٤٥ .

اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات .. فاسلكى سبل ربك ذللاً﴾[1] ففسر (ذللاً) بأنها تعنى خضوع النحل وتواضعه وذله .

والصحيح : أن المراد (بكلمة .. ذللا) هو : سهلة ميسرة .. أى أن الله عزّ وجلّ يسّر للنحل هذه الطرق والوسائل لتسلكها فى حياتها ومعيشتها وإنتاجها للعسل .. هذا الشراب الذى وصفه الله عزّ وجلّ بأنه شفاء للناس .

ثانياً : ذكر قوله جل جلاله : **﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن .. ما يمسكهن إلّا الرحمن إنه بكل شىء بصير﴾**[2]

وفهم من قوله **﴿ما يمسكهن إلّا الرحمن﴾** خضوع الطير لقدرة الخالق سبحانه ، ومع أن الطير ـ بل كل المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وغيرها ـ خاضعة لقدرة الله عزّ وجلّ ـ إلّا أن معنى الإمساك هنا هو رعاية الله وقدرته اللتان جعلت الطير يحلّق فى السماء ، ولا يقع على الأرض .. أى أن أجنحة الطير ليست هى التى تمسك الطير وإنما المُمسك والحافظ الحقيقى هو الله تبارك وتعالى ..

* * *

هذا .. وقد أتيحت لى فرصة الاجتماع بالدكتور موريس بوكاى فى الرياض خلال الندوة العالمية للشباب الاسلامى فى ربيع الآخر

---

(١) سورة النحل ٦٨ .

(٢) سورة الملك ١٩ .

سنة ١٣٩٩هـ كما سعدت بالاشتراك معه فى ندوة تلفازية فى الفترة نفسها، وكان صاحب الفضل فى عقدها معالى الدكتور معروف الدواليبى الذى ساهم فيها أيضاً .

كما أن رابطة العالم الاسلامى أحالت إلىّ ملاحظات على الكتاب أبداها أحد المتصلين بها أو الموظفين فيها لأُعقب عليها بما أعرفه عن الكتاب وآراء المؤلف .. فكتبت التعقيب التالى :

ملاحظات على موريس بوكاى

بعض الأخوة الأعزاء الذين قرأوا كتاب : (التوراة والانجيل والقرآن والعلم الحديث) للمفكر الفرنسى (موريس بوكاى) أساء الظن بالكاتب والكتاب .. لأن بعض عباراته غمضت على فهمه . وعسرت على إدراكه ، فكتبت الرابطة إلىّ بهذه الملاحظات لأقول فيها برأيى : هل ما ذهب إليه صحيح أم خطأ ! .

● الملاحظة الأولى ـ صفحة ٨٣ ـ يرى أن هنا فى هذه الصفحة كلاماً يبلبل الأفكار لأن المؤلف يذكر أن كثيراً مما جاء فى الأناجيل هو معجزات ولا يمكن أن يفسر تفسيراً علمياً ، وهو بذلك يثبت كثيراً من المعجزات التى جاءت فى الأناجيل ويؤكد صدقها .

ـ يبدو أن القارىء العزيز يريد من موريس بوكاى ألا يصدق ما جاء فى الأناجيل عن معجزات عيسى عليه السلام ـ لأن الأناجيل فى اعتبارنا نحن المسلمين محرفة بالزيادة والنقص .

ـ ونقول للأخ المعترض ١ ـ إن القرآن الكريم ذكر عدداً من معجزات المسيح عليه السلام كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه

والأبرص ، وخلق هيئة الطير ثم النفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله .

٢ ـ إن كلام بوكاى عن كون المعجزات المذكورة فى الأناجيل لا تخضع لتفسير علمى صحيح .. لأن معجزات الأنبياء جميعاً ليس لها تفسير علمى ، لأنها خارقة للعادة والقوانين العلمية ، وهى لا تكون معجزات إلّا بهذه الصفة ، فاعتراض الأخ القارىء غير سليم .

● الملاحظة الثانية ـ ص ٨٤ ـ ذكر المؤلف فى الهامش وجود اخوة لعيسى عليه السلام وهذا غير صحيح لأن عيسى هو الوليد الوحيد لأمه !

ـ نقول للأخ : إن المؤلف ينقل ذلك عن الأناجيل ، كما أن الشيخ حسن خالد مفتى لبنان قد علق على ذلك بأنه لعل الترجمة تعنى الأقرباء .. وقد نفى المؤلف فيما بعد أن لعيسى إخوةً .

أما قول المعترض : إن المؤلف بما ذكره من إمكانية نمو البويضة دون تدخل مادة التناسل فى الجنين ، وإن ذلك فيه تشكيك فى خلق عيسى كمعجزة إلّهية ـ فليس الأمر كذلك .

فالمؤلف قال بعبارة صريحة : إن عيسى تطورت نشأته بعيداً عن التأثر بقوانين الطبيعة التى تخضع لها كل الكائنات البشرية ثم أضاف : وقد كانت مريم عذراء حافظت على عذريتها ، ولم يكن لها من ولد غير المسيح ذى الخلق المعجز الخارق للطبيعة .

فكيف يقال : أن فى كلامه تشكيكاً فى كون ولادة عيسى من غير أب معجزة ! بل إنَّ عبارته الثانية تنفى ما نقله عن الأناجيل فى هامش الصفحة ، نفسها من وجود إخوة .

● الملاحظة الثالثة ـ ص ٨٥ و ٨٦ ـ يقول القارىء الفاضل : إن المؤلف تحدث عن نسب عيسى من جهة أمه .. وفى ذلك : أخلاط وأخطاء ثم ماذا يريد بذكر نسب المسيح بهذا التفصيل المبنى على كثير من الخطأ أن المسيح ولد من غير أب وكفى ـ كما أنه يذكر أن يوسف كان خطيباً لمريم التى ولدت عيسى ، وفى ذلك تعريض بطهارة مريم !!

ـ نقول للأخ القارىء : إن الشيخ حسن خالد عقَّب على النقطة الأولى بما يصحح الخطأ فيها ـ فى هامش الصفحة ـ أما قوله : إن يوسف خطيب مريم .. فليس فيه تعريض بطهارة مريم إذ يجوز أن يكون قد خطبها قبل اعتزالها وحملها بعيسى .. ونحن المسلمين كما أمرنا الرسول عليه الصلاة والسلام : لا نكذِّب أهل الكتاب ، ولا نصدِّقهم .. فقد يكون ما يقولونه صحيحاً وقد لا يكون ..

والمؤلف نفسه (موريس بوكاى) يشير إلى الأخطاء فى هذه الأنساب المنقولة عن الأناجيل ، ويقول : إنَّها مستندة إلى الهوى .

● الملاحظة الرابعة ـ ص ١٠٧ ـ يقول القارىء المعترض : إن المؤلِّف هنا يتحدث عن الأديان ومنها المسيحية واليهودية ، ويقول : إنها لم تعد منطوية على نفسها وإنها تحاول أن تحقِّق إدراكاً مشتركاً وتفكيراً موحداً ـ مع أن الاسلام لا يعترف بأى دين آخر حيث يقول عز وجلّ : (إن الدين عند الله الإسلام) وفى كلامه تصريح غير مباشر بأن اليهودية دين والنصرانية دين كل منهما فيه صواب) !

ـ أقول للأخ العزيز : إن كلام المؤلف عن الأديان بأنها لم تعد

منطوية على نفسها ، وأنها تسعى لتحقيق إدراك مشتركٍ وتفكير موحدٍ ـ صحيح وواقع .. فهو يذكر بعد ذلك ما انعقد من مؤتمرات وندوات باسم التقارب بين الاسلام والمسيحية ، وهو كلام لا يعنى الاعتراف بصحة المسيحية أو اليهودية .. وبهذا يبدو أن ما تصوره أخونا الفاضل غير واضح وغير صحيح .

● الملاحظة الخامسة ـ ص ١٠٨ ـ يقول القارىء العزيز : إنَّ المؤلف يروى عن رجال الفاتيكان أنهم يقولون : إنهم هم والمسلمين يعبدون إلّهاً واحداً ... مع أن القرآن يروى أنهم يعبدون المسيح وأمه : ﴿**وإذ قال الله .. يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلّهين من دون الله**﴾ ﴿**وقالت اليهود عزيز ابن الله .. وقالت النصارى المسيح ابن الله**﴾ كما يدعى المؤلف بأن الله هو بالنسبة إلى المسلمين نفس إلّه موسى وعيسى وهو لا يطابق واقعهم ... حيث يقول عزّ وجلّ فى القرآن : ﴿**سبحان الله عما يصفون ـ فتعالى عما يشركون**﴾ إلخ

ـ أقول للأخ المعترض : ١ ـ إن المؤلف ينقل عن الفاتيكان ما يرونه هم عن أنفسهم .. وهو زعم ليس بعيداً عن الصواب لأن المسلمين والنصارى يعبدون الله عزّ وجلّ فعلاً والفرق بين الطائفتين هو أن النصارى يشركون مع الله غيره . فهو فى عقيدتهم ثالث ثلاثة ، أو بعبارة أخرى يجعلون المسيح ابنه ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ كما يجعلون روح القدس شريكاً ثالثاً .

٢ ـ ما نقله المؤلف أيضاً من أن إلّه المسلمين هو إلّه موسى وعيسى ـ ليس غريباً ولا خطأ فالله عزّ وجلّ إلّه الجميع كما أسلفنا ..

وإنما الخلاف واقع بين هؤلاء وهؤلاء فى إتجاه المسلمين إلى التوحيد ، وإتجاه الآخرين إلى الشرك والوثنية .

٣ ـ التبس الأمر على المترجمين ـ كما التبس على المعترض ـ فعقَّبوا بأن تعبير المؤلف غير دقيق . واستدلوا بآيات من القرآن كما فعل المعترض لا حجة فيها لهم على المؤلف .

● الملاحظة السادسة : ص ١٠٩ ـ يذكر القارىء أن موريس بوكاى أشار إلى أن المسلمين كانوا أحياناً يرتكبون المجازر البشرية وهذا إفتراء على المسلمين ! !

ـ أقول للأخ : ١ ـ إن هذا ليس من كلام المؤلف أو تقريره ، وإنما هو نقل عن الوثائق الفاتيكانية ، والفقرة المنقولة فى الكتاب طويلة .. وهى ثناء على المسلمين وجهادهم فى سبيل نشر دينهم (الاسلام) .

٢ ـ نص العبارة هو : ولم يكن المسلمون أيام الصليبيين هم الذين يرتكبون دوماً أكبر المجازر) فهو يدافع عن المسلمين فيما اتهموا به من أنهم حاربوا الصليبيين وسفكوا دماءهم ، ويتهم الصليبيين بأنهم اشتركوا فى إسالة الدماء ، وهذا شىء طبيعى لطائفتين تتقاتلان .

● الملاحظة السابعة ـ ص ١١٠ ـ يرى القارىء الفاضل : أن موريس بوكاى يزعم أن الأديان كلها تدعو إلى العلم وتمجده .. وهو بهذا يسوِّى بين الإسلام وغيره فى القيم والمبادىء الخ .

ـ أقول للأخ المعترض : إن المؤلف هنا يؤكِّد أن موقف الاسلام من العلم يختلف عن غيره ـ ثم يورد الحديث النبوى :

(**طلب العلم فريضة على كل مسلم**) وينفى أن الوحى اليهودى والمسيحى يتفق مع الاتجاه الإسلامى .

● الملاحظة الثامنة ـ ص ١١١ ـ يذكر الأخ العزيز أن المؤلف هنا يقول : (إنَّ البحث العلمى كان ملجماً .. ولكن العيب ليس فى الوحى المسيحى أو بسببه ، وإنما كان بسبب الذين يدعون أنهم خدمته) وفى هذا إشادة بالدين المسيحى ، وما فيه من تعاليم ! أى أن الدين المسيحى سليم ، والعيب فى رجال الدين الذين انحرفوا عن تعاليمه !

ـ أقول للأخ المعترض : فى هذه الصفحة ١١١ ثناء عاطر على المكتبات الاسلامية فى ذلك العهد ، وعلى سفر الوفود إلى بغداد لطلب العلم ، وعلى العلماء ، والمخطوطات وما نقله الأدباء العرب من ثقافة إلى البلدان المفتوحة ، وأن أوروبا مدينة للعرب فى الرياضيات والجبر والفلك والطبيعة الخ .

أما قول المؤلف ـ بعد ذلك ـ أن البحث العلمى فى أوروبا كان ملجماً وأن سبب ذلك لم يكن من الوحى اليهودى أو المسيحى .. فهو صحيح ـ أى أن أصل الديانتين المسيحية واليهودية ليستا ضد العلم والعلماء ـ فلماذا نعترض على ذلك ! وبأى حجة نتهم نحن المسلمين أصل الديانتين قبل التحريف بمعاداة العلم ، واضطهاد العلماء ! .

ثم إن كلام المؤلف ـ كما يرويه القارىء ولم أجده فى الصفحة ـ عن سلامة الدين المسيحى ـ وكون العيب إنما هو فى رجاله .. الذين انحرفوا عن تعاليمه ـ صحيح .. وهذا ما يقرره القرآن الكريم

أيضاً ، ولذلك أمرنا فى القرآن أن نقول : ﴿**آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلّهنا وإلّهكم واحدٌ ونحن له مسلمون**﴾ .

ولعل ثورة مارتن لوثر أوضح برهان على احتكار رجال الدين المسيحى للسلطة السياسية والعلمية يومذاك ـ الأمر الذى أدَّى إلى الانقلاب المسيحى على كل شىء بحيث اتجهت العقائد والأفكار والمساعى إلى (المادية) وحدها نتيجةً للضغط الدينى الذى كان يمارسه القساوسة والرهبان .

● الملاحظة التاسعة ـ ص ١١٧ ـ ما يذكره القارىء من أن المؤلف يرى أن الأحاديث النبوية بالنسبة لمحمد هى الأناجيل بالنسبة لعيسى .. وأن فيها ما يتعارض مع العلم الحديث الخ .

ـ هذا فى نظرنا صحيح ... لأن الأحاديث النبوية تخضع لعملية الجرح والتعديل وليس كل ما يروى عن الرسول عليه الصلاة والسلام صحيحاً سنداً ومتناً .. والمؤلف هنا يثبت الفرق الكبير بين القرآن والإنجيل ، لأن القرآن وحى إلّهى محفوظ لا خلاف عليه . أما الانجيل فقد كتبه تلامذة المسيح عليه السلام واتباعه من بعده ، ورواياتهم له مختلفة .

● الملاحظة العاشرة ـ ص ٦١ و ٦٢ ـ يذكر القارىء الفاضل أن المؤلف يصف هنا المسيح بأنه إبن الله الخ وهذا غير صحيح فى ديننا !

ـ أقول للأخ العزيز : إن المؤلف لم يقل : إن المسيح إبن الله ـ وإنما هو ينقل عن كتَّاب ومؤلفين آخرين عبارات وآراء لهم فى الأناجيل واختلاف نصوصها وأحكامها ، وقد عقب المترجمون

عليها فى الهامش ببعض الآيات القرآنية .

ونحن المسلمين عندما نقرأ لمؤلفين أو كتاب نصارى ينبغى ألّا ننتظر منهم أن ينسلخوا عن عقائدهم فيما يكتبون عن الاسلام .. وحسبنا أن نقرأ لهم ما يكتبون من ثناء أو اعتراف ، أو تقرير حقائق صحيحة عن الاسلام والتاريخ الإسلامى والحضارة الاسلامية .

وبعد فلعل القارىء الفاضل يقتنع بما اجبته به على ملاحظاته على كتاب (التوراة والانجيل والقرآن والعلم الحديث) للمستشرق الفرنسى موريس بوكاى .

حوار مع الدكتور مصطفى محمود
حول مفهومات قرآنية

فى صيف ذاهب اجتمعت بالدكتور مصطفى محمود فى دار صديق عزيز بجدة خلال أمسية عامرة بنخبة من الأصدقاء الأدباء ، الذين عمروا ذلك اللقاء الفكرى والاجتماعى بالأفكار الحية والأسمار الممتعة .. [1]

ودار بينى وبين الدكتور مصطفى محمود ـ ليلة ذاك ـ حوار حول بعض موضوعات القرآن الكريم .. منها قوله عزّ وجلّ حكاية عن الكفار : ﴿**قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ، فاعترفنا بذنوبنا ـ فهل إلى خروج من سبيل**﴾ وسألنى الدكتور ما هى الموتتان والحياتان !

---

(١) كان هذا اللقاء فى دار الصديق على زين العابدين ـ فى جدة ـ سنة ١٣٩١هـ .

● قلت له : إن هناك آية أخرى تفسر هذا المجمل وهى قوله تبارك وتعالى : ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ؟**﴾[1] والقرآن يفسر بعضه بعضاً ..

● ثم قلت له : إن الموتة الأولى هى (العدم) قبل الخلق وقبل الإيجاد ، فالعدم موت ، والموت عدم .. حقيقة أو مجازاً بلا جدال . فمريم ـ أم عيسى عليه السلام ـ تمنت أن تكون قد ماتت قبل حملها بالمسيح وقالت ﴿**يا ليتنى متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً**﴾ والكافر يتمنى يوم القيامة من شدة ما يرى من هول الحساب وغول العذاب أن يكون تراباً : ﴿**يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً**﴾ .

فمريم عبرت عن العدم «بالموت» والكافر عبَّر عن الموت بالعدم .. أن يكون تراباً ـ وكلاهما يعنى معنىً واحداً هو الفناء الذى لا يكون معه إحساسٌ بالحياة وآلامها .

ـ قال الدكتور مصطفى : أنا أرى أن الموتة الأولى هى بعد أخذ الميثاق على ذرية آدم فى قوله تعالى : ﴿**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألستُ بربكم ! قالوا : بلى ..**﴾ فبعد الميثاق أماتهم ثم أوجدهم أى أحياهم ، ثم يميتهم ثم يحييهم .

● قلت : إن إخبار القرآن الكريم عن أخذ الميثاق من بنى آدم ، لا يعنى إيجاداً لهم ، وحديثاً معهم ، وتصديقاً منهم بالقول وإنما

---

(١) سورة البقرة ٢٨ .

هو ـ أى الاخبار ـ تصوير لحقيقة الفطرة الدينية فى النفس البشرية : ﴿**فطرة الله التى فطر الناس عليها**﴾ . وقد تعدّد هذا الأسلوب التصويرى فى القرآن الكريم كقوله إخباراً عن القدرة الإلٓهية فى خلق السموات والأرض ، وعن طاعة المخلوقات وخضوعها للخالق القادر سبحانه .. ﴿**فقال ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾ على أنه يجب علينا التسليم بالخبر ، وعدم البحث عن الكيفية ، فالله على كل شىء قدير ، ولا يسأل عما يفعل ـ كما يرى ذلك علماء السلف وأيدهم فى ذلك الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى تفسيره (الظلال) .

ووقف الحوار بينى وبين الدكتور مصطفى محمود ، عند هذا الحد من الحديث الممتع .. فقد حان افتراق الأصحاب كل إلى بيته ، بعد أمسيةٍ لذةٍ للساهرين .

الإيمان بالغيب : علم !

واطلعت ـ بعد ذلك ـ على كتابه الجديد (رحلتى من الشك إلى اليقين) فوجدت الدكتور مصطفى محمود يتحدث فيه بأسلوب العصر ، ويعرض أفكاره بأسلوب صحفى خفيف لطيف ، يسهل على قراء هذا الزمان السريع ..

فى هذا الكتاب يعرض المؤلف الكريم لبدايته التى كانت شكاً فى الله تبارك وتعالى ، وفى خلقه ، وقدرته ، ثم تحولت بعد الدراسة والتأمل إلى يقين عجيب يفيض اعترافاً وحديثاً ودعوةً إلى الإيمان والتوحيد .

ومن روائع الدكتور مصطفى محمود فى كتابه : (رحلتى من الشك إلى اليقين) رده على الشبهة القائلة : بأن الأيمان بالغيب ليس من «العلم». فالعلم ـ فى نظر الذين لا يؤمنون بالغيب ـ مجال المحسوس ، وينتهى إلى المحسوس ! !

● يقول الدكتور مصطفى لهؤلاء الذين لا يؤمنون بوجود الله تبارك وتعالى ـ لأنه غيب : ـ إن نصف العلم قد أصبح الآن غيباً ، فقد لاحظ الناس أن صعود الجبل أشق من النزول منه ، وأن رفع حجر أصعب من رفع عصا ، وأن الطير إذا مات وقع على الأرض ، وأن التفاحة تقع هى الأخرى من شجرتها إلى الأرض ، وأن القمر يدور معلقاً فى السماء .

● ولم يعرفوا لذلك سراً إلّا عندما اكتشف اسحاق نيوتن نظرية الجاذبية ، ومع ذلك فهذه الجاذبية «غيب» لا يعرف أحد كنهها . ولم ير أحد الأعمدة التى ترفع السماء بما فيها من نجوم وكواكب ، ونيوتن نفسه يقول : إنه أمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس تؤثر على مادة أخرى وتجذبها ، مع أنه لا توجد بينهما أية علاقة .

فها هى نظرية علمية نتداولها ونؤمن بها ونعتبرها «علماً» وهى غيب فى غيب !

والالكترون ـ والموجة اللاسلكية ـ والذرة ـ والنيوترون مواد علمية لم نر منها شيئاً ، ومع ذلك نؤمن بوجودها ، اكتفاءً بآثارها ، ونقيم لها علوماً متخصصة ، ونبنى لها المعامل والمختبرات .. وهى غيب فى غيب بالنسبة لحواسنا ! !

قلت : وهناك الحجة الأقوى والدليل الأسطع فى قضية أن الإيمان بالغيب من العلم الحق .. وهى (الروح) التى يعيش بها الإنسان ويتحرك ويلمس آثارها فى حياته وهو لا يعلم حقيقتها والقرآن يؤكد أن الروح من الغيب الذى استأثر الله بعلمه : **﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾** (١)

الحتميات حقيقة

وقد بدت لى على بعض فصول الكتاب (ملاحظات) خفيفة لا تؤثر على مجموعه القيم .

أولاً : أن الدكتور مصطفى محمود ينكر (الحتميات) فى المجال الإنسانى .. «أمثال حتمية الصراع الطبقى ، والجبرية التأريخية ، لأن الإنسان حر ، وليس مسماراً أو ترساً فى ماكينة ، وكما لا يمكن التنبؤ بما يأتى به الغد فى حياة الفرد ، فإنه يستحيل القول بالجبر والحتم فى مجال المجتمعات والتأريخ» ص ـ ٤٠ .

والدكتور مصطفى معذور فى إنكاره (للحتميات) لأنها اشتهرت على ألسنة أصحاب المذاهب المادية الألحادية .

ولكن هناك فرقاً بين أن يتخذ الملحدون من شعار الحتميات الاجتماعية والتأريخية مستنداً لماديتهم وإلحادهم .. وبين أن تكون هذه (الحتميات) واقعاً اجتماعياً وتاريخياً ، ودليلاً على (العدل الأزلى) الذى تحدث عه الدكتور مصطفى فى بعض فصوله .

---

(١) سورة الإسراء ٣ .

إن الدكتور مصطفى محمود نفسه يرد على قولته الأولى بنفى (الحتميات) فى ص ٥٣ من كتابه حين يقول : (إن كل ما نرى فى دنيانا البشرية من خداع وغش وحروب ومظالم وفوضى .. كان نتيجة الحرية التى أسأنا استعمالها . إن الله أعطانا الحرية ، وعرض علينا الأمانة وقبلناها ، فالفوضى هى فعلنا نحن ، وهى النتيجة المترتبة على حريتنا) .

وهذه هى حقيقة الصراع الطبقى ، أو الجبرية التأريخية التى أنكرها الدكتور مصطفى آنفاً .

وقد تحدث عنها القرآن الكريم مراراً ، وأكَّدها كثيراً ، وسماها : (سُنة الله التى قد خلت من قبل) أو (سنة الله التى قد خلت فى عباده ، ولن تجد لسنة الله تبديلا) وهذا هو معنى الحتمية الاجتماعية ، أو الجبرية التأريخية .

ولذلك حث القرآن الكريم المسلمين ــ فى مواضع كثيرة منه ــ على أن يسيروا فى الأرض وينظروا كيف عاقبة الذين من قبلهم .. كيف عاشوا ، وكيف أنعم الله عليهم بالخير الكثير ، وأمدَّهم بالأنعام والبنين ، وبالجنات والعيون ، وبالنخل التى طلعها هضيم ، ولكنهم بدَّلوا نعمة الله كفراً فأحلوا قومهم دار البوار . هلك قوم منهم بالخسف ، وقوم بالغرق ، وقوم بالطوفان ﴿**وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ .

فالحتمية الاجتماعية ، أو الجبرية التأريخية التى هى (سنة الله) فى الصالحين عدلاً وبراً ونصراً ، وفى الظالمين هلاكاً وتدميراً أو صراعاً طبقياً ، وهواناً سياسياً ، واختلافاً اجتماعياً : حقيقة واقعة أكدها

القرآن الكريم وأيدها حديث الرسول ﷺ عن هلاك الأمم السابقة بسبب اختلافها على أنبيائها ، وعصيانها لأوامرهم ، وفُشُوِّ المنكرات بينهم .. من رباً أو زناً أو تطفيف للكيل والميزان الخ ..

حقيقة المسيح الدَّجال :

وفى ص ١٠٥ ـ يقول الدكتور مصطفى محمود «والمسيح الدجال قد ظهر فعلاً كما يقول الكاتب البولندى ليوبولد فايس ـ وقد أسلم هذا الكاتب وعاش فى مكة ودفن فيها ـ وهذا المسيح التائه ذو العين الواحدة كما يقول ليوبولد فايس هو التقدم المادى والقوة المادية والترف المادى ـ معبودات هذا الزمان» .

واستمر المؤلف الفاضل ـ بعد ذلك ـ يؤكد أن مدنية العصر الحاضر وما امتازت به من تقدم علمى وتطور تكنولوجى .. هى «المسيح» الذى افتتن به الناس وعبدوه ، وفقد الشرقيون بسببه ثقتهم بأنفسهم ، ونظروا باحتقار إلى تراثهم ودينهم !

فأما ليوبولد فايس ، الأستاذ محمد أسد حالياً ـ فهو مازال حياً يرزق ، ولعله الآن فى جنيف أو فرنسا ، وهو لم يعش فى مكة ، وبالتالى لم يمت ولم يدفن بها .. أمد الله فى حياته ونفع بمؤلفاته .[٤]

وأما رأيه فى المسيح الدجال الذى أخذ به الدكتور مصطفى محمود ، فهو غير مُسَلَّم به ، وهو من اجتهاداته التى يقتدى فيها بالشيخ محمد عبده ـ غفر الله له .

---

(١) اجتمعت بالأستاذ محمد أسد فى الندوة العالمية للإسلاميات بجامعة البنجاب فى لاهور بباكستان سنة ١٣٧٧هـ .

● ففى صحيح البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمر : «أن النبى ﷺ قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر الدجال ، فأطنب فى ذكره وقال : ما بعث الله من نبى إلّا أنذره أمته ، وأنه يخرج فيكم ، فما خفى عليكم من شأنه ، فلا يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور ، وإنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية .»[1]

يقول الأستاذ سيد سابق ـ فى كتابه العقائد الاسلامية : من علامات الساعة وأماراتها الكبرى : أن يخرج «المسيح الدجال ، ويدعى الألوهية ، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدِّثهم من خوارق العادات ، وبما يظهر عليه من عجائب فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين آمنوا ، فلا يخدعون بأضاليله ثم ينجلى أمره ، ويُقضى على فتنته ، ويُقتل بأيدى المسلمين .. وقائدهم حينئذ عيسى عليه السلام» .

ويستدل السيد رشيد رضا بالأحاديث الواردة عن المسيح الدجال على أن «النبى ﷺ قد كشف له وتمثل له ظهور دجال فى آخر الزمان ، يظهر للناس خوارق كثيرة وغرائب ويفتتن بها خلق كثير ، وأنه من اليهود ، وأن المسلمين يقاتلونه ويقاتلون اليهود فى هذه البلاد المقدسة ، وينتصرون عليهم» .

● قلت : إن الإيمان بالمسيح الدجال من العقائد الغيبية فى الاسلام ، وكما نؤمن بالله واليوم الآخر ، والجنة والنار نؤمن كذلك بعلامات الساعة الكبرى التى منها خروج المسيح الدجال ، وطلوع

---

(١) فتح البارى جـ١٣ ص ٨٩ كتاب الفتن .

الشمس من مغربها الخ ..

وهناك ملاحظة أخيرة .. وهى اطلاق الدكتور مصطفى محمود وصف (المخرج الأعظم لدراما الوجود) على الذات الآلهية وأحسب أن الدكتور يعلم أن من مستلزمات الإيمان بالله عزّ وجلّ أن لا نطلق عليه إسماً أو وصفاً إلّا ما سمى به نفسه أو وصفها به تبارك وتعالى عن طريق القرآن الكريم أو السنة الصحيحة ..

حول بيت العنكبوت :

وكتب الدكتور مصطفى محمود سلسلة مقالات بعنوان «حوار مع صديقى الملحد» تحدث فيها عن القرآن ولماذا لا يكون من تأليف محمد ﷺ ؟ وجعل يستدل على آلهية القرآن بإعجازه اللغوى والبلاغى والعلمى . ولا شك أن الدكتور أحسن فى ذلك كثيراً .. إلّا أنه فهم أو فسر بعض المعانى على غير حقيقتها ـ من ذلك ذكره لهذه الآية ﴿**مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت .. لوكانوا يعلمون**﴾ ومحاولته أن يجعل ألفاظها ومعانيها إعجازاً علمياً ولكنه أبعد وأغرب .

فقد قال : لم يقل الله : خيط العنكبوت ، بل قال : بيت العنكبوت . وخيط العنكبوت ـ كما هو معلوم ـ أقوى من مثيله من الصلب أربع مرات ، إنما الوهن فى البيت لا فى الخيط .. حيث يكون البيت أسوأ ملجأ لمن يحتمى فيه ، فهو مصيدة لمن يقع فيه من الزوار الغرباء ، وهو مقتل حتى لأهله ، فالعنكبوت الأنثى تأكل

زوجها بعد التلقيح ، وتأكل أولادها عند الفقس ، والأولاد يأكل بعضهم بعضاً ـ إن بيت العنكبوت هو أبلغ مثال يضرب عن سوء الملجأ وسوء المصير ، وهكذا حال من يلجأ إلى غير الله سبحانه وتعالى .. وهنا بلاغة الآية .[1]

● قلت : إن بيت العنكبوت فى الآية لم يضرب لسوء الملجأ ولا لسوء المصير .. حتى نحتاج إلى التكلف والتعسف فى التفسير العلمى لخيط العنكبوت ونقول إنه أقوى أربع مرات من مثيله من خيط الصلب ، ونقول إن الوهن فى البيت لا فى الخيط ، لأن العنكبوت تأكل زوجها وتأكل أولادها فيه .. فهو لهذا بئس الملجأ وبئس المصير ! !

ولا ندرى كيف يكون البيت واهناً إذا كان مصنوعاً من خيوط هى أقوى من مثيلها من خيوط الصلب ؟

إن بيت العنكبوت ـ كما هو صريح لفظ الآية ومعناها ـ قد ضرب للوهن والضعف والانهيار وعدم الاحتمال ، وكذلك هو شأن الأصنام والآلهة والأولياء الذين يدعون من دون الله ، فهم لا يملكون لأنفسهم ولا لمن يدعونهم ضراً ولا نفعاً ولذلك يكون اعتمادهم على هؤلاء الأولياء الضعفة العجزة كالاعتماد على بيت العنكبوت الواهن الضعيف ..

ولو كان المقصود هو سوء الملجأ وسوء المصير لجاء التعبير فى الآية «بئس البيوت» «لا» «بأوهن البيوت» والفرق واضح بين اللفظين

---

(١) مجلة (صباح الخير) فى ١٩٧٤/٨/١٩ ـ والأعداد التالية .

ومعناهما .

وأذكر ـ بهذه المناسبة ـ أن الدكتور يوسف مروة : أورد فى كتابه «علوم القرآن» طائفة من أقوال العلماء الفيزيائيين تعليقاً على ألفاظ ومعانى القرآن التى تحمل إشارات أو لفتات علمية .. ومن ذلك قول أحدهم إن أربعة آلاف خيط من خيوط العنكبوت تساوى شعره من شعر لحيته أو رأسه .. وهذا هو منتهى الضعف والوهن فى بيت العنكبوت الذى تُنشئهُ من خيوطها الواهنة الضعيفة ! .

والوقع ـ وهو المفهوم الصحيح والصريح والبليغ للآية ـ أن الآية تنفى أن يكون عذاب الله للمذنبين والكافرين وإيثاقه لهم بالسلاسل والأغلال .. كعذاب الناس فى الدنيا وإيثاقهم بعضهم لبعض .. بل هو أشد عذاباً وأشد وثاقاً لا مثيل لعذابه ولا شبيه لوثاقه . والضمير فى كلمتى «عذاب ووثاق» يعود إلى الذات الالهية لا إلى المذنب أو الكافر : أى لا يعذب عذاب الله أحد من .. لأن القرآن الكريم ـ كما جاء عن السلف وكما هو فى الواقع ـ «يفسر بعضه بعضاً» ..

فيومئذ لا يعذب عذابه أحد :

.. ويورد الدكتور مصطفى محمود فى المجلة نفسها ـ هذه الآية ﴿**فيومئذٍ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد**﴾ ويقول : هناك من سيكون حسيباً على نفسه يعذبها بالندم ويشد وثاقه بالحسرة ، وهوالذى لا يوثق وثاقه أحد ..

● قلت : ظن الدكتور ـ كما ظن صديقه الملحد ـ أن معنى الآية

أن المذنب أو المجرم يتولى هو نفسه عذاب نفسه ووثاقها

ونجد تأكيداً وتأييداً لهذا المعنى فى آية أخرى هى قوله تعالى ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله**﴾ أى أن عذاب الله شديد ليست فتنة الناس بعضهم لبعض كعذاب الله شدة وحدة.

ونعود فنكرر ما أسلفناه فى تعليقاتنا السابقة على كتاب الدكتور مصطفى محمود : «القرآن الكريم : محاولة لفهم عصرى» وهو أنه لا بد لفهم القرآن الكريم وتفسيره من النظر والتأمل فى مجموع آياته النفى الوارد فى الآية هو نفى مطلق لتعذيب غيره له.

حول معرفة الجنين :

.. وسأله صديقه الملحد : ما رأيك فى كلام القرآن الكريم عن العلم الآلهى : ﴿**إن الله عنده علم الساعة ـ وينزل الغيث ـ ويعلم ما فى الأرحام ـ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ـ وما تدرى نفس بأى أرض تموت ـ إن الله عليم خبير**﴾ فما بالك الآن بالطبيب الذى يستطيع أن يعلم ما بالأرحام أذكر هو أم أنثى !.

فأجابه الدكتور مصطفى محمود : بأن علم الله لما فى الأرحام علم كلى محيط، وليس علماً بجنس الجنين فقط هل هو ذكر أم أنثى، وإنما هو علم بمن يكون ذلك المولود وما شأنه ؟ وماذا سيفعل فى الدنيا ؟ وما تاريخه من يوم ولد إلى يوم يموت، وهو أمر لا يستطيع

أن يعلمه الطبيب ! !

● قلت : لقد أبعد الدكتور مصطفى وأغرب . فلو كان ما تعنيه الآية هو هذا العلم الواسع بتاريخ المولود داخل الرحم وخارجه إلى يوم يموت .. لجاءت عبارة القرآن الكريم على غير هذا الأسلوب ، وبغير التنصيص على (الأرحام) وتخصيص «العلم بما فى الأرحام» .

فإن التنصيص والتخصيص بهذا الأسلوب القرآنى يعنيان تحدياً إلهياً للبشر بأن هذه (الغيوب) الخمسة لا يعلمها إلّا الله وحده . أما العلم بما سوف يفعل المولود فى الدنيا ! وكيف تكون سيرته خلال حياته إلى يوم وفاته .. فقد تحدثت فقرة أخرى من الآية عن اختصاص الله عزّ وجلّ أيضاً بهذا «الغيب» فى قوله : ﴿**وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً**﴾ .. وبديهى أن الطبيب لا علاقة له ولا اختصاص عنده بهذا العلم التأريخى لأى إنسان آخر ..

وقد جاء هذا التحدِّى الآلهى لطائفة الكهان والعرافين الذين يزعمون أنهم يعلمون الغيوب الماضية والمستقبلة للناس . كما جاء ذلك التحدِّى الإلهى للأطباء خاصةً لعلاقاتهم بشئون التمريض والتوليد .

هذه واحدة ..

أما الثانية فإن الأطباء ـ فعلاً ـ عاجزون اليوم وسوف يظلون عاجزين إلى يوم القيامة عن معرفة جنس الجنين أهو ذكر أم أنثى .

وأكتفى بذكر الآية القرآنية الأخرى التى تؤكد مجتمعة انفراد الله عزّ وجلّ بعلم ﴿**ما فى الأرحام**﴾ .

ـ ﴿**الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد**

وكل شيء عنده بمقدار﴾ .

- ﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ..﴾

- ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ..﴾

ونضيف إليها الحديث النبوى الذى أخرجه البخارى ومسلم :

«مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلّا الله تعالى : لا يعلم أحد ما يكون فى غد - ولا يعلم أحد ما يكون فى الأرحام - ولا تعلم نفس ما تكسب غداً - وما تدرى نفس بأى أرضٍ تموت - وما يدرى أحد متى يجيء المطر .» .

وفى تفسير الامام الألوسى : أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة أنه قال : «خمس من الغيب استأثر الله بهن - حتى قال : ويعلم ما فى الأرحام ، فلا يعلم أحد ما فى الأرحام أذكر أم أنثى ؟ أحمر أم أسود» .

وفى مجلة التضامن الاسلامى - جمادى الآخره عام ١٣٩٤هـ - بحث قيم للأستاذ عوض عوض إبراهيم عن (اكتشاف الجنين بين الحقيقة والادعاء) ذكر فيه أنه سأل صديقه الطبيب - وهو مختص بشئون الولدة وأمراض النساء - هل يمكن للأشعة أن تخرق الرحم وتكشف عن الجنين أذكر أم أنثى ؟ فأجابه صديقه الطبيب الخبير : بأن وضع الجنين فى الرحم يحول دون وصول الأشعة إلى ما يكشف ذكورته أو أنوثته - ويضيف الأستاذ عوض إلى ما سبق ما قرأه للأستاذ عبدالرزاق نوفل فى كتابه « العلم والدين » عن الظلمات الثلاث التى تحيط بالجنين فتمنع اكتشافه بالأشعة وأن ذكر هذه

« الظلمات الثلاث » فى القرآن الكريم كان معجزة قرآنية دهش لها الأطباء الأجانب وسلموا للقرآن الكريم بصدق أخباره وعلومه ..

حوار مع الشيخ على الطنطاوى
حول مفهومات قرآنية

كتاب « تعريف بالإسلام » للشيخ على الطنطاوى قرأته قبل اثنتى عشرة سنة تقريبا .. وعندما كنت أبحث فى مكتبتى عن بعض المراجع وجدته بين يدى ، فقلبت بعض صفحاته ، فإذ بى أجد « هوامش » على بعض موضوعاته القرآنية ، فقلت : لابدَّ من طرحها على القراء وعلى فضيلة المؤلف الكبير :

● فى ص/٥ من الكتاب يقول المؤلف الفاضل عن أسباب تأليفه للكتاب : إنه ينظر فلا يجد كتابًا فى الإسلام جامعًا : وإنما يجد كتبًا فى الفقه فروعه وأصوله ، وكتبًا فى التوحيد والتفسير تنقضى الأعمار دون الوصول إلى نهايتها ، مكتوبة بأسلوب لا يستطيع الطالب أن يقرأها .. إلخ .

ـ قلت : الكتب المؤلفة بأقلام علماء عصريين فى الشريعة الإسلامية أحكامًا وعقيدةً وأخلاقًا كثيرة وفيرة ، منهم الأساتذة محمد الغزالى ، ومصطفى السباعى ، ومحمد أديب الصالح ، ومحمد القاسمى ، ومحمد على الصابونى ويحضرنى الآن اسم كتاب للشيخ أبى بكر الجزائرى المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وهو : (منهاج المسلم) يتحدث فيه بأسلوب سهل عن الإسلام عقيدة وشريعةً وأخلاقًا .

● ويقول فضيلته فى (ص ٤٦) من كتابه «تعريف بالاسلام» :

«لقد أرانى الله معنى لسورة الناس فيه رد على من يقر بوجود الله وربوبيته وملكه ، ولكنه لا يوحده توحيد الألوهية ... معنى لم أجد من المفسرين من ذكره ، وأرجو أن يكون صواباً ـ يقول الله عزّ وجلّ : ﴿**قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس** *﴾ فلماذا كرر لفظ (الناس) وعمد إلى الإظهار بدلاً من الإضمار ؟ فلم يقول مثلاً «رب الناس ، وملكهم ، وإلههم» ؟ الذى ظهر لى والله أعلم كأن ربنا يقول لهم : هذه ثلاث قضايا متماثلة متكاملة ، كل قضية مستقلة بنفسها مع ارتباطها بأختها : فهو (رب الناس) أى خالقهم وحافظهم ، وهو (ملك الناس) أى مالكهم المتصرف فيهم ، وهو (إله الناس) أى المستحق وحده لعبادتهم لا يجوز أن يكون له شريك فيها ، ومقتضى ذلك أن تصدقوا بالقضايا الثلاث ، أو تنكروا القضايا الثلاث ـ فما بالكم تصدقون بالأولى والثانية وترفضون الثالثة ؟ كيف تفرقون بين المتماثلات ..» ؟ .

وملاحظاتنا على كلام المؤلف الفاضل : أن هذا الذى ذهب إليه فى فهم تكرار كلمة (الناس) سبقه إليه مفسرون قدامى ومحدثون من أمثال ابن كثير والقرطبى والنسفى والزمخشرى والألوسى وسيد قطب ـ إلّا أنهم لم يجعلوا من التكرار أو الاظهار دون الاضمار قضية مستقلة لكل صفة من صفات الرب تبارك وتعالى .

وإذا كان معنى (رب الناس) كما فسَّرها الشيخ الطنطاوى وفسَّرها المفسرون قبله : خالقهم وحافظهم ومربيهم ـ ومعنى (ملك الناس) كما فسرها هو والمفسرون السابقون : أى مالكهم وحاكمهم

والمتصرف فيهم بما يشاء ـ فهو إذن (إلَه الناس) المستحق لعبادتهم وطاعتهم وتقواهم وحده دون شريك .

فهى قضية واحدة : قضية الألوهية ، ولها أو على حقيقتها الظاهرة برهانان: برهان الربوبية وبرهان الملكية .

وإنما جاء تكرار لفظ (الناس) عطف بيان لأنه قد يقال لغير الله عزّ وجلّ : رب الناس بمعنى سيدهم ، وقد يقال : ملك الناس لأن فى الناس ملوكاً ، وإنما قال (إلَه الناس) لأنه خاص لا شركة فى ألوهيته ، فجعله غاية البيان ـ على حد تعبير الزمخشرى فى الكشاف ـ وهذا التوجيه ذهب إليه القرطبى أيضاً .

أما الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ فيرى فى تكرار كلمة (الناس) رأياً آخر : وهو أن قوله (رب الناس) وهم أجنة وأطفال ـ و (ملك الناس) وهم شباب وشيوخ يسوسهم ويملكهم ـ و (إلَه الناس) يعبدونه مدى أعمارهم .

* * *

● وفى (ص ٥٣) من الكتاب يتحدث المؤلف الفاضل عن نسبة بعض الأفعال إلى الذات الإلَهية .. ويتعذر فهمها على الحقيقة كقوله عزّ وجلّ : (نسوا الله فنسيهم) و (مكروا ومكر الله) و (يخادعون الله وهو خادعهم) ثم قال : فنحن نؤمن بها ولا نحاول ما لا نستطيع من معرفة تفصيل المراد منها ...

ـ قلت : إن المجاز مأخذ لغوى وبلاغى معروف فى كلام العرب والقرآن الكريم فى القمة من اللغة العربية .. وهناك فى القرآن كلمات وعبارات لا يمكن فهمها على حقيقتها ولابدَّ فيها من اعتبارها

مجازاً ـ ولا نطيل بذكرها هنا ـ ونكتفى بالكلمات التى أوردها المؤلف الفاضل .

فالنسيان والمكر والخداع ـ هذه الأمور أو الأفعال التى نُسِبت إلى الله عزّ وجلّ هى من قبيل الاستعارة المعروفة فى أصول البلاغة العربية ، وهى أبلغ وأقوى تعبيراً وتصويراً للمعنى المراد ـ وتُسمى (المشاكلة) من حيث اللفظ دون المعنى ـ أى أن الله يجازيهم على نسيانهم وعلى خداعهم وعلى مكرهم الجزاء الأوفى ، وقد سَمَّى الجزاء على هذه الخبائث بأسمائها من قبيل المشاكلة كما أسلفنا لأن وبال أمرهم وعاقبة سلوكهم راجعة إليهم جزاءً وفاقا .

وقد استخدمت هذه الاستعارة فى الحديث النبوى : **(اللهم امكر لى ولا تمكر على)** **وجاء من هذا القبيل قوله عزّ وجلّ** : **﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلّا أن يشاء الله﴾** فالمكر فى الحديث والكيد فى الآية بمعنى التدبير والعون والتوفيق إلى الخير .

● وفى (ص ٥٧) يتحدث الشيخ الطنطاوى عن احدى الشبهات التى تثور فى أذهان بعض الناس فيقول : يسأل الكثيرون : ما بال الكافر يعمل على ما ينفع الناس يوزع الصدقات ، ويبنى الملاجىء والمستشفيات ، ويفتح المدارس ـ ثم لا يكون له عندكم ثواب فى الآخرة ؟ ثم قال : والرد أن الله لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى ولا يحرم محسناً ثمرة إحسانه ، بل يعطيه ما يطلبه ، فإذا كان المحسن مؤمناً مصدِّقاً بالآخرة وطلب ثوابها أعطاه الله ثواب الآخرة ، وإن كان هو لا يريد إلّا الدنيا والشهوة والذكر الحسن

وان تكتب الجرائد عنه ، ويسجل التاريخ إسمه اعطاه ما يطلبه : فهو لا يريد الآخرة ..»

ـ قلت : كان على المؤلف الفاضل مادام لا مرجع عنده ، ولا معتمد له إلّا (المصحف) وحده كما كرر القول خلال صفحات كتابه .. أقول : كان عليه أن يورد بعض الآيات القرآنية التى تثبت صحة رده على السائل كقوله عزّ وجلّ : ﴿**ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وماله فى الآخرة من نصيب**﴾[1] وقوله تبارك وتعالى أيضاً : ﴿**من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ..**﴾[2] وقوله كذلك : ﴿**من كان يريد ثواب الدنيا .. فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ..**﴾[3]

* * *

● وفى (ص ٥٨) يقول الشيخ الطنطاوى : (وأنا أدعو إلى شيء جديد .. شيء هو أقرب إلى الحق ، وانفع لنا ـ فبدلاً من أن نقول : هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق . نقول : إن القرآن أنزله الله لنعمل به ، فلنعمل به ولنأتمر بأمره ، ولنقف عند نهيه ..) الخ ..

ـ قلت : إن هذه الدعوة إلى العمل بالقرآن أمراً ونهياً .. ليست شيئاً جديداً ابتكره المؤلف .. فالقرآن نفسه يدعو المسلمين إلى العمل بأحكامه وأخلاقه ، و طرح المجادلة والمراء والكلام الكثير الذى لا جدوى وراءه ـ ففيه قول الله عزّ وجلّ : ﴿**وقل اعملوا**

---

(١) سورة الشورى ٢٠ . (٢) سورة الإسراء ١٨ .
(٣) سورة النساء ١٣٤ .

فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ...﴾ وتكرر هذا التوجيه بالنص مع حذف كلمة (المؤمنون) فى آية أخرى . والرسول عليه الصلاة والسلام يوجه إلى (العمل) فى أكثر من حديث . ونكتفى بواحدٍ منها وهو قوله ﷺ : **(ليس الإيمان بالتمنى .. ولكنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل ..) بل نضيف إليه التوجيه النبوى الآخر : (إن الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال) .. الخ**[1]

هل كان الرسول يعلم الغيب دائماً ؟

بعض الكتاب نشر فى مجلة عربية مقالاً يجزم فيه بقوله : «إنَّ النبى ـ ولا شك ـ كان يعلم الغيب . فيخترق بعقله أو بروحه الحجب ، ويعرف حقائق أسرار الكون .. ولا مجال لتكذيب هذا الأمر ، بعد أن أقر علم النفس الحديث قراءة الأفكار واحضار الأرواح ومحادثتها ، وذهب الكاتب يضرب الأمثال على مازعم :

١ ـ اخبار النبى عليه السلام لعمار بن ياسر : **(إنما تقتلك الفئة الباغية»** .

٢ ـ تحديثه بأشقى رجلين : أحيمر ثمود عاقر الناقة ، وعبدالرحمن ابن ملجم قاتل على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

٣ ـ تحديثه عمير بن وهب بما جاء من أجله إلى المدينة ، وهو ما تآمر عليه هو وصفوان بن أمية ، فى الحجر فى اليمامة ، من

---

(١) فى الكتاب موضوعات أخرى تناولتها بالنقد والتعقيب . هى تتعلق بآيات القرآن لفظًا أو موضوعًا . ولكنى أحتاج إلى وقفة أخرى .

اغتياله عليه السلام .

٤ ـ اخباره لعمه العباس ، يوم أسر فى واقعة بدر ، بما خبأه عند أم الفضل بمكة من مال :

٥ ـ ما حدث به سلمان الفارسى أثناء حفر الخندق ، عندما لمعت برقات ثلاث تحت معوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذى كان يضرب به صخرة اعترضت الخندق فقال عن الأولى أنها بشارة فتح اليمن ، والثانية فتح الشام والمغرب ، والثالثة فتح المشرق .. وقد صحت هذه البشريات فتمت هذه الفتوح .

٦ ـ حديثه عن العاصفة التى هبت فى طريقه إلى غزوة بنى المصطلق ، بأنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما وصل المسلمون إلى المدينة وجدوا رفاعة بن زيد اليهودى قد هلك فى ذلك اليوم .

٧ ـ قصة حاطب بن بلتعة ، وعلم النبى ﷺ بالمرأة التى حملها حاطب رسالة إلى مشركى قريش ينبئهم فيها بمقدم النبى إليهم .

٨ ـ اخباره لوفد أهل جرشى ـ باليمن ـ بما أصاب قومهم من تقتيل صرد بن عبدالله لهم ـ إلى غير ذلك من حوادث ذكرها الكاتب أم لم يذكرها .. ولكنه اتخذها أدلة على علم الرسول بالغيب ، وهى إن كثرت أو قلت لا تدل على ما زعم وليست حجة على ما ادعى .

وما نريده من التعقيب على هذه الزعمة الباطلة هو افهام القارىء ـ بالحجة البينة ـ بأن أحداً من الناس لا يعلم الغيب الذى اختص به الله وحده سبحانه ، لذلك ينبغى له أن يطهر فؤاده من

وساوس شياطين الانس والجن ، ونبوءاتهم التى تبلبل الخواطر والمشاعر .. تأميلاً فى باطل ، أو تيئيساً من حق ، كما ينبغى له أن يقبل على الحياة متبيناً معالمها ، عاملاً فى مناكبها ، مسهماً فى مجتمعه بمحاسن قوله وفعله ورأيه .. مؤمناً بأن الله سبحانه لم يجعل له عينين ولساناً وشفتين إلّا ليميز بين الطيب والخبيث وينصر الحق على الباطل ، ويؤيد الخير على الشر .

ونسأل الآن :

هل كان النبى محمد عليه الصلاة والسلام يعلم «الغيب» كلياً ، ومطلقاً ، ودائماً ! أما أنا ، فأقول : لا وإنما كان يعلم «الغيب» بإيحاء الله له ـ متى شاء ـ فى أزمنة وأمكنة وقضايا محدودة غير مطلقة وليس الحجاب مكشوفاً له دائماً بحيث يرى «غيب» ملكوت السموات والأرض ويعلم ما حدث أمس وكل ما يحدث بعده وإن لم يرهما .

.. وأول ما نريد نقضه من قواعد زعمه ، ما زين له من الاحتجاج بما أقره علم النفس الحديث من «قراءة الأفكار» و «احضار الأرواح ومحادثتها» فليس ما كان يوحى إلى النبى عليه الصلاة والسلام من «غيوب» محدودة من هذا القبيل .. قبيل قراءة الأفكار ، واحضار الأرواح . وإلّا فما الفرق بينه وبين العاديين الذين يحترفون هذين العلمين أو الوهمين على الصحيح ؟ .

إن الحجة يجب أن تكون من جنس المحتج عليه . وعلم النبى ببعض «الغيوب» كان وحياً إلهياً ، لا أكثر ولا أقل ـ وهذان العلمان أو الوهمان ليسا كذلك بلا مراء . ثم إنَّ علم النبى ببعض «الغيوب»

لا يصححه لدينا أو يؤكده لنا شيء من هذه التجارب والمعارف الحديثة ، وإنما نؤمن به ، كما نؤمن بالقرآن الذى يذكر لنا أن محمداً عليه الصلاة والسلام أوتى بمعجزات عديدة ، كما أوتى النبيون من قبله معجزات أيضاً .. ولا نزيد ! ! وعلمه ﷺ ببعض الغيوب ، هو من بعض هذه المعجزات .

وها هو القرآن الذى نؤمن به ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ونؤمن بما ذكر عن معجزات الأنبياء جميعاً ـ يذكر فى آيات صريحة فصيحة ، مكررة مؤكدة : أن النبى عليه الصلاة والسلام كان لا يعلم الغيب كلياً ، ومطلقاً ، ودائماً :

- **﴿فقل إنما الغيب لله﴾** (١)
- **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو﴾** (٢)
- **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسول﴾** (٣)
- **﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلّا الله ..﴾** (٤)
- **﴿قل ما كنت بدعا من الرسل . وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم﴾** (٥)
- **﴿ولا أقول لكم عندى خزائن الله . ولا أعلم الغيب ..﴾** (٦) .
- **﴿قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلّا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . وما مسّنى السوء ..﴾** (٧)

---

(١) سورة يونس ٢٠ . (٢) سورة الأنعام ٥٩ .
(٣) سورة الجن ٢٦ ، ٢٧ . (٤) سورة النمل ٦٥ .
(٥) سورة الأحقاف ٩ . (٦) سورة هود ٣١ . (٧) سورة الأعراف ١٨٨ .

أجل لو كان النبى عليه الصلاة والسلام يعلم «الغيب» لاستكثر من الخير ولما مسه سوء اعدائه ومكائدهم . ولاتخذ من كل اذى حمى . وحسب لكل هزيمة فى المعارك التى هزم فيها المسلمون حساباً ، ولما أسف على كفر من كفر ، وما حزن على مسارعة من يسارع إلى الكفر ، أو على قول من يقولون له : لست مرسلاً ، أو يطلبون منه مطالب الاعجاز والاعنات .. لأن من يعلم ما سيحدث له لا يبالى به إذا حدث حيث إن نفسه استقرت على تلقيه واستقباله .

.. ولكن النبى - كما يذكر القرآن فى عدة مواضع - كان يأسف ، وكان يحزن ، وكان يحاول أن يبخع نفسه ، وكان يضيق صدره ، بما يفاجأ به من أحداث .

بل أكثر من ذلك .. لو كان النبى يعلم الغيب دائماً لعرف عاقبة بعثة القراء السبعين الذين [illegible] دعوة عامر بن مالك أمير نجد ، بارسالهم إلى قومه لتفقيهم فى الاسلام - وهى - أى العاقبة - غدر قوم عامر بهم وقتلهم إياهم عدا واحداً .

ولعلم أيضاً مصير البعثة الأخرى ، التى أرسلها إلى بعض القبائل المجاورة للمدينة وقد قتلوها غدراً عدا إثنين من رجالها أسروهما وباعوهما فى قريش .

وما يقال فى ذلك يقال أيضاً فى قصة الافك الذى رميت به عائشة رضى الله عنها ، فلو كان النبى يعلم الغيب ، لعلم كذب الفرية ، ولأيقن براءتها ، واستغنى عن مغاضبتها ومتاركتها فى بيت أهلها حيناً ، وعن سؤال على بن أبى طالب وجاريتها بريرة عن

حقيقة سيرتها ، ولكنى نفسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذهاب إليها فى بيت والديها ليسألها : «إن كنت ألممت بذنب فتوبى إلى الله» .

وفى حديث عائشة رضى الله عنها ـ الذى يرويه الامام مسلم فى صحيحه (**من زعم أن محمداً ﷺ خبر بما يكون فى غدٍ .. فقد أعظم على الله الفرية**) ،أى أنه عليه الصلاة والسلام على الرغم من أن الوحى الإلهى عليه رواح غداء ، لا يدرى ما يحدث فى الغد بصورة تلقائية ودائمة إلّا أن يوحى إليه من الله شىء .

ويؤكد ما سبق من حديث عائشة ما رواه الامام البخارى ـ فى كتاب الشهادات ـ أن زوجة عثمان بن مظعون قالت عند موته : «لقد أكرمك الله» فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريك أن الله قد أكرمه .. والله ما ادرى وأنا رسول الله ما يفعل به ؟ .

وهنالك آيات من القرآن أخرى تقرر انفراد الله بعلم الغيب ، بطريق غير مباشرة ، وقد أفحم الله سبحانه بها المجرمين الذين يزعمون «الجبرية» قاهرة لهم فيما اقترفوا من جرائم ..

فعندما قالوا : ﴿**لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من شىء**﴾ سألهم متحدياً معجزاً : ﴿**هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟**﴾ أى هل عرفتم ما غاب عنكم مما كتب عليكم من عمل ، فقدرتموه !؟» .

وكان فريق من هؤلاء ﴿**إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها**﴾ فرد عليهم : ﴿**قل إنَّ الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟**﴾ .

وإذا كان بعض الناس ـ مع ما حجب عنهم من علم الغيب ـ قد افتروا على الله كذباً فزعموا جبرية ما يكتسبون من جرائم ، ثم ينسبوها إلى مشيئة الله . فكيف لو أبيح حمى الغيب الالهى للناس جميعاً !؟ إذن لكانت حجتهم فى دعوى الجبرية أقوى ، وعذرهم فى اجتراح السيئات أوضح ..

وقد حرم الاسلام الكهانة والتنجيم والسحر ـ وهى أمور تعتمد على علم الغيب ـ لأن علم الغيب هذا لا يملكه إلّا الله وحده ، ولأن الاسلام دين العمل والفكر ، ولا بد لاخلاص العمل واحسان التفكير من تطهير القلوب والأذهان من وساوس الخرافات والأوهام وخواطر التشاؤم والتطير التى تشل قافلة الحياة عن السير فى نظام وأمان .

وبعد .. فقد وضح الفرق بين ما كان يعلمه النبى عليه الصلاة والسلام من بعض الغيوب ، وبين قراءة الأفكار واحضار الأرواح ، وغيرهما من تجارب العصر الحديث ، التى لم تصل بعد إلى اليقين ، أو التى لا تعد علماً بالغيب ، بالمعنى الصحيح ، وإنما هى من قبيل ما يسمى بالتحديث أو الالهام وقد يكون ـ كما ورد فى حديث نبوى ـ إمَّا لمّة ملك أو لمة شيطان والأولى وعد بالخير ، وتصديق بالحق ، والأخرى يعد بالشر ، وتكذيب بالحق .

وقد كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ من هؤلاء المحدثين الملهمين بشهادة نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام .

فليعرف القراء ذلك الفرق الفارق ، وليتبينوا ذلك الضياء الشارق لئلا يتخذ بعض المحترفين ما زعمه الكاتب حجة لهم فيما

يحترفون من قراءة أفكار أو احضار أرواح .
وشتان بين معجزات الأنبياء وترهات الأدعياء .

مصادر الايمان كما يقررها القرآن

تربطنى بالأستاذ محمد عبد الله السمان صلة صداقة روحية وفكرية وتحتل مؤلفاته الإسلامية من نفسى مكانا رفيعا ، وقد قرأت مؤلفه « الأسلام وجها لوجه » وامتلأت نفسى إعجابا وطربا لجولات الأستاذ السمان البارعة وصولاته فى ميدان الفكرة الإسلامية التى تتظاهر على صراعها اليوم المذاهب الهدامة من كل حدب ، وتتربص بها الدوائر دون الغرب والشرق على سواء ..

* * *

ينقل الأستاذ السمان فى كتابه القيم (ص ١٤) رأيا لجوستاف لوبون فى كتابه « الآراء والمعتقدات » يقول فيه : إن المعتقد الدينى هو إيمان أينع فى عالم اللاشعور من غير أن يكون للعقل سلطان عليه ..

ويعقب الأستاذ السمان على ذلك : بأنه لا ينطبق على العقيدة الإسلامية ، لأن الإسلام اعتمد فى انقلابه على العقل والتفكير الحر ..

هكذا يجزم لوبون بأن العقيدة الدينية منبعها الوجدان الباطن ، الذى لا يستند على إحساس ولا على إدراك ولا على تجربة من التاريخ .. وهكذا يرى مؤلف « الإسلام وجها لوجه » ان المعتقد الإسلامى يعتمد على العقل الحر وحده ..

أما أنا فعندى أن العقيدة الإسلامية : ايمان ينبع من العقل والوجدان معا ، إذا استقاما ولم يعوجا ، وصلحا ولم يفسدا ، وطابا ولم يخبثا .. بحيث يستجيبان « لإقناع » ما فى الوجود الإنسانى من دلائل ، و « لاغراء » ما فيه من عواطف ، فى اقتناع فكرى واستمتاع وجدانى يضاف إلى ذلك ما « للتاريخ » من أثر بعيد فى مساعدة العقل والوجدان ، على تلبية دعوة الإسلام إلى معتده السليم القويم ..

هذه مائدة القرآن الشهية السخية تسعفنا بالحجج البينات على منطقية الدين الإسلامى فى مخاطبة معتنقيه أو محاولى اعتناقه ، بما يقنعهم عقليا ووجدانيا ، وتاريخيا بأنه الدين الخالد الواحد !

تسعفنا مائدة القرآن : – أولا : بالاقناع العقلى ، – وثانيا : بالاغراء الوجدانى ، – وثالثا : بالبرهان التاريخى .

أما الاقناع العقلى فيبدأ بإثبات عجز ما يدعى من دون الله من آلهة باطلة : فهى لن تخلق ذبابا ، ولو سلبها الذباب شيئا لعجزت عن استرداده منه ، وهى لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا .. ولا تملك ميتا ولا حياة ولا نشورا ..

وهى لا تستجيب لمن يدعوها بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه .. وهى كذلك ليست لها أيد تبطش بها ، ولا أرجل تمشى عليها ، ولا أعين تبصر بها ، ولا آذان تسمع بها ولا غير ذلك من إمكانيات وقدر تؤهلها لمنفعة نفسها فضلا عن منفعة الناس ..

أولاً مصدر الإيمان عقلى :

اقرأ معنى هذه الآيات القرآنية التى تحمل الاقناع العقلى بالمعتقد الاسلامى :

- **﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون﴾** (1)
- **﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾** (2)
- **﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا . ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾** (3)
- **﴿ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها﴾** (4)
- **﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ؟﴾** (5)
- **﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له .. وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾** (6)
- **﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلّا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه .. وما دعاء الكافرين إلّا فى ضلال﴾** (7)

ويثنى «الاقناع العقلى» فى القرآن ببيان الدلائل السواطع على قدرة الله .. الأحد الفرد الصمد ، فهو سبحانه الذى رفع

---

(1) سورة النحل ١٧ . (2) سورة الأعراف ١٩١ . (3) سورة الفرقان ٣ .
(4) سورة الأعراف ١٩٥ . (5) سورة فاطر ٤٠ .
(6) سورة الحج ٧٣ . (7) سورة الرعد ١٤ .

السموات بغير عمد ، وبسط الأرض وسخّر الشمس والنجوم ، وأقام الجبال أوتاداً ، وأنزل الماء ، وأنبت به حدائق ذات بهجة ، فيها فواكه كثيرة .. وهو الذى يحى ويميت ، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ويعطى ويمنع ، ويقول القرآن فى هذا المعنى الجليل :

- **﴿بديع السموات والأرض ..﴾** [1]
- **﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخّر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى﴾** [2]
- **﴿وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً﴾** [3]
- **﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾** [4]
- **﴿وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾** [5]
- **﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر﴾** [6]

ثم يقدم القرآن بعد ذلك برهان الاستجابة العقلية .. فهو يسأل متعجباً من دعاوى المشركين المبطلين ، ثم يقرر الحقيقة الابدية الأزلية : حقيقة الوحدة الإلّهية التى لا يجادل فيها أولو الألباب :

- **﴿انى يكون له ولد ؟ ولم تكن له صاحبة﴾** [7]
- **﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا﴾** [8]

---

(١) سورة الأنعام ١٠١ . (٢) سورة الرعد ٢ .
(٣) سورة الرعد ٣ . (٤) سورة العنكبوت ٦٢ .
(٥) سورة النمل ٦٠ . (٦) سورة الأنعام ٩٧ .
(٧) سورة الأنعام ١٠١ . (٨) سورة الأنبياء ٢١ ، ٢٢ .

● ﴿ما اتخذ الله من ولد .. وما كان معه من إله .. إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض﴾[1]

● ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لابتغوا إلى ذى العرش سبيلاً﴾[2] .

والقرآن ـ فى سبيل الاقناع العقلى ـ يجيب على شبهات المبطلين فى البعث ، بأقوى حجة ، فيقول :

● ﴿فسيقولون من يعيدنا ؟ قال الذى فطركم أول مرة﴾[3]

● ﴿ويقول الإنسان أءِذا ما مت لسوف أخرج حياً . أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾[4]

● ﴿وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه .. قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة﴾[5]

ثانيًا مصدر الإيمان وجدانى ..

أما ما يحمله القرآن من «اغراء وجدانى» بالعقيدة الاسلامية .. فهو هذا الحديث العجيب .. بل هو هذا الهاتف النفسى الدائم بنعم الله على الإنسان : خلقه فى أحسن تقويم .. وصوره فأحسن صورته .. ورزقه من الطيبات ، وهداه فى الظلمات ، ونجاه من كل كرب واستجاب له عند كل دعوة .. ووهبه نعمة السمع والبصر والفؤاد ، وجعل له مما خلق ظلالاً .. وجعل له سرابيل تقيه الحر ، وأخرى تقيه البرد ، وثالثة تقيه الطعن فى الحروب .. فلنستمع إلى

---

(١) سورة المؤمنون ٩١ .
(٢) سورة الإسراء ٤٢ .
(٣) سورة الإسراء ٥١ .
(٤) سورة مريم ٦٦ ، ٦٧ .
(٥) سورة يس ٧٨ ، ٧٩ .

هاتف القرآن بالإنسان يناجيه لينجيه ..

● ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك – فى أى صورة ما شاء ركبك﴾[1] ؟

● ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾[2]

● ﴿وصوركم فأحسن صوركم ، ورزقكم من الطيبات﴾[3]

● ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد – والنخل باسقات لها طلع نضيد – رزقًا للعباد ، وأحيينا به بلدة ميتا﴾[4]

● ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾[5]

● ﴿أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر * ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته﴾[6]

● ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾[7]

● ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾[8]

● ﴿أفرأيتم ما تحرثون – أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ..﴾[9]

● ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون – أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾[10]

● ﴿أفرأيتم النار التى تورون – أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن

---

(١) سورة الانفطار ٦ ، ٧ ، ٨ . (٢) سورة التين ٤ .
(٣) سورة الزمر ٦٤ . (٤) سورة ق ٩ ، ١٠ ، ١١ .
(٥) سورة النمل ٦٢ . (٦) سورة النمل ٦٣ .
(٧) سورة فاطر ٣ . (٨) سورة النحل ٥٣ .
(٩) سورة الواقعة ٦٣ ، ٦٤ . (١٠) سورة الواقعة ٦٨ ، ٦٩ .

المنشئون﴾[1]

● ﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً .. وجعل لكم من الجبال أكنانا .. وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم﴾[2]

● ﴿والذين تدعون من دونه الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾[3]

فى هذه الآيات المباركات يعتمد القرآن لاقرار عقيدته على خطاب وجدان الإنسان وعواطفه .. يذكِّره فيها بحب الله له ، ورعايته له بشتى النعم والخيرات والأرزاق والقوى والقدر .. وتجميله لخلقته ، ووضعه له فى أحسن تقويم .. وفيها أيضا يلفت نظره إلى أن ما يُدْعَى من دونه – سبحانه – لا يملك للإنسان – بل لنفسه – نصرا فى حرب ، ولا تفريجا لكرب ، ولا إجابة لدعاء !!

ثالثًا مصدر الإيمان تأريخى ..

بعد الاقناع العقلى ، والاغراء الوجدانى .. اللذْين يعتمد عليهما الإسلام فى تقرير عقيدته الوثقى – يأتى البرهان التأريخى ، فهو يتحدى المبطلين أن يثبتوا تاريخيًا وجود إله أو آلهة ملكت أو فعلت شيئًا مما يفعله ويملكه الله سبحانه .. خَلْقًا وأمْرًا – ويقول القرآن فى هذه المرحلة الأخيرة من قضية العقيدة الإسلامية :

● ﴿أم اتخذوا من دونه آلهةً ؟ قل هاتو برهانكم . هذا ذكر من معى وذكر من قبلى﴾[4]

---

(١) سورة الواقعة ٧١ ، ٩٢ . (٢) سورة النحل ٨١ .
(٣) سورة الأعراف ١٩٧ . (٤) سورة الأنبياء ٢٤ .

● ﴿**قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ؟ ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم**﴾[1]

● ﴿**قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله : ارونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ؟ أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه**﴾[2]

● ﴿**أم أنزلنا عليهم سلطانًا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون**﴾[3]

وبعد : فهذا هو منطق العقيدة الإسلامية ، مستنبطًا من القرآن ببرهان العقل ، وبرهان الوجدان ، وبرهان التأريخ .

ولذلك نجد الكفار بالدين الإسلامى لا يملكون أية حجة عقلية ولا وجدانية ولا تاريخية لكفرهم .. وقد لجأوا إلى الادعاء بأن ما جاء به الرسول ﷺ : إنما هو سحر ، وتارة زعموا أنه شعر ، وأخرى زعموا أنه أساطير الأولين .

وقد تحداهم القرآن مرارًا بقوله : ﴿**هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾ ولما لم يكن لهم أى برهان عقلى ولا وجدانى ولا تأريخى .. غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

اليهودية بدأت مع موسى ولم تبدأ بإخوة يوسف

فى عدد «الشرق الأوسط» المؤرخ ١٤٠٣/٧/١٢ ـ ينقل الأخ الكريم الدكتور عبدالحليم عويس خلال دراسته القيمة عن «التعامل

---

(١) سورة الأحقاف ٤ . (٢) سورة فاطر ٤٠ . (٣) سورة الروم ٣٥ .

مع اليهود فى ضوء الفقه الاسلامى» مقولة للدكتور صابر طعيمة ـ المتخصص فى الدراسات اليهودية والأستاذ بكلية أصول الدين بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض :

● إن صورة اليهود التى وردت فى سورة يوسف قبل توبة الله على اخوة يوسف .. أى يوم كانوا يهوداً بدون وحى سليم كأبناء عصرنا . هذه السورة هى خير ما نقتبس منه الفهم الموضوعى للنفسية اليهودية ، وللمكونات المحركة لها ممتدة فى التأريخ ولم تنقطع حتى الآن .. ولا نعتقد أن فى هذه الصورة أى ظلم لليهود .. فهم يعاملون أخاهم يوسف (الجملة هنا غير تامة !) كما أن حاضرهم لم يظهر تطور فى اخلاقهم ومكوناتهم النفسية ـ ففى سورة يوسف ترد الآيات القرآنية عن اخوة يوسف وحقدهم على أخيهم يوسف وفى قوله تعالى ﴿**لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين ـ إذ قالوا ليوسف واخوه احب إلى ابينا منا ونحن عصبة .. إن ابانا لفى ضلال مبين**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون**﴾ .

ثم عقب الدكتور عويس على مقولة الدكتور طعيمة بقوله : (ففى هذه الآيات الجامعة بيان شامل وفاصل لأخلاق اليهود ونفسياتهم التى يجب أن نعتمد عليها فى تعاملنا معهم ...) !

وقبل ذلك وفى عدد «عكاظ» المؤرخ ١٤٠٣/٦/٢٧هـ جاءت فى صفحة الفكر الاسلامى التى يشرف عليها الدكتور أحمد الجنيدل ـ مقالة للأخ محسن عبدالمنعم رضوان تحدث فى مقدمتها عن اخوة يوسف ، فوصفهم بأنهم أشرار يجتمعون معاً ليظهروا

حقدهم وحسدهم نحو يوسف وشقيقه بنيامين ـ قال تعالى : ﴿**إذ قالوا ليوسف واخوه أحب إلى ابينا منا ونحن عصبة .. إن أبانا لفى ضلال مبين**﴾ ـ ثم أضاف قوله ـ وهؤلاء هم آباء اليهود ينكرون على أبيهم هذه العاطفة الطبيعية المجبولة فى فطرة كل أب وكل أم نحو الصغار من ابنائهما ـ وهذا القانون غير الأخلاق هو الذى يحرك اليهود فى كل زمان ومكان ..) الخ .

ومقالة الأخ رضوان طويلة ، وهى حلقات متتابعة باسم (أخلاق اليهود كما تتجلى فى سورة يوسف) وهو يرد كل مساوىء اليهود عبر تاريخهم الطويل إلى أخوة يوسف ، ويحملهم كل أوزارهم ، ويجعلهم أصلاً لأشرارهم ! !

* * *

والحقيقة التأريخية ، والصورة القرآنية صريحتان كل الصراحة ، وواضحتان كل الوضوح فى تأكيد براءة أخوة يوسف من مساوىء اليهود ومخازيهم .

وعداوة اليهود لنا ، وكراهيتنا إياهم يجب أن لا تحملانا على تجريم الأبرياء من جدودهم ـ فالله تبارك وتعالى يؤدبنا أدباً عالياً إذ يقول فى سورة المائدة : ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ـ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ـ اعدلوا هو أقرب للتقوى ..**﴾

وحسبنا ننتأكد من عداء اليهود الشديد للإسلام ورسوله وكتابه ، وللمسلمين عامة قول الله عزّ وجلّ ـ فى السورة نفسها ـ : ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين**

اشركوا ..﴾ ثم ما قصه علينا القرآن من مواقفهم المخزية المتعددة مع نبى الله موسى عليه السلام .. حيث قالوا له مرة : **﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾** ـ وقالوا تارة أخرى : **﴿أرنا الله جهرة﴾** وقالوا ثالثة : **﴿لن نصبر على طعام واحد ..﴾** وقالوا رابعة : **﴿إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾** الخ .

كما أن السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى اثبتا لنا كيف عاملهم نبى الاسلام ﷺ خلال اقامتهم معه بالمدينة معاملة الجار للجار عدلاً واحساناً .. فقابلوه بالغدر والخيانة ، ونقض العهد ، والتآمر عليه وعلى الاسلام والمسلمين مع المشركين فى مكة ، والمنافقين فى المدينة الخ .

* * *

أما أخوة يوسف عليه السلام فهم أبرياء مما اتصف به اليهود من أخلاق لعنهم الله بسببها وغضب عليهم ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت .

● والقرآن صريح فى إثبات هذه البراءة لأخوة يوسف ـ (فاولا) : يقول الله عزّ وجلّ : **﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً . ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين﴾** وهو يرد بذلك على دعواهم ، فقد ادعت اليهود أن إبراهيم كان يهودياً ، وادعت النصارى أنه كان نصرانياً .

ويكرر القرآن تكذيبه لليهود والنصارى فى دعواهم المنكرة هذه بصورة أوسع تشمل ذريته أولاداً وأحفاداً ، وذلك فى قوله عزّ وجلّ : **﴿أم تقولون إنْ إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب**

والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ـ قل أأنتم أعلم أم الله . ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ..﴾[1]

والأسباط فى هذه الآية ـ وفى آيات أخرى سيرد ذكرها فيما بعد ـ هم أبناء يعقوب الاثنا عشر أى يوسف واخوته : بنيامين شقيقه .. والعشرة الآخرون .

(ثانياً) : إن الله تبارك وتعالى يأمر نبيه محمداً ﷺ ويأمرنا نحن المسلمين معه فى آيتين متشابهتين من سورة البقرة وسورة آل عمران ـ الأولى بدأت بقوله (قولوا) والثانية بقوله (قل) وتمام الآيتين : **﴿آمنا بالله وما انزل إلينا وما انزل إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ..﴾** وجاء فى الآية الثانية قوله (علينا) بدلاً من (إلينا) فى الآية الأولى ـ والمعنى واحد ..

فالأسباط هنا ـ فى الآيتين ـ هم أبناء يعقوب : يوسف واخوته . ولذلك اختلف العلماء فى القول بأنهم كانوا أنبياء أم لم يكونوا .. والقائلون بنبوتهم يرون أن خطأهم فى حق أبيهم وفى حق أخيهم يوسف كان قبل النبوة ، وقد تابوا بعد ذلك ، وهو أمر لا يستحيل فى حق الأنبياء .

● قلت : هنا أقف لحظة لأضيف إلى حجة القائلين بنبوة أخوة يوسف استناداً إلى صريح الآيات القرآنية ـ أن موسى عليه السلام قبل أن يوحى إليه ارتكب خطأ عندما قتل القبطى .. ثم استغفر الله فغفر له . وقد قال كثير من المفسرين إنَّ آدم عليه السلام خالف أمر

---

(١) سورة البقرة ١٤٠ .

الله ، وأطاع الشيطان فى الأكل من الشجرة قبل أن ينبأ ، ثم استغفر الله فغفر له وتاب عليه .

وهناك آية أخرى فى سورة النساء تؤكد ما جاء فى سورة البقرة وسورة آل عمران من أن الأسباط كانوا أنبياء ـ وهى قوله عزّ وجلّ ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا**﴾ .

أما المعارضون للقول بنبوة أخوة يوسف فحجتهم أن الأنبياء معصومون من الأخطاء مطلقاً .

* * *

وسواء أكان (الأسباط) أخوة يوسف أنبياء أم لم يكونوا ـ فالمؤكد الثابت الذى يجب على المسلم علمه وفهمه والتسليم به : أن أخوة يوسف لا علاقة لهم (باليهودية) وإن كانوا من حيث الأصل أجداداً لبنى إسرائيل .. بل إن الجد الحقيقى لليهود والعرب معاً هو إبراهيم عليه السلام ، فهو والد إسماعيل جد العرب ، ووالد يعقوب جد اليهود ، ولذلك سمى (إسرائيل) وسمى نسله (بنى إسرائيل) .

وقد برأ القرآن إبراهيم واسماعيل ويعقوب والأسباط من ما ادعته اليهود انهم كانوا على ملتهم اليهودية ، ووصفهم القرآن بأنهم كانوا حنفاء مسلمين ، وغير مشركين بالله شيئاً .

بل أكثر من ذلك أثبت القرآن ـ فى سورة البقرة ـ أن يعقوب عليه السلام جمع أبناءه عندما حضره الموت .. يريد أن يتأكد من أنه سوف يتركهم على ملة جدهم إبراهيم عليه السلام : ﴿**أم كنتم**

شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد آلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق ، آلهاً واحداً ، ونحن له مسلمون﴾[1]

● فكيف يقال إن (الأسباط) أبناء يعقوب كانوا أشراراً ـ كما جاء ذلك فى مقالة الأخ محسن رضوان ـ أو يقال : أن قصة أخوة يوسف هى سبيل فهم النفسية اليهودية ، والمكونات المحركة لهم الممتدة فى التأريخ ، ولم تنقطع حتى اليوم ـ كما جاء فى مقولة الدكتور طعيمة ؟!

أعتقد أن فى القول بذلك مؤاخذة دينية عقائدية لكل من الدكتور طعيمة والأخ رضوان ـ بعد أن رأينا القرآن صريحاً فى أمرنا بالإيمان بما أنزل إلى إبراهيم وأبنائه وأحفاده (الأسباط) أبنا يعقوب ، ورأيناه صريحاً فى اخبارنا بأن الله عزّ وجلّ أوحى إليهم كما أوحى إلى النبيين الآخرين ـ ورأيناه صريحاً أيضاً فى إجابتهم لأبيهم يعقوب : **﴿نعبد آلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق .. إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾** !

وكذلك رأينا القرآن صريحاً فى تكذيبه لمزاعم اليهود والنصارى بأن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً ، وتكذيبه مرة أخرى هذه المزاعم بعد أن شملت أبناءه وأحفاده (الأسباط) أبناء يعقوب أخوة يوسف ـ ذلك لأن (اليهودية) والنصرانية لم تعرفا إلّا بعد هؤلاء ، ولم يطلق عليهما هذان الأسمان إلّا بعد بعثة موسى إلى اليهود وبعثة

---

(١) سورة البقرة ١٣٣ .

عيسى إلى النصارى .. وقد تحددت أخلاق كل من الطائفتين وعرفتا بالأنحراف والتحريف للتوراة والانجيل بعد ذلك .

ويؤكد هذه الحقيقة التأريخية أن القرآن بعد أن نفى اليهودية والنصرانية عن إبراهيم وأبنائه وأحفاده (الأسباط) أخوة يوسف ـ اتبع هذه الآية بآية أخرى هى قول الله عزّ وجلّ : ﴿**تلك أمة قد خلت .. لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون**﴾ أى أن إبراهيم وبنيه وحفدته الأسباط أخوة يوسف قد مضوا إلى ربهم بسلامة قلوبهم ، واخلاصهم فى [illegible] . وانقطعت النسبة والصلة بينهم وبين من جاء بعدهم من يهود أو نصارى ، فتنكب طريقهم ، ولم يتبع منهجهم ، ولم يعتقد ملتهم ، وهى الحنيفية المسلمة .

أما ما جاء فى قصة يوسف .. وموقف اخوته منه ، ومن أبيه يعقوب عليه السلام ، فهو أمر عادى يقع بين الأخوة غير الأشقاء حين يميز الأب بعض الأبناء على بعض فتنشأ الغيرة فى قلوب هؤلاء الذين يرون أنفسهم أنهم مظلومون من قبل أبيهم ..

وقد عفا عنهم أخوهم يوسف : ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**﴾ كما عفا عنهم أبوهم يعقوب : ﴿**سوف استغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم**﴾ وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر ، لأنه وقت الاجابة .

وما جاء فى القصة من قولهم لأبيهم : ﴿**إنك لفى ضلالك القديم**﴾ لا يعنون بالضلال عكس الهدى ، وإنما يعنون به الخطأ .. أى الخطأ فى تمييزك يوسف وبنيامين علينا لأنك مازلت تبحث عنهما

ولم تستغن بنا وتكتف .

ذلك انهم يعلمون علم اليقين أن أباهم يعقوب نبى ابن نبى ابن نبى ، ولا يتصور وصفهم له بأنه على غير هدى .

خطاب القرآن لأهل الكتاب
خطاب للمسلمين أيضاً

عندما نجد القرآن الكريم يوجّه فى طائفة من آياته الخطاب أو النداء إلى غير الأمة الإسلامية كقوله : ﴿**يا أهل الكتاب**﴾ أو كقوله : ﴿**يا بنى إسرائيل**﴾ فهو لا يخص بتوجيهه أو موعظته أو قصده القوم المنادين وحدهم . ولكنه يذكر واقع النعمة أو واقع النقمة ، ويشرح حقيقة الأمر ، أو حقيقة النهى بالنسبة للمخاطبين ، وهو فى الوقت نفسه يعمَّ الأمم جميعاً بلفت نظرها إلى ما يستنبط من قصص وتجارب المخاطبين من عظة واعتبار .

فالقرآن الكريم عندما ينادى بنى إسرائيل بقوله : ﴿**أذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوفِ بعهدكم**﴾ إنما ينبِّه الأمة الاسلامية التى اختصها الله بشرف إنزاله هذا الكتاب عليها ــ إلى تجارب بنى إسرائيل الماضية ، وإلى ما مرّ بهم من أحداث وعبر ، وإلى عاقبة نقضهم لعهد الله ، وكفرانهم بنعمته .. هذه العاقبة التى هى من جنس أعمالهم ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وتخلت العناية الإلّهية عن عهدهم بنصرهم وتأييدهم وإسعادهم .

ومن عجب أن يتجرأ بعض (العلماء) وأحْرِ بنا أن نسميهم (جهلاء) فيزعمون أن ما خوطب به أهل الكتاب من اليهود

والنصارى وما خوطب به غيرهم من وثنيين وجاهليين فى القرآن الكريم من تجارب ومواعظ .. لسنا نحن الأمة المحمدية مسؤولين عن الاتعاظ به ، والاعتبار منه .

وهذا (الإلحاد) فى آياتٍ من القرآن الكريم لا يعنى أن هؤلاء العلماء بل (الجهلاء) الذين اجترحوه ضلالاً منهم على علم .. قد صرفوا مقاصد كلام الله عن وجهتها الصحيحة ، فأضلوا الأمة الاسلامية ، وغرَّروا بها ، وأملوا لها فى اللهو والهوان لا يعنى ذلك فقط ، بل يضيف إليه أنهم جعلوا كلام الله ـ وحاشاه ـ لغواً وعبثاً ليست فيه للمسلمين الذين نزل عليهم عبرةٌ ولا موعظة ولا ذكرى من تجارب الغابرين ، وعواقب المخالفين .

أى جرم يرتكب فى حق الأمة الاسلامية وفى حق كتابها العزيز أكبر من جرم إضلالها ، والإملاء لها فى اللهو والسهو ! ومن جرم تعطيل الحكمة التى نزل من أجلها القرآن الكريم على نبيها ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليبين لها قصصه ومواعظه وأحكامه ؟

يقول الله سبحانه وتعالى :

● **﴿كذلك أرسلناك فى أمةٍ قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك﴾** [1]

● **﴿إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾** [2]

● **﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزَّين لهم الشيطان أعمالهم ،**

---

(١) سورة الرعد ٣ .

(٢) سورة النمل ٧٦ .

فهو وليهم اليوم ، ولهم عذاب أليم . وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبيِّن لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون﴾[1]

- **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين﴾[2]**

فهذه الآيات القرآنية الكريمة المحكمة تؤكد تأكيداً لا مجال بعده لمرتاب فى نفسه ، ولا لمريب لغيره : أن القرآن الكريم إنما نزل بأخبار الأمم الغوابر ، وقصص الأنبياء والرسل السابقين ، لنتعظ بعواقب اختلافهم على الأنبياء ومخالفتهم لوحى السماء ، وهو بذلك تبيانٌ لكل شىءٍ .. من حق وباطل ، وخيرٍ وشرٍ ، وإثمٍ وبر ، ومعصية وطاعة ، ولن يكون كتابٌ هذا شأنه وهذه رسالته ، ولن يكون كتابٌ هذا شأنه وهذه رسالته ، هدىً ورحمةً وبشرى هدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين ـ كما وصفه منزله سبحانه ـ إلّا إذا كان مفروضاً له أن يُتَّبع ويطاع . ويتخذ موعظة وذكرى .

إن المفروض فى القرآن الكريم ، وهو مرجع الدين الاسلامى الأول والأصيل : أن يؤخذ جملةً واحدة ، فيؤمن به كله ، ويتّبع كله ، ويكفى للأخذ بهذه النظرية الصحيحة : أن الله سبحانه وعظنا فى القرآن نفسه بمخالفة بنى إسرائيل لهذه النظرية بما اتخذوه من سبيل مذبذبة بين الإيمان ببعض التوراة ، والكفر ببعضها الآخر ، وإقامتهم للحدود على الجناة الضعفاء والفقراء ، واعفاء السادة والكبراء منها إذا وجبت عليهم .

---

(١) سورة النحل ٦٣ و ٦٤ .

(٢) سورة النحل ٨٩ .

مسؤولية العهد بين الخالق والمخلوق :

ولنعد إلى الآية القرآنية التى نريد أن نتعظ بها وهى قوله سبحانه : ﴿**يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم**﴾ ولنتدبَّر الشطر الأخير منها ، فهو المقصود بحديثنا ، وله أشباه ونظائر فى مواضع أخرى من القرآن الكريم .. كقوله تعالى : ﴿**فاذكرونى أذكركم**﴾ وقوله عزّ وجلّ : ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ، ويثبت أقدامكم**﴾ فهذا المعنى الكريم الذى تتحد هذه الآيات القرآنية فى تقريره فى صور مختلفة ..

قد تغافل عن فهمه وإدراكه كثير من المسلمين ظانين أن الأمر لا يعنيهم ، وأن الآيات تتحدث عن غيرهم ، وأن السعيد من لم يتعظ بغيره خلافاً لمنطق المثل الصحيح : (السعيد من اتعظ بغيره) .

وكيف يستقر فى ذهن عاقل أن من حق أحد المتعاقدين على أمر أن يطالب بنصيبه من المعاهدة دون أن يكون لحليفه نفس هذا الحق ؟ ولله وصفاته المثل الأعلى ـ والله الخالق الرازق أحق أن يُوفَى بعهده .. ويُحْفَظَ ميثاقه الذى واثق به عباده . ولئن عجز أحد الحليفين من البشر عن أخذ نصيبه المغتصب من المعاهدة ، فالله أقدر ، أو نسى حقه المهمل فالله أذكر ، أو خودع وغدر به ، فالله علام وذو انتقام .

* * *

إن الله حين يقول ﴿وأوفوا **بعهدى أوف بعهدكم**﴾ ويقول ﴿**أذكرونى أذكركم**﴾ يتلطف سبحانه ويتعطف بعباده فيطالبهم بمثل ما يوجبه ـ منًّا منه وكَرَما ، على نفسه ، ويزيدهم تعطفاً وتلطفاً

فيسألهم ـ وهو الغنى عنهم ـ أن يقرضوه قرضاً حسناً . ويعدهم بالوفاء الجميل . والجزاء الجزيل ..

فهل ذكر المسلمون ربهم ، ذكروا وعده ووعيده ؟ وهل أوفوا بعهده فعرفوا محابّه ومساخطه ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ؟ وأقاموا الحدود ؟ ونصبوا المعالم ؟ واجتنبوا المحرمات ؟ وحكموا بما أنزل عليهم من كتاب وحكمة ؟ .

إنهم إن فعلوا ذلك ذكرهم الله بنصره وتأييده ، وأوفى بعهده معهم فجعل لهم نوراً فى أبصارهم ، وقوةً وعزماً فى قلوبهم وجوارحهم ، وعزة فى رؤوسهم ونفوسهم .. وظاهرهم على عدوهم ، وجعلهم خلفاء الأرض يملأونها سلاماً وعدلاً ، وإن لم يذكروا الله ، ولم يفوا بعهده ، فلن يذكرهم ولن يفى بعهدهم .

وحسبنا تأكيداً لواجب الوفاء (بالعهد بين الخالق والخلق) قول الله تبارك وتعالى موجِّهاً للأمة الاسلامية نفسها : ﴿**يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**﴾(١)

ونتابع تأملاتنا للآية نفسها .. لأن أحداثها وقضاياها تهم المسلمين أيضاً ..

إن نعم الله على بنى إسرائيل كانت كثيرة وفيرة ، فقد فجر لهم الماء العذب من الحجر الأصم ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى ، ونجّاهم من استعباد فرعون واستذلاله إياهم . وجعل فيهم أنبياء وجعلهم ملوكاً وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين فى زمانهم .

---

(١) سورة الأنفال ٢٧ .

وهو هنا عندما يناديهم باسم أبيهم (يعقوب) إبن إبراهيم عليهما السلام فيقول : ﴿**يا بنى إسرائيل**﴾ إنما يريد إثارتهم بتذكيرهم بأبيهم النبى الكريم .. ليكونوا كراماً مثله وصالحين على طريقته . كما يدعو أحدنا شاباً فيقول له : يا ابن فلان العالم ، أو يا ابن فلان الكريم ، أو يا ابن فلان الشجاع .. فهو يستحثه ليكون مثل أبيه عالماً أو كريماً أو شجاعاً[1]

والعهد المتبادل بين الله عزّ وجلّ وبنى إسرائيل توضحه آية أخرى من سورة المائدة : ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل ، وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً ، وقال الله إنى معكم .. لئن أقمتم الصلاة .. وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم ، وأقرضتم الله قرضاً حسناً ـ لأكفرن عنكم سيئاتكم ، ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار**﴾[2] .

وقد نقضوا العهد .. فلم يؤمنوا بعيسى عليه السلام لما بعثه الله إليهم مصدقاً لموسى عليه السلام ، ومعه الانجيل مصدِّقاً للتوراة ، بل كفروا به وكذبوه ، وافتروا عليه وعلى أمه مريم الصديقة الأباطيل ، ثم حاولوا أن يقتلوه ، فرفعه الله إليه ..

ووقفوا الموقف نفسه مع نبيِّنا محمد ﷺ تكذيباً لرسالته ، وتآمراً بقتله ، وإثارةً للفتن ، وتأييداً للمشركين فى مكة والمنافقين فى المدينة .

مع انهم والنصارى يجدونه ـ أى محمداً عليه الصلاة والسلام ـ

---

(١) عن ابن كثير بتصرف جـ ١ ص ٨٢ .

(٢) سورة المائدة ١٢ .

مبشراً به فى التوراة والانجيل ، وقد أخذ الله عليهم الميثاق بأن ينصروه ويعزِّروه ـ يقول تبارك وتعالى فى سورة الأعراف : ﴿**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل .. يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحلُّ لهم الطيبات ، ويحرِّم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزل معه أُولئك هم المفلحون**﴾[1] .

ولذلك بعد أن يذكِّرهم بنعمه الكثيرة التى لم يشكروها ، وبعهودهم التى لم يحفظوها ـ يدعوهم فى الآية التالية إلى الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن الكريم ، والا يكونوا أول من يكفر به فى الوقت الذى يجب عليهم أن يكونوا أول المؤمنين برسالته ، لأنهم ليسوا كغيرهم من المشركين الذين لم تنزل عليهم توراة ولا انجيل ، ولم يرسل إليهم موسى أو عيسى ، ولذلك فهم يجهلون حقيقته . أما اليهود والنصارى فهم على علم وبينة من أمر محمد ورسالته . وقد أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا به إذا أدركوا زمانه ، واستمعوا قرآنه : ﴿**وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به ، ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ، وإياى فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾ .

ومع هذا التذكير بالعهد ، والدعوة إلى الإيمان بالرسول المصدِّق لموسى وتوراته ولعيسى وانجيله ، والتحذير من الكفر به ،

---

(١) سورة الأعراف ١٥٧ .

ومن لبس الحق بالباطل ، وكتم ما يعلمونه من حقيقة نبوة محمد ﷺ ـ فإنهم كفروا بنبوة محمد ﷺ ، وبالقرآن المصدِّق لتوراتهم ، ولم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة ..

* * *

وأخيراً يأتى التقريع الإلّهى لأحبارهم وعلمائهم ـ وهو عام لكل من يأمر ولا يأتمر ، وينهى ولا ينتهى ـ فى قول الله عزّ وجلّ : **﴿اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب ؟ أفلا تعقلون ؟﴾** .

ولئن وجه القرآن الكريم هذا التوبيخ لليهود لأنهم يأمرون بالمعروف ولا يأتمرون به ـ فقد وجَّه أيضاً مثله للمسلمين المخالفين فى قوله عزّ وجلّ **﴿يآ أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**[1] .

والقرآن عندما يقف هذا الموقف الحازم فى تربية المسلمين على الاستقامة قولاً وخُلقاً .. إنما يريدهم ألّا يقتدوا باليهود ، ولا يسلكوا سلوكهم الخبيث ، بل يدعوهم إلى أن يكونوا عمليين فى إيمانهم وإسلامهم : **﴿يآ أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكونوا مع الصادقين﴾** فمع الصدق فى القول لا بد من الصدق فى العمل .. إذ لا قيمة لتقوى بالنية واللسان ما لم يصدِّقها السلوك النفسى والتعامل الجماعى .

يقول الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ إن الاجماع من الصحابة

---

(١) سورة الصف ٢ ، ٣ .

والتابعين ومن بعدهم ، ومن أدركناهم يقولون : إن الإيمان قول وعمل ونية ، ولا يجزى واحد من الثلاثة إلّا بالآخر» .

المسألة الجنسية ...
وامرأة نوح ـ وامرأة لوط وبناته

المسألة الجنسية فى كتاب (هذا أو الطوفان) للأستاذ خالد محمد خالد ـ أجهد المؤلف نفسه وأنهك فكره ، وأطال لسانه ، وأضنى قلمه .. فى سبيل بحثها وتحقيقها ، وفى سبيل الدعوة الحارة إلى الاختلاط المطلق بين الفتيان والفتيات ، وتبادل عواطف الحب والغرام ، وإنشاء العلاقات والصداقات بين الجنسين فى حرية تامة بعيداً .. وبعيداً جداً عن الزواجر : «عيب» و «حرام» الخ .[1]

«فالتربية الحديثة ـ بزعمه ـ «تقوم على استبعاد التحريم ، ورفع نيره عن النفس الإنسانية ما وجد إلى ذلك سبيلاً» ص ٨٢ .

«والصمت الذى يلتزمه البيت والمعهد والمجتمع إزاء المسألة الجنسية يزيد الهوة بيننا وبين الفضيلة اتساعاً ، وقد أدرك ذلك كثير من الأمم الناهضة فشرعت تلقِّن أبناءها الصغار والكبار ما لا بدَّ أن يعرفوه من ذلك الخ ص ١٢١ .

ونرد على المؤلف «الفاضل» :

● أولاً : برأى الأستاذ فريد أبو حديد مستشار وزارة التربية

---

(١) للمؤلف كتاب آخر عنوانه (من هنا نبدأ) صادر فى الفترة أى سنة ١٩٥٢م ، وهو يدعو فيه إلى مزيد من التحرر والانعتاق عن القيم والمثل الإسلامية .

والتعليم فى مصر . فى هذه المسألة «بأن يترك للشبان والشابات معرفة الحقائق الجنسية لظروفها التى ستفاجؤهم فى أوانها» .

● وثانياً : نسأل المؤلف : ماذا أفادت الأمم الناهضة التى لقَّنت صغارها وكبارها المسألة الجنسية ؟ غير هذه «الإباحية» التى لم يعد معها لاعراض الفتيات والزوجات حرمة ترعى ، ولم يعد للبيوت والأسر شرف يراق فى سبيله الدم ؟ .

أو لم يسمع المؤلف أنباء الحملة الأخلاقية التى تزعمها الأساقفة الكاثوليك فى اسبانيا ، ونادوا فيها بالامتناع عن مشاهدة الأفلام والروايات المخلة بالآداب العامة ، وعدم ارتداء المايوهات والملابس الرياضية العادية ، وعدم ارتياد الحمامات التى تجمع بين الذكور والإناث ــ والابتعاد عن المراقص التى لا تراعى الأخلاق العامة ــ ومقاطعة الكتب التى تتحدث بما يخالف التعاليم الدينية ؟ .

ثم ألم يسمع بابا روما ، وهو يوجِّه نداءه بأن خروج السيدات فى الملابس الحديثة .. إلى الشواطىء والأماكن العامة ودور العبادة ، أصبح مأساة يندى لها الجبين ، ويتوقع منها الخطر الجسيم على أخلاق الشباب ؟ .

كذلك الم يقرأ أنباء مناداة الأمهات الأمريكيات بفصل البنات عن البنين فى المدارس والجامعات ــ حمايةً لهن من الاختلاط بالذكور وما يتأدى عنه من اقتحام للحمى وانجاب لأولاد الزنا ؟ !

● وثالثاً : نتحداه أن يذكر أمة واحدة ــ فى التأريخ القديم أو الحديث ــ قام بين رجالها ونسائها تجاوب نظيف طاهر بعيد عن رابطة الزواج الشرعى ــ كما يريد أن يقوم بيننا هذا الحب العذرى

الجماعى المزعوم ؟ .

* * *

ويزداد المؤلف اعتزازاً بالمدنية الغربية ، وانخداعاً بقشورها العلمية فيزعم «أن المجتمع الانفصالى ـ الذى لا يختلط فيه النساء بالرجال ـ يشيع فيه الشذوذ الجنسى بنسبة ٨٥٪ بين الرجال و ٦٥٪ بين الأناث» ص ١٢٤ .

وهو كلام من الوجهة الواقعية كذب وافتراء ، وهذا المجتمع الانفصالى الذى يذكره المؤلف خير من مجتمعه الذى نقرأ فى صحفه كل صباح عن الفضائح الجنسية ، والخيانات الزوجية ، ما تفزع له الأفئدة ، وتندى له الجباه !

أما من الناحية العلمية التجريبية فإن إباحة الاتصال بين الفتيان والفتيات لا يمنع الشذوذو الجنسى أو يحول دون وجوده ... فالشذوذ الجنسى موجود فى بعض الدول الأوربية المتقدمة الناهضة ـ بزعم المؤلف ـ الظافرة بأقساط وافرة من الثقافة والسياسة ، وهو شائع أيضاً فى المجتمع الأمريكى المتقدم علمياً وصناعياً وزراعياً .. حتى سلط الله عليهم وباء «الايدز» وأعجزهم عن معالجته والشفاء منه ! مع أن المرأة هناك .. فى أوروبا وأمريكا .. خالعة لباس العفة والحياء ، حتى أن الرجال والنساء يلتقون اللقاء الجنسى الطبيعى فى حدائقها العامة ، ولا رقيب عليهم ولا حسيب من رجال الشرطة أو رجال القانون .

وتفسير هذه الظاهرة فى أوروبا وأمريكا أن الرجال من كثرة عرض النساء لمفاتنهن ومحاسنهن انصرفوا إلى شىء جديد ، أو شىء

ممنوع .. وهو التقاء الرجال بالرجال .

وقد عالج «هتلر» هذه العلة الاجتماعية عندما تولى زعامة المانيا ، بسياسة الفتك بمرضى الشذوذ الجنسى فى غير رحمةٍ ولا لين ..

ولقد كان «سلامة موسى» يحزنه أن يموت دون أن يرث أدبه الاباحى وارث .. فليطمئن الآن بوجود الوارث الذى يروقه ويفوقه ـ ونقول : يفوقه لأن سلامة موسى مسيحىٌّ الديانة وهو يبث دعايته الإباحية باسم الحرية الفكرية والتقدم العصرى ، أما خالد محمد خالد ، فهو مسلم الديانة و «من علماء الأزهر وهو ينشر أدبه ، وأفكاره بإسم التوفيق بين العلم والدين ، ويخبط فى فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتأويلها خبط عشواء لا عقل فيه ولا ذكاء ويهتف بأعلى صوته : خذوا عنى العلم والأدب والحضارة ، وخذوا هذا ، أو الطوفان فى انتظاركم[1]

لوط قدم بناته للنكاح لا للسفاح ..

وفى ص ١٠٠ و ص ١٠١ يقول خالد محمد خالد «كان على رأس فضائل الناس أن تقدم لأضيافك زوجتك أو بنتك ، ولعل هذا يفسر قول نبى الله لوط عليه السلام لقومه حين هاجموا داره ليفتكوا بضيوفه فتكاً جنسياً ـ «هؤلاء بناتى هن أطهر لكم» فأين

---

(١) من تناقضات خالد محمد خالد إنه يكتب فى المجلات النسائية والجرائد السياسية متحرراً من المبادئ والقيم الإسلامية ، وفى الوقت نفسه يكتب مقالات فى جريدة « المسلمون » فى تفسير بعض آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ بأسلوب يتباكى فيه على حال المسلمين الذين ينحرفون عن صراط الإسلام !

هذه الفضيلة اليوم ؟»

ونحن لا ننكر أنه كانت هناك فى فترة من تأريخ الإنسان الموغل فى القدم ، أو من تاريخ طفولة الإنسان ـ تقاليد اجتماعية منها أن يقدِّم المرء بنته أو زوجته لضيفه !! ولكننا لا نسميها «فضيلة» كما سمَّاها خالد محمد خالد .. إلّا إذا جاز لنا أن نسمى «فضيلة» نفس هذا «التقليد» الاباحى الذى نراه اليوم فى صورة مزيفة مزوقة بزخرف الحضارة الحديثة المفتراه ، عندما يقدم المرء الديوث زوجته وابنته أو أخته لرجلٍ ما أو رجال ، طمعاً فى منصب رفيع أو جاه عريض أو جرياً وراء تبادل الصيد .. زوجة بزوجة أو أختاً بأخت .. كما هو واقع اليوم فى البلدان الغربية التى يموت المؤلف غراماً بحضارتها ومدنيتها وعلومها وأخلاقها ، وفى بعض البلدان الشرقية التى سرت إليها العدوى . ولحقها التيار ! .

وهكذا نرى ـ ويرى المؤلف معنا إن لم يكابر ـ أن «الإنسانية» تعود لطفولتها أو همجيتها الأولى ، وليس هنالك من فارق أو اختلاف إلّا فى إطار الصورة وغلاف الكتاب أما الصورة وأما الكتاب فهما كما كانا من قبل ! .

ومع ذلك فلن نسمِّى فعلة الديوث «فضيلة» كما سمَّاها المؤلف ، سواء أرجعنا بتاريخنا إلى جاهلية الإنسانية وهمجيتها الأولى ، أم عدنا بتأريخنا إلى القرن العشرين الذى نعيش فيه .

ومن ثم يتبين كم يجنى خالد محمد خالد على نبى الله لوط عليه السلام ، حين يفترى عليه أنه قدم بناته كما يفعل الديوث بلا اختلاف !

وهو فى الوقت نفسه يخطىء فهم آيات القرآن التى قصت علينا خبر لوط وقومه وضيوفه من الملائكة الأطهار والفارق بين الفعلتين بعيد .. فلفعلة الديوث أسبابها وأغراضها التى أوضحناها ، ولفعلة لوط عليه السلام ، أسبابها وأغراضها التى نوضحها فيما يلى :

لقد ابتلى لوط بقوم يأتون الذكران من العالمين ، وهى فاحشة ما سبقهم بها أحد من الأمم الغوابر كما أخبر القرآن ، ولقى لوط من عنتهم ما لقى ، وضاق بهم ذرعاً ، وحين أخفق فى هدايتهم إلى السبيل القويم بعث الله إليه وفداً من الملائكة لمحادثته فى شأنهم ، وتدبير الانتقام منهم ، واشعاره بكيفية نجاته وأهله ـ إلّا إمرأته ـ مما سينزل بهم من عذاب غليظ ..

ولكن قوم لوط ـ وهم فى سكرة حيوانيتهم يعمهون ـ اقتحموا عليه داره ، يريدون نيل ضيفه من الملائكة الكرام ـ الذين جاءوا فى صورة فتيان صباح ـ وهى جرأة بالغة مدى القحة إلى أقصاه ، فهم لم يكتفوا بأن عصوه وخالفوه ، ولم يؤمنوا برسالته ، ولم يسمعوا نصحه بترك الفاحشة ـ فزادوا بالجرأة عليه . والهجوم على ضيفه لفعل ما نهاهم عن فعله ! !

وزجرهم لوط .. قال : ﴿**هؤلاء بناتى هن أطهر لكم**﴾[1] ولا ريب فى أنه عليه السلام وهو المصطفى لرسالة الله ـ أراد منهم أن يتزوجوا بناته ، ليصرفهم عن ضيفه ، وليحوِّلهم من الطريق القذر إلى الطريق الطاهر النظيف .

---

(١) سورة هود ٧٨ .

أو أراد بذلك «بنات أمته» على المجاز كما ورد عن أزواج نبينا عليه الصلاة زالسلام : ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾[1] وغرضه فى كلتا الحالتين النكاح ، لا السفاح .. كما يزعم المؤلف استقاء من التوراة المحرفة ، إذ لا يعقل أن يحدث هذا من أى رجل صالح فضلاً عن نبى اصطفاه الله لهداية قومه ، كما لا يصح أن يعبر عنه بأنه أطهر لهم ، فغسل الدم بالبول ليس من الطهارة فى شىء ، بل الذنب فى هذه الحال أكبر ، لأنه أمر بالمنكر ، وخروج عن الحكم الشرعى[2] .

المرأة المسلمة جوهر مصون :

وفى ص ١١٩ يزعم المؤلف أن «المرأة فى الشرق لا تزال سلعة تشترى بالمال فى صورة نكاح شرعى ، أو فى صورة سفاح محظور» !

والمرأة فى كل زمان وكل مكان ـ فى الغرب والشرق معاً ـ إما أن تلتئم إلى نصفها الآخر فى صورة نكاح شرعى يصون عرضهما من التهتك والابتذال ، أو فى صورة سفاح محظور مؤقت تسقط به كرامتهما وشرفهما ، وليس وراء ذلك مقام ثالث بين هذين المقامين ـ فماذا يعنى المؤلف إذن ؟ .

إن الاسلام كرَّم المرأة بما لم يكرمها دين .. وهى بين المسلمين جوهر مصون ، وبيض مكنون ، لا تعرف شيئاً اسمه «صديق

---

(١) سورة الأحزاب ٦ .

(٢) يراجع تفسير المنار ـ وعصمة الأنبياء للرازى .

الأسرة» .. كما تعرفه المرأة فى أوروبا وأمريكا ، ولولا أن أطيل ، فى غير احتياج شديد ، لفصّلت تكريم التشريع الاسلامى لشخصية المرأة وحقوقها ومهمتها فى الحياة ..[1] .

نصح الرسول غير ملزم !

وفى ص ١٣٥ أورد المؤلف الحديث النبوى (.. من لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم فإنه له وجاء) وقال إنه نصح غير ملزم مثل نصحه عليه الصلاة والسلام لأصحاب النخيل حين مرَّ بهم وهم يؤبِّرونه ، فقال : «لو تركتموه بغير تأبير لصار أكثر وأوفر ، فلما تركوه لم يحمل ولم يثمر ، فقال عليه الصلاة والسلام حين أخبروه بذلك «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» .

هذا ما يتصوره المؤلف فى المقارنة بين الحديثين النبويين فيساوى بين مفهومهما فى النصح والتوجيه ، ولسنا ندرى كيف يقرأ المؤلف الأحاديث النبوية ؟ وكيف يفهمها ؟ .

لقد أوضحنا فيما سبق من حلقات هذا التعقيب كيف خدع المؤلف نفسه بخداعه للقراء ، عندما حرَّف بعض آى القرآن الكريم عن مواضعها البينات . وها نحن نورد فضيحة أخرى له فى تحريفه لبعض الأحاديث النبوية عن مواضعها ومقاصدها .

فنصح النبى لمن لم يجد نكاحاً شرعياً بالصوم مقتبس من نصيحة القرآن الكريم فى آية : ﴿**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله**﴾[2] وفى آية : ﴿**وإن تصبروا خير لكم**﴾[3]

---

(١) يراجع كتابنا : «مكانك تحمدى» وكتابنا : «نساء وقضايا» .

(٢) سورة النور ٣٣ . (٣) سورة النساء ٢٥ .

بعد كلام طويل عن من لم يستطع طولاً أن ينكح الحرائر أو الإماء ..

وفى التوجيه النبوى : (**الصوم نصف الصبر**)[1] واذن فالنصح لمن لم يجد نكاحاً شرعياً بالصيام معناه نصح بالصبر من الوجهة الروحية والخلقية ، وهو يتضمن فى الوقت نفسه عملاً من شأنه إضعاف الشهوة الجسدية .

وعلى ذلك هو نصح دينى ، وليس دنيوياً كتأبير النخيل كما يزعم المؤلف لأن تأبير النخيل مسألة زراعية ، والنبى لم يبعث خبيراً زراعياً ، فهو قد قال فى ذلك برأى شخصى لا بوحى إلهى ، وهو يعتمد على تجارب الزراع ، ولذلك عندما شاء الله أن لا يثمر النخيل بدون تأبير قال : أنتم أعلم بأمور دنياكم[2]

ولا يصح ذلك فى مسألة حماية الأعراض بالنكاح الشرعى ، ولا يمكن أن يقال لمن لم يستطع أن يتزوج امرأة بالحلال : أنت أعلم بأمور دنياك ، فاذهب واخطف من تشاء من النساء ، واستحلل حماها بغير كلمة الله ، وعاشرها بدون أمانة الله !

لأن ذلك معناه الإباحية المطلقة ، والإنسان بطبعه خلق من عجل ، وطبع على طلب حاجاته من أيسر طريق ، ولذلك شرعت الأديان ، وبعث الرسل لاقامة مكارم الأخلاق ، ورعاية

---

(١) رواه ابن ماجة .. وهو جزء من حديث (لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصوم نصف الصبر) .

(٢) لنا رد على القائلين بأن الرسول ﷺ قد أخطأ وأن الخطأ يجوز عليه فى أمور الدنيا دون أمور الدين ، ويستدلون بهذا الحديث ، سيظهر فى بعض مؤلفاتنا القادمة بإذن الله وعونه .

الحرمات ، وتثبيت الحقوق والواجبات ، ولو ترك الإنسان لنفسه وألقى حبله على غاربه ، ولم يقم سلطان الله فى الأرض ممثلاً فى الحكومات الدينية والمدنية ـ على سواء ـ لما سمَّيناه إنساناً ، ولما وجدنا فى الأرض إلّا خوفاً وظلماً وعدد . .

فأين ـ يا سيد خالد ـ حماية العرض ، وحفظ النسب من تأبير النخيل ! .

خيانة زوجتى نوح ولوط ليست جنسية :

وفى نفس الصفحة ١٣٥ ، وخلال حديثه ودعوته إلى تخلية سبيل النساء والرجال يختلطون كيف شاءوا فهم أعلم بأمور دنياهم ـ بزعمه ! قال : «لو كان الفرار إلى الناسكين نافعاً ، لكان أولى بهذا الانتفاع امرأة نوح وامرأة لوط !»

وهذا إيهام خبيث من المؤلف .. فهو هنا يتحدَّث عن المسألة الجنسية ، وعن ضرورة ترك حبل الفتيان والفتيات على غاربهم ، وعن عدم جدوى التدين والتقشف والتنسك فإيراده قصة امرأة نوح وامرأة لوط .. بما تضمنته الآية القرآنية ﴿كانتا **تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين**﴾[1] يوهم القراء بأن خيانة زوجتى نوح ولوط عليهما السلام كانت خيانة جنسية ، خيانة زوجية ، خيانة عرضية ! وذلك بهتان عظيم .

قال الإمام الألوسى : ولعمرى لا يكاد يقول بذلك إلّا إبن

(١) سورة التحريم ١٠ .

زنا .. وقد أخرج غير واحد عن ابن عباس : مازنت امرأة نبى قط ، وفى الكشاف : لا يجوز أن يراد بها الفجور»[1] .

وقد أجمع المفسرون على أن خيانة امرأة نوح وامرأة لوط هى الكفر برسالاتهما .. وكانت الأولى تقول للناس عن نوح إنه مجنون .. وتدل الثانية قوم لوط على ضيوفه وهى تعلم أنهم مولعون باتيان الذكران دون النسوان !

فهى إذن خيانة دينية .. وليس هنالك من ظروف المقام وملابساته ما يدعو إلى تفسيرها بالخيانة فالمقام مقام نبيين .. ورسالتين .. ودعوتين إلى الحق ، ومقام ضلال زوجتى هذين النبيين ، وكفرهما برسالاتهما واغراء الناس بهما ، والتآمر مع العدو عليهما .

بل إن ظروف وملابسات قصة قوم لوط تنفى نفياً قاطعاً أن يراد ذلك المعنى القذر الذى أورده المؤلف .. فقوم لوطٍ أناس أولعوا بإتيان الرجال دون النساء ولم يستطع لوط على ما بذل من نصح وموعظة أن يهديهم أو يصلحهم فمع من منهم تخونه زوجته ؟ .

إن الدول والحكومات القديمة والحديثة تسمى الرجل أو الرجال الذين يقفون فى وجهها معارضين ، ويدبِّرون لها الكيد لإسقاطها (خونة) .وتتهمهم «بالخيانة العظمى» وتحكم عليهم بالإعدام ..

بل إن القرآن الكريم عدّ مخالفة الناس لأمر الله وأمر رسوله : (خيانةً) فقال عزّ وجلّ فى سورة الأنفال : ﴿**يآ أيها الذين آمنوا**

(١) تفسير روح المعانى : ١٦٢ ، جـ ٢٨ .

لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم .. وأنتم تعلمون﴾[1] .

فما هو المانع اللغوى ، أو العرفى ، أو التأريخى ، أو العقلى من تسمية مخالفة امرأتى نوح ولوط لزوجيهما النبيين الصالحين ، وتآمرهما مع العدو وعليهما ـ خيانة ؟ .

التحكم فى نوع الجنين ..
والأرحام الصناعية ..
ومفاتيح الغيب ..

ـ ١ ـ

تحدث إلىّ هاتفياً أحد شبابنا من المتخرجين قريباً من كلية الشريعة بمكة المكرمة .. معقباً على حديثى حول الاكتشاف الجديد الذى أعلنه بعض الأطباء فى بريطانيا عن إمكانية انجاب ذكر أو أنثى وفقاً لرغبة الأبوين أو أحدهما .. وذلك بتناول بعض المركبات الكيماوية التى توصلوا إليها .

وقال لى الأخ المعقب : لماذا تصرّفى حديثك على بطلان زعم هؤلاء الأطباء فيما اكتشفوه ! أليس ذلك علماً قائماً على البحث والدراسة ! .

وقد تحدثت للأخ المعقب مرة أخرى عما عرضته فى حديثى السابق بإيجاز واعدت على مسمعه الآيات القرآنية الجليلة التى تجعل خلق الجنين فى بطن أمه ـ ذكر أو أنثى ـ من اختصاص الله وحده

---

(١) سورة ٢٧ .

ومشيئته وحده ، وإن الله عزّ وجلّ لم يترك اختيار ذلك للبشر لأن فى ذلك مفسدة عظمى لنظام الحياة وتوازن وجود الإناث والذكور لمصلحة استمرارها .

ووعدت الأخ المعقب أن أزيد الأمر تفصيلاً وتدليلاً فى حديث قادم وها أنا أفى بموعدتى إياه :

● أولاً : أضيف إلى ما سبق من حجج قرآنية على الخصوصية الإلهية فى خلق الاناث والذكور قول الله عزّ وجلّ ـ فى سورة النبأ ـ عن خصوصياته تبارك وتعالى التى لا يشاركه فيها أحد من خلقه أياً كان مقامه حتى الأنبياء والرسل وهم أحب الناس إليه ، وأفضلهم عنده ، وأعرفهم ببعض الغيوب الآلهية فى حدود ما يريد أن يظهرهم عليه[1] ـ يقول عزّ وجلّ :

﴿ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا ، وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعاً شدادا ، وجعلنا سراجاً وهاجاً ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً ، لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافا﴾[2]

فهذه المخلوقات العشرة .. جميعها من اختصاصات القدرة الإلهية وحدها بكل أشكالها وأحجامها ونواميسها وعطاءاتها . ومن بينها خلق الله للبشر أزواجاً أى ذكوراً وإناثاً .

كما أن الناس ـ بما فيهم العلماء والخبراء ـ لا علم عندهم

---

(١) يقول الله عزّ وجلّ ـ فى سورة الجن : **﴿عالم الغيب .. فلا يظهر على غيبه أحدًا إلاّ من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا﴾** .

(٢) سورة النبأ من ٦ ـ ١٦ .

ولا قدرة لديهم للتدخل فى خلق الأرض مهادا والجبال أوتاداً ، وجعل النوم سباتا ، والنهار معاشاً ، وبناء السموات السبع ، وخلق الشمس وتنظيم سيرها ، وانزال الماء الثجاج لاخراج النبات من الأرض ـ فكذلك لا علم عندهم ، ولا قدرة لديهم لخلق الذكر إن شاءوا وخلق الأنثى إذا أرادوا .

وهناك آيتان من سورة (الواقعة) يقول الله عزّ وجلّ فيهما : **﴿أفرأيتم ما تمنون ؟ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾** .. تؤكدان اختصاص الله عزّ وجلّ وانفراده ومشيئته فى خلق الذكر والأنثى .

وثلاث آيات فى سورة القيامة : **﴿ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾** تؤكد أيضاً هذه الخصوصية الآلهية فى خلق الذكر والأنثى ، بالإضافة إلى بيان أن ماء المرأة لا شأن له ولا دخل فى تكوين الجنين تذكيراً وتأنيثاً .. إنما ذلك من شأن نطفة الرجل وحده ـ وقد أوردنا رأى العلم فى ذلك أيضاً ـ خلال حديث سابق .

* * *

● ثانياً : قبل بضع سنين زعموا ـ فى مطابخ العلم الغربى ـ أنهم توصلوا إلى إمكانية تربية الأجنة فى أرحام صناعية .. أى يخلطون بعض نطفة رجل وبويضة امرأة يضعونها فى رحم صناعية ، وتستمر تغذيتها وتربيتها صناعياً .. ثم تكون جنيناً فمولوداً بعد ذلك .

ورددنا عليهم وعلى بعض الكتاب المسلمين الذين صدقوا بهذه الزعمة الباطلة .. وقلنا : إن هذا غير ممكن دينياً وعلمياً أيضاً . فالقرآن الكريم والحديث النبوى الصحيح يؤكدان أن خلق الجنين

.. دة وتربية فى بطن الأم من خصوصيات الخالق تبارك وتعالى ، ونكتفى هنا بآية واحدة ـ من سورة المؤمنين ـ وهى قوله عزّ وجلّ : ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ـ ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾[1]

ويقول علماء البيولوجيا و... : إن دم الحيض فى رحم الأم هو الذى يمد الجنين بالغذاء والنماء لأنه ينقطع أثناء الحمل ، وإن صحة الجنين تعتمد اعتماداً كبيراً على حالة الأم الصحية .. كما أن مجرى الدم فى الأم يتصل اتصالاً غير مباشر بمجرى دم الجنين داخل المشيمة (الخلاص) ـ وأن من وظائف الطحال المتعددة صنع خلايا الدم الحمراء والبيضاء للجنين الخ ...

وعلى ذلك فلن تنجح الرحم الصناعية فى تربية الجنين ومده بالحياة التى هى من خصوصيات الخالق القدير الخبير.

* * *

● ثالثاً : زعموا أيضاً أن العلم الحديث توصل إلى معرفة الجنين فى بطن أمه أهو ذكر أم أنثى ـ ورددنا عليهم رداً قرآنياً بأن ذلك من الغيوب الإلهية الخمسة الواردة فى آخر آية من سورة لقمان : ﴿**إن الله عنده علم الساعة ـ وينزّل الغيث ـ ويعلم ما فى الأرحام ـ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ـ وما تدرى نفس بأى أرض تموت**﴾

---

(١) سورة المؤمنون ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

● رابعاً : يزعمون الآن : أنهم يستطيعون تخزين (الشباب) فى زجاجات أو بعبارة أخرى كما يقول الدكتور الأمريكى ناكشى مايكنودا : التغلب على الشيخوخة عن طريق خلية فى الغدة الزعترية موجودة وسط الصدر ـ التى أطلق عليها إسم (تى) .

وقال هذا العالم الأمريكى إنه حقن فئات من الفئران متقدمة فى السن بخلايا (تى) فظهرت عليها علامات الشباب والفتوة . وزعم أنه من الممكن تخزين هذه الخلايا فى زجاجات والاحتفاظ بها فى درجة حرارة معينة الخ .

وهذا تخريف جديد.. لأن الشيخوخة مرحلة أخيرة لكل إنسان لابد منها ولا مفر عنها ، كما أن العمر محدد لا يتقدم ولا يتأخر ـ والقرآن صريح فى ذلك : ﴿**هو الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ـ ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة**﴾[1]

وفى آية أخرى : ﴿**ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً**﴾ ويؤكد الحديث النبوى الصحيح ذلك : «**إن الله لم ينزل داءً إلّا أنزل له دواء .. الّا داء واحداً ـ قالوا ما هو يا رسول الله ؟ قال : (الهرم)** .

وهذا الاكتشاف الجديد يذكرنا باكتشاف قديم منذ عشرين عاماً وتزيد أطلقوا عليه إسم (هـ/٣) وزعموا أنه يبدل الشيخوخة شباباً .. وكذبوا ، ولم نسمع لهم بعد ذلك ركزاً . وكل الزعمات المرسلة باسم العلم والاكتشاف العلمى السابقة واللاحقة لم نسمع

---

(١) سورة الروم ٥٤ .

لدعاتها بعد ذلك صوتاً ، كما لم نر لها أثراً وواقعاً فى دنيا الناس وحياة البشر ، إنما كانت تخريفاً وتهريفاً .

- ٢ -

أشرنا فى ختام حديثنا السابق إلى أن هذه (المؤامرات) المدبرة ضد عقائد الناس وعقولهم .. عن طريق شراء ضمائر العلماء هى من مقاصد (الصهيونية) العالمية ومخططاتها وضربنا المثل على سوابق لها تحققت ـ أى هذه المكائد الصهيونية ـ على أيدى داروين ، وفرويد ، ونيتشه ، وجويلز ، وماركس .. إذ أفسدوا بنظرياتهم المنسوبة إلى (العلم) كذباً وافتراء : عقائد الناس ، وبلبلوا عقولهم ، ورجُّوا ضمائرهم .

ونريد هنا أن نورد الدليل على ذلك من بروتوكولات حكماء صهيون ـ بل سفهائها المتآمرين على البشرية كلها .

هذه البروتوكولات .. لم تترجم إلى اللغة العربية إلّا فى منتصف القرن الحالى ـ القرن العشرين ـ وقد قام بترجمتها الأستاذ محمد خليفة التونسى فسد بها حاجة المسلمين إلى معرفة مكائد اليهود التى يدبرونها للعالم كله[1] .

وتتضمن هذه الوثائق الصهيونية خططاً سرية تهدف للاستيلاء على العالم بأسره .. عن طريق اسقاط الحكومات متبعين فى ذلك أسلوب إغراء الحكام بظلم الشعوب واضطهادها .. وفى الوقت نفسه يحرضون هذه الشعوب على التمرد والثورة على حكامهم ،

---

(١) مجلة اليمامة ، ربيع الأول ١٣٩٨هـ .

وبذلك يبذرون بذور النزاع والصراع بين الحكام والشعوب .

ـ وفى جانب آخر من هذه الوثائق المخربة : يوصون ببث روح الخلاف بين الدول عن طريق محافل الماسونية وجمعياتها السرية .

ـ كما يعملون بنشاط مستمر للسيطرة بأموالهم على المؤسسات التعليمية والاعلامية كالمدارس والجامعات والصحافة والإذاعة والتلفاز ـ لغرض التوجيه نحو أهدافهم المخربة للعقائد والضمائر المبلبلة للعقول والنفوس .

ويرى الأستاذ جلاء إدريس : إن الذين يؤكدون صدور هذه الوثائق عن اليهود يحتجون بأن هذه المخططات التدميرية التى اشتملت عليها الوثائق ليست جديدة . بل هى موجودة فى كتبهم القديمة وفى مقدمتها (التلمود) ـ الذى تكفى جملة منه لتكون عنواناً لهذه المؤامرات اليهودية المدبرة ضد الأمم الأخرى ـ غير اليهودية ـ فقد جاء فى هذا (التلمود) : (كل ما على الأرض ملك لليهود ، فما تحت أيدى الأميين مغتصب من اليهود ، وعليهم استرداده منهم بكل الوسائل)[1]

* * *

ومما جاء فى البروتوكولات ـ فيما يتصل بموضوعنا ـ قولهم : (ولا تتصوروا أن ـ تصريحاتنا كلمات جوفاء ، ولاحظوا هناك أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل .. والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى ـ غير اليهودى ـ

(١) أخبار العالم الإسلامى ١٣٩٨/٣/١٣هـ .

سيكون واضحاً لنا على التأكيد ..) .

وإذا تأملنا مدى نجاح ماركس فى نظريته الاقتصادية (الشيوعية ـ أو الحتمية التاريخية) وفرويد فى نظريته (التحليل النفسى ـ والحتمية النفسية) . وداروين فى نظريته (النشوء والتطور) وآثارها غير الأخلاقية على الشعوب أفراداً أو جماعات ودولاً ـ ادركنا حقيقة التآمر اليهودى على (العلم والعلماء) وعلى البشرية جمعاء .

ونكتفى هنا بما قاله الأستاذ (محمد قطب) عن (داروين) حيث قال : إن الداروينية قد رجت العقيدة رجاً فهذا التطور الذى يزعمه دارون .. اكتسح كل شىء فى سبيله ، واصر على تحطيم كل شىء (ثابت) فى الطريق حتى ادار رؤوس العلماء والجماهير فلم يعودوا يرون شيئاً فى الوجود كله حتى العقيدة بل حتى (الله) تبارك وتعالى) .

كما نكتفى بما قاله الدكتور عبدالصبور مرزوق ـ خلال بحثه فى (البهائية) والحركات المعادية للإسلام ـ عن المخرب اليهودى (فرويد) .. حيث قال : إنه حاول أن يفسر كل حركة الحياة والتاريخ على أساس جنسى وغرائزى وصولاً بالإنسان إلى حالة الانحطاط العقلى الذى لا يستطيع أن يفرق معه بين ما هو حق وبين ما هو باطل وبين ما هو هدى وبين الضلال ، ويصبح أسيراً لغرائزه وشهواته»[1] .

---

(١) أخبار العالم الإسلامى ١٣/٣/١٣٩٨هـ .

* * *

وبعد .. فهذا ما أحببنا أن نضيفه إلى حديثنا السابق عن بعض (النظريات) التى يسمونها تجارب علمية وهى كذب وافتراء على العلم ، وهى فتنة وبلبلة للعقول والنفوس .

وهذا ـ أيضاً ـ ما نقلناه عن وثائق من أسموا أنفسهم (بحكماء صهيون) وهم فى الحقيقة سفهاؤها وأشرارها ـ الذين يخططون لتدمير العالم نفسياً وعقلياً وعقائدياً .. باسم (العلم) والاكتشاف العلمى والتجارب العلمية وقد اشتروا لذلك ضمائر ماركس ، وفرويد ، وانجلز ، ونيتشه من قبل ـ وهم الآن يشترون ضمائر جديدة أمثال : بوكل ، وشليتر ، وسيجى وغيرهم ممن سيكشف عنهم الغد القريب والبعيد .

ـ ٣ ـ

وحول إمكانية معرفة الأطباء لنوع الجنين أذكر أم هو أنثى ! كتب أحد العلماء العصريين فى احدى المجلات العربية يقول : إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو**﴾ ... أى أن الآية إنما تتكلم عن مفاتيح الغيب ، لا عن الغيب ذاته . والغيب هو المطر المتوقع هطوله لظهور أسبابه ودلائله من حولنا ـ أو هو الجنين الذى يتوقع أن يأتى ذكراً لظهور القرائن التى تنبَّه إليها الأطباء مع كثرة التجارب والملاحظات ـ أو هو الكسوف المتوقع فى ساعة معينة آتية إذا تجلت أسبابه فى عالم الفلك وبالوسائل العلمية المختلفة .. فهذا هو الغيب . أما مفاتح الغيب .. فهو

الدستور الخفى المنظم لصلة ما بين المطر وأسبابه ، والصلة ما بين ذكورة الجنين وقرائنها ، والصلة ما بين الكسوف وإماراته ، أى أنها تتمثل فى ادراك السبب الخفى لسببية هذه الأشياء بعضها لبعض. ونلاحظ أن القرآن الكريم سلب عن الإنسان الوصول إلى مفاتح الغيب ، ولكنه لم يسلب عنه معرفة الغيب ذاته .. وذلك عندما أعاد الضمير فى قوله (لا يعلمها) إلى المفاتيح لا إلى الغيب) .

ثم أضاف العالم الفاضل : «إن معرفة الغيب وحده مبتوراً عن معرفة قانونه أو سره الخفى لا يسمى فى الحقيقة علماً بل هو ظن راجح قوى .. إذ يمكن فى كل لحظة أن تنقطع صلة ما بين السبب ومسببه مادمنا لا نعلم من براهين حتمية العلاقة بينهما شيئاً» .

وبعد أن نفرغ من الحديث عن قرائن معرفة نوعية الجنين وأسبابها التى لم يستأثر الله بعلمها ـ كما يرى هو ـ سأل : هل ترقى هذه المعرفة إلى اليقين الجازم بذكورة الجنين أو أنوثته ! أو إلى القدرة على التحكم بنوع الجنين ! ثم أجاب : لا .. لا يمكن أن ترقى هذه المعرفة إلى اليقين الحتمى لأن الإله الذى أقام ذكورة الجنين على الأسباب التى شاءها قادر على أن يبطلها إذا شاء الخ ...[1]

* * *

ولما كنا قد تناولنا ـ فى أحاديث سابقة ـ هذه القضية الغيبية بما فتح الله من تأملات ودراسات لآيات القرآن الكريم والأحاديث

---

(١) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ـ فى مجلة العربى صفر ١٣٩٩هـ .

النبوية الواردة فى هذا الشأن ـ نريد اليوم أن نتابع تأملاتنا ودراساتنا للموضوع نفسه .

أولاً : إن حديث العالم الفاضل فى التفريق بين (الغيب) ومفاتحه وقوله إن الله لم يستأثر بعلم الغيب وإنما استأثر بمفاتحه وحدها .. قد استند فى ذلك على آية واحدة من القرآن الكريم دون أن يرجع إلى الآيات الأخرى التى تؤكد انفراد الله عزّ وجلّ بعلم الغيب وعلم مفاتحه معاً .

ولا نريد أن نورد الآيات العديدة التى تخص الله تبارك وتعالى بأنه (يعلم غيب السموات والأرض) أو أنه (عالم الغيب والشهادة) فهى كثيرة ولا تمنع علم الغيب عن الخلق .. ولكنا نورد الآيات الصريحة فى منع علم (الغيب) عن الإنسان ، واختصاص الله به مع الاستثناء للأنبياء والرسل حيث يوحى الله إليهم بما يشاء من غيوب لا يعلمونها ابتداء .

يقول الله عزّ وجلّ :

- **﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء ..﴾**[1]
- **﴿فقل : إنما الغيب لله .. فانتظروا إنى معكم من المنتظرين ..﴾**[2]
- **﴿قل : لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلّا الله ..﴾**[3]
- **﴿عالم الغيب .. فلا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من**

---

(١) سورة آل عمران ١٧٩ . (٢) سورة يونس ٢٠ .
(٣) سورة النمل ٦٥ .

رسول ..﴾[1]

وإذن فالاكتفاء بآية واحدة هي قوله تبارك وتعالى : **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو ..﴾** لا يكفي لصحة الدعوى بأن الله لم يستأثر بعلم الغيب وحده ، وإنما استأثر بمفاتحه وحدها ــ كما لا يكفي ذلك للتفريق بين معنى الغيب ومعنى مفاتحه على النحو الذى فهمه العالم المفضال .

ذلك ان الحقائق والقضايا الاسلامية ــ فيما يتعلّق بالعقيدة أو الشريعة والأخلاق ــ لا يكفي لإثباتها آية واحدة ، ولا حديث نبوى واحد .. مادامت هناك آيات وأحاديث أخرى عن الموضوع ذاته أو الحقيقة نفسها .

فالآيات الأربع التى أوردناها آنفاً صريحة بأن الله عزّ وجلّ استأثر بعلم الغيب كله .. وأنه عزّ وجلّ يطلع رسله وأنبياءه على بعض هذا (الغيب) كمعجزة لهم أو لبيان أمرٍ مهمّ إختلف حوله النبي وقومه ، أو لكشف ما يدبره أعداؤه من إيذاء له .

ثانياً : هناك تفسير نبوى يرويه الإمام البخارى رحمه الله عن سالم ابن عبدالله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهم لهذه (المفاتح) بأنها هى (الغيب) نفسه حيث يقول ﷺ : **مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلّا الله** ثم يقرأ : **﴿إن الله عنده علم الساعة ــ وينزّل الغيث ــ ويعلم ما فى الأرحام ــ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ــ وما تدرى نفس بأى أرضٍ تموت ــ إن الله عليم خبير﴾** وفى حديث

---

(١) سورة الجن ٢٦ .

عمر : إن جبريل عليه السلام حين تبدى للنبي ﷺ فى صورة اعرابي فسأله عن الإيمان والاسلام والاحسان ـ كان من جملة ما أجاب به عليه الصلاة والسلام جبريل قوله : خمس لا يعلمهن إلّا الله ثم قرأ : ﴿**إن الله عنده علم الساعة**﴾ الآية ..

ونلاحظ هنا فى هذه الآية ـ من سورة لقمان ـ إنها تساوت فى التعبير بكلمة (عنده) مع آية الأنعام . فى سورة لقمان : ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزِّل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ..**﴾ الآية . وفى سورة الأنعام : ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو**﴾ .. الآية ـ ثم جاء الحديث النبوى الصحيح ليؤكد أن آية لقمان هى تفسير لآية الأنعام .

فكيف نفرق بين (الغيب) و (مفاتحه) فى اختصاص الله بهما بعد هذا البيان القرآنى والبيان النبوى ! .

و (مفاتح الغيب) كما جاء فى كتب التفسير القديمة والحديثة ، هى الوسائل أو الطرق الموصلة إلى علم الغيب نفسه ولا يملكها إلّا الله عزّ وجلّ يطلع من يشاء عليها ويحجبها عمن يشاء[1] .

ثالثاً : إن كل ما يقوله علماء الطب أو علماء الفلك من تنبؤات بأمور غيبية كالمطر وكسوف الشمس والقمر ، ومعرفة الجنين أذكر هوام أنثى ـ وامثال ذلك ـ إنما هو مجرد احتمال ، ومجرد ظن .. ولا ننسى هنا ـ ونحن نتحدث عن قضية معرفة نوعيَّة الجنين ـ ما يقوله الله عزّ وجلّ بهذا الشأن خاصة ، بالإضافة إلى إنفراده بعلم الغيب

---

(١) تراجع تفاسير : الزمخشرى ـ والنسفى ـ والقرطبى .

ومفاتحه :

﴿**لله ملك السموات والأرض ... يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجِّهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير**﴾[1]

فهو تبارك وتعالى ـ فى هذا الأمر بخاصة ـ استأثر بالعلم والمشيئة معاً وجعل غيبيته حكمة لعمارة الكون واستقامة الحياة وسعادة الإنسان ..

وقد تحدثنا ـ فى موضع آخر ـ عن هذه الحكمة الإلٓهية البالغة .. وهى انه لو ترك الناس أن يتحكموا فى تنويع (الجنين) قبل أن يولد لآثروا إنجاب الذكور على الإناث ... فيكون فى ذلك فتنة فى الأرض وفساد كبير.

وهكذا ينبغى للمؤمن بالله ورسله وكتبه أن يعتقد أن كل ما يقوله علماء الطب أو علماء الفلك من تنبؤات بأمور غيبية كالمطر ، وكسوف الشمس والقمر ، ومعرفة الجنين أذكر هو أم أنثى وامثال ذلك ـ إنما هو مجرد احتمال ، ومجرد ظن ، وليس علماً مسلماً واقعياً لا محالة .

ـ ٤ ـ

قبل بضع سنين كتب بعض العلماء من حملة الدكتوراة مقالاً يرى فيه أن معرفة حقيقة الجنين فى بطن أمه لم تعد غيباً .. لأن الأطباء العصريين توصلوا إلى معرفة ذلك ، وأصبحوا يستطيعون الكشف عن الجنين أهو ذكر أم أنثى ؟ فعقبت عليه بدراسة قرآنية

---

(١) سورة الشورى ٤٩ ، ٥٠ .

مفصلة تتضمن بعض التأكيدات النبوية ، واعترافات الأطباء أنفسهم : بأن معرفة الجنين وهو فى بطن أمه .. مازالت (غيباً) من الغيوب الربانية ، وأن ما يزعم من عكس ذلك ليس إلّا ما يحدث صدفة أو موافقة «قدرية» لتنبؤات بعض الأطباء ..

● أى أن معرفة حقيقة الجنين أذكر هو أم أنثى لم تصبح علماً مؤكداً عند الأطباء كعلوم الطب الأخرى التى يحللون بها بعض الأمراض ، أو بعض أسبابها ، أو بعض نتائجها ..

وقد فوجئت اليوم بأحد العلماء[1] فى جريدة (المسلمون) فى ١٤٠٥/٨/٧ - ١٩٨٥/٤/٢٧ - يتحدث تحت عنوان : (معرفة نوع الجنين بعد تخليقه ليست من الغيب) بما خلاصته : أن الأطباء لا يعلمون أن الجنين ذكر أو أنثى إلّا بعد أن يُخَلَّق .. فتتبين ذكورته أو أنوثته ، وحينئذٍ لا يكون من الغيب المطلق ، بل هو غيب نسبى .. ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث أنس عن النبى ﷺ فى قصة الملك الموكّل بالرحم أنه يقول عند تخليق الجنين : يا رب أذكر أم أنثى - يا رب أشقى أم سعيد - فى الرزق - فى الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه ، فقد علِم الملك أن الجنين ذكر أم أنثى وهو فى بطن أمه ، ولكنه قبل أن يخلّق لا يعلم الملك ولا غيره أنه ذكر أو أنثى» آهـ .

والاستدلال بالحديث النبوى عن تخليق الجنين ، وعلم الملك بجنسه أذكر هو أم أنثى - على أن معرفة جنس الجنين لم تعد غيباً

(١) هو الشيخ محمد صالح العثيمين المدرس بكلية الشريعة فى بريدة .

إلهياً ــ غير صحيح .

فالرسول عليه الصلاة والسلام يخبرنا فى حديثه عن قضاء الله وقدره فى كيفية خلق الأجنة فى بطون أمهاتها ، وما يقدر لها من نوعية الذكورة أو الأنوثة ، وعن أعمارها وأعمالها وكون بعضها سعيداً والآخر شقياً .

وكون الملك يعلم بتكوين الجنين من حيث أمر الله له بتخليقه ذكراً أو أنثى لا دلالة فيه على أن (غيبية) هذا التكوين قد انكشفت بالنسبة للبشر أو للأطباء بصفة خاصة .. والملائكة جند الله ورسله ومنفذو أوامره فى أمور كثيرة ، وما يحدثنا به القرآن أو السنة عن هذه العلاقة بين الخالق عزّ وجلّ وبين الملائكة .. لا يعنى انكشاف (غيوب) هذه العلاقة أو الأعمال التى يقومون بها للبشر .

ثم إن (الملائكة) أنفسهم غيب من الغيوب بالنسبة لنا .. فنحن لا نراهم ، ولا نحس بحركاتهم وسلوكهم معنا ، وهم مقترنون بنا ، ويرافقوننا فى صحونا ونومنا ،

وقد قرأت الكثير من دعاوى الأطباء : بأن الطب الحديث أصبح يستطيع معرفة جنس الجنين وهو فى بطن أمه .. وعرفت بعد البحث والنقاش مع بعضهم أن التصوير الشعاعى ــ أو ما يسمونه بالأشعة الصوتية ــ يستطيع أن يكشف من ذكورة الجنين أو أنوثته إذا كان فخذ الجنين غير مطبقين أحدهما على الآخر .. وهذا طبعاً نادر الحدوث ، لأن وضع الجنين دائماً هو أن فخذيه مطبقان أحدهما على الآخر ، وذراعاه كذلك مطبقان على رأسه .

وإذن فالمسألة تعتمد على الصدفة ، وعلى ما قد يحدث من

تبدل وضع الجنين لسبب ما .. كما يتصادف أن يقرر الطبيب أن مريضاً ما سيموت حتماً ، فيموت فعلاً ، أو أنه سيشفى ، ويشفى حقاً .. بينما كثير من الأحداث تكذب ظن الطبيب فيموت من ظن أنه سيشفى ، ويحيا من ظن أنه سيموت .

وحجتنا فى أن معرفة جنس الجنين مازالت غيباً بعض آيات القرآن الكريم ، ويأتى فى المقدمة قول الله عزّ وجلّ : ﴿**إن الله عنده علم الساعة ، وينزِّل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت . إن الله عليم خبير**﴾ فالله عزّ وجلّ جعل ـ فى هذه الآية من سورة لقمان ـ العلم بجنس الجنين وباحتمال موته أو حياته أيضاً .. أحد الغيوب الخمسة المثبتة فى هذه الآية وهى الساعة ، وانزال الغيث ، وجهل الإنسان لما يحدث له غداً ، وجهله بمكان موته . كما نلاحظ أن الأخبار بهذه الغيوب قد جاء بأسلوب الحصْر والقصْر ، فبدأت الآية بقوله : ﴿**إن الله عنده علم الساعة**﴾ أى أن الله وحده هو الذى انفرد بعلم هذه (الغيوب) الخمسة ، وبغيوب أخرى لم تشتمل عليها الآية .

وإذا قلنا بجواز أن يعلم الإنسان ما فى الأرحام .. فهذا يلزم منه أن نقول أيضاً إن من الجائز أن يعلم الإنسان علم الساعة ، وعلم نزول الغيث ، وعلم ما يكسبه غداً ، وعلم الأرض أو البلدة التى يموت فيها ـ لأن الغيوب الخمسة محصورة ومقصورة كما أسلفنا على علم الله وحده ، وهى معطوفة بعضها على بعض ، ولا يصح استثناء واحد منها ..

ـ القرآن : هل حرم تعدد الزوجات ؟
ـ وهل نملك نحن تحريم التعدد ؟

نشرت مجلة (المجتمع الجديد) المصرية ـ للأستاذ (عبدالعزيز فهمى باشا) صاحب الرأى العجيب فى استبدال الحروف اللاتينية بالعربية رأياً أعجب منه يقول فيه : أن القرآن الكريم يحرم بتاتاً تعدد الزوجات[1] ، فقوله تعالى ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾ ليس المقصود منه إباحة أكثر من واحدة بل قصد منه تحريم ذلك . وكل ما فى الأمر أن صيغة التحريم وردت على عادة القرآن فى الاستدراج والتلطف ، فالآية واضحة لكل متذوق أنها هزء وسخرية ممن يريد تعدد الزوجات لأن المولى سبحانه وتعالى أردفها بقوله : ﴿**وإن خفتم ألاّ تعدلوا ـ فواحدة**﴾ وقوله فى موضع آخر : ﴿**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**﴾ و « لن » كما يقرر النحاة هى أشد أدوات النفى للمستقبل إذ تنفيه نفيًا باتًا . فالقرآن يسجل بصريح العبارة أن الاستطاعة مستحيلة أى أن العلة المتوهمة للتصريح بالعدد لن تتحقق ، والمقرر عند الفقهاء من عقليين وحرفيين أنه متى زالت العلة زال المعلول .

هذا ما يقوله (الباشا) و (شيخ القضاة) و (القانونى الأول) و (عضو مجمع اللغة العربية) فى مصر كما يسميه المصريون . وأغرب من هذا واكرب أنه دعا الحكومة المصرية إلى أن تحرم بتاتاً تعدد الزوجات .

---

(١) ذهب إلى مثل هذا الوهم السيد أمير على قبل الباشا .

ونحن نجادله فيما ادعاه فى القرآن من تحريم حلال ، وادعاء محال بالحجج التالية :

● الحجة الأولى : أن آية ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾[1] بينة المعنى بحيث لا يختلف عليها ، فهى تبيح التعدد إلى أربع إلّا إذا خيف الجور بينهن فيجب الاقتصار حينئذ على واحدة أو على الاماء ..

● الحجة الثانية : أن آية ﴿**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**﴾[2] . إذا أريد اتقان فهمها والاحاطة بعلمها ، يجب أن تتلى كاملة ، لا مبتورة كما أوردها (شيخ القضاة) وإلّا كان الشأن فيها كالشأن فى تلاوة ﴿**فويل للمصلين**﴾ أو ﴿**لا تقربوا الصلاة**﴾ فليقرأ معنا القراء تكملتها ﴿**فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة**﴾ ليفهموا معنا أيضاً أن قوله تعالى ﴿**كل الميل**﴾ يشير فى جلاء كاف إلى أن العدل المطلوب من الزوج بين زوجاته هو العدل المقدور عليه لا العدل الكامل المعجوز عنه ،المعنىّ .بشق الآية الأول ، ودليل ذلك ـ أولاً ـ تقييده الميل المنهى عنه بأنه (كل الميل) أى الميل الكامل ، ودليله ـ ثانياً ـ تشبيه الزوجة فى هذه الحالة بالمعلقة التى لا تدرى أهى زوجة أم غير زوجة ، إذ لو أراد أن ينهى عن (بعض الميل) وهو ما لا يستطاع ضبطه ـ للجأ إلى النهى عن الميل مطلقاً من (قيد الكلية) ومطلقاً أيضاً من تشبيه الزوجة بالمعلقة تصويراً لزوجها ـ المائل عنها إلى زوجاته الأخريات ميلاً كاملاً ـ بالهاجر

---

(١) سورة النساء ٣ .

(٢) سورة النساء ١٢٨ .

الظلوم .

إذن فهذه الآية بمطلبها العدل بين الزوجات بما يستطاع ، لا تناقض الآية الأولى فى تصريحها بإباحة التعدد ، على شرطه .

ثم أن «لن» التى يقول الباشا أنها تنفى نفياً باتاً ـ لا تفيد التأييد ولا التأكيد وإن كان الباشا إنما ذهب مذهب الزمخشرى فى ذلك ، ولكن الزمخشرى معذور باضطراره إلى الاستدلال بها على مذهب المعتزلة فى نفى رؤية الله تعالى ، حين تعرضه لتفسير هذه الآية : ﴿**قال لن ترانى** ..﴾ .

وأدلتنا فى الرد عليه : هى أدلة النحاة أنفسهم الذين يقول الباشا انهم يذهبون «بلن» مذهب التأكيد ، فهم يقولون : إن دليلاً على كونها للتأبيد لم يقم لديهم ـ وهم يقولون ثانياً : إنها لو كانت كذلك للزم التناقض فى هذه الآية ﴿**فلن أكلّم اليوم إنسيّاً**﴾ بذكر يوم معلوم ـ وهم يقولون ثالثاً : ولو كانت كذلك أيضاً للزم التكرار فى هذه الآية ﴿**قل لن تخرجوا معى أبداً**﴾ بذكر الأبد .

وأما ما يقال من أن (لن) فى هذه الآية ﴿**لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له**﴾ للتأبيد ، فيصدقون لو قالوا أن التأبيد جاء من أمر خارجى ، لا من مقتضيات «لن» كما يصح أن يجىء بأيّة أداةٍ أخرى ، من الأدوات النافية .

● الحجة الثالثة : لو جارينا (شيخ القضاة) فى فهمه للآيتين السابقتين لكان معناهما : أبيح لكم زواج نساء أربع ، ما لم تخالفوا الجور بينهن ، فإن خفتم ذلك فاجتزئوا بواحدة . لكن حيث أنكم عاجزون عن العدل بينهن ولو حرصتم فيحرم عليكم التعدد ! !

ونحن نجل القرآن الكريم ونحسب أن شيخ القضاة معنا فى إجلاله عن هذا اللف والدوران فى أسلوب التحريم ـ لو صح التحريم ـ إذ لو كان مقصده تحريم التعدد مطلقاً ، لفعله فى آية موجزة ، هذا من وجه ، ومن وجه آخر لاستغنى عن بيان العدد الجائز وهو مثنى وثلاث ورباع إذا كان مقصده تحريم أكثر من واحدة .

● الحجة الرابعة : إن كثيراً من الصحابة كان تحت كل منهم أكثر من واحدة أمثال قيس بن الحارث ، ونوفل بن معاوية ، وغيلان ابن سلمة ، فما يقول شيخ القضاة فى اقرار النبى عليه الصلاة والسلام على ذلك ! وفى امره لمن كان منهم متزوجاً بأزيد من أربع ، عند نزول الآية الأولى ، بمفارقة الزائدات ؟ ثم ماذا يقول فى اجماع الأمة الاسلامية على جواز ذلك منذ عهد مبلغ القرآن حتى الآن ؟ .

أيخطر ببال شيخ القضاة أن رواد الاسلام الأولين ومن تبعهم باحسان أحلوا ما حرم الله ! أم يزعم أن نبى الاسلام ﷺ لم يفهم القرآن أو خالف التشريع ؟!

● الخامسة : إن جمهور فقهائنا : مفسِّرين ومحدِّثين اجمعوا على أن العدل المقدور عليه والمطلوب من الزوج بين أزواجه ، هو التسوية بينهن فى النفقة ، والمبيت ، أما عاطفة الحب فقد اعتذر نبى الاسلام نفسه ـ وهو من هو عصمةً وتقوى ـ عنها إذ كان يقول : **(اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) لِما كان يحسُّ من حبِّه لعائشة أكثر من حبِّه لأزواجه الأخريات ، وما يحسه من غيرتهن لذلك ، مع مساواته بين الجميع فى النفقة ، والمبيت ،**

كما روت ذلك عائشة نفسها فى حديث صحيح .

وعلى هذا يمكن ـ فى غير تعسف ولا استكراه ـ أن نفهم معنى هذه الآية : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ـ فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾ على أن الشطر الأول منها حكم جازم صارخ بعجز الزوج عن العدل بين نسائه فى المحبة ، وإن الشطر الثانى منها نَهْىٌ عن «الميل الكامل» إلى احداهن دون الأخرى مما يفضى ـ حتماً ـ إلى القصور فى ما يستطيعه الزوج من نفقة ومبيت لا «عن بعض الميل» الذى قد يكون نتيجة عدم استطاعة الزوج توزيع المحبة بالقسطاس المستقيم ..

● السادسة : أن شرط فرض قانون ما ، على مجتمع : أن يلائم هذا المجتمع . وحيث أن قانون تحريم التعدد الذى ينادى به شيخ القضاة فى مصر يحاد حرية الناس التى اباحها لهم دينهم ، وأنشأتهم عليها عاداتهم ، فقد يصعب عليهم نزعه منهم ، ويلقى فى علمهم أن سلفهم الصالح كان على جور فى تعدد الزوجات .

● الحجة السابعة : إن قوانين كل أمة تسن وفق عاداتها وعقيدتها التى تخصها دون غيرها وتتميز بها عنه . ومن الخطأ الخاطىء أن نعاند عاداتنا كشرقيين ، ونتنكر لعقيدتنا كمسلمين ، من أجل أن نجارى تلك الأمم فى قوانينها التى هى ملائمة لعاداتها وعقيدتها بلا جدال .

● الثامنة : إن المذهب الفلسفى الحديث المعروف بمذهب «الذرائع» يقوِّم الفكرة الاصلاحية بمقدار نفعها للأمة التى يراد اشاعتها بينها ، فأى نفع فى تحريم التعدد ؟ ولقد كنا نقول بأكثرية

النساء فى الحروب على الرجال ، فأصبحنا نقول بذلك أيضًا فى السلم لما نشاهد من أكثرية نسبة ما يولد للرجال ـ اليوم ـ من البنات على البنين ، وهى ظاهرة تكاد تكون موجودة فى كل بلد . وخير لفتاة أو اثنتين أو ثلاث أن يشاركن رابعة فى قلب زوجها وماله من أن يحرمن منها البتة ويبتسهن الكساد والفساد .

● الحجة التاسعة : إن الرجل أسرع سأماً وبرماً بزوجته من المرأة بزوجها منذ أن تحمل منه وتضع له عديداً من الأولاد ، فهو حينئذ ينشد وجهاً غير وجهها ، وخصراً غير خصرها ، ليستمتع بجمال جديد ، وليس أمام الرجل فى هذه الحالة إلّا أن يتخذ حليلات إلى أربع ، أو خليلات بغير حساب . وماذا على تلك الزوجة المسؤومة لو شاركت ضرائرها فى رجلها والد أولادها . وفى بيت صائن عفافها وضامن كفافها ، أليس ذلك خيراً لها من السوق ، حيث الفقر والفسوق ؟ .

ثم إن النفوس البشرية نزاعة إلى التبديل والتنويع ، فإذا هى لم تجد لذتها فى المشروع ، وجدتها فى غير المشروع .

كما يلاحظ على الزوجات أنهن إذا أنجبن عدداً من الأولاد بنين وبنات ـ إنشغلن بهم عن الزوج ـ الأب ـ ويزداد إنشغالهن إذا تزوجت البنات وانجبن أيضاً .. فنجد أن الأم تنصرف إلى توليد بناتها وزوجات ابنائها وتمريضهن ، وتهمل الزوج رعاية وعناية وحباً وعطفاً .

● الحجة العاشرة : من المشاهد المألوفة فى دنيا الزوجية أن المرأة تخضع لاستمتاع زوجها المريض أو الضعيف أو القبيح ، لأن

الانفكاك منه ليس بيدها أولاً ، وثانياً لأن هدفها الأول والأخير : البيت والأمومة ، بينما نشاهد استكراه الزوج للاستمتاع بزوجته المريضة أو الضعيفة أو القبيحة ، ذلك أنه أولاً : قادر على الانفكاك منها وعلى الاعتياض بغيرها . وثانياً : لأنه ينشد إرضاء نظره وسمعه وقلبه ثم خدمة بيته وتربية ذريته .

ولأن تشارك الزوجة المريضة أو الضعيفة أو القبيحة أو العقيمة[1] نساء أخريات فى عواطف زوجها وماله ، خير لها وللمجتمع الذى تعيش فيه من نفارها وبوارها .

وإنى لأعجب كيف يريد الله بنا اليسر ، ويريد بنا شيخ القضاة العسر ! ! وأعجب مرة أخرى كيف يجمع قضاة المسلمين وفقهاؤهم وبلغاؤهم على جد القرآن وصدقه ، ويدعى شيخ القضاة بمصر اللف والدوران فيه ! .

أدل يا شيخ القضاة بدلوك فى كل قانون لأية أمة ، إلّا القرآن والعربية ، فإنما مثلك ومثلها (كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه» .

* * *

وعاد «الباشا» يؤيد دعواه .. ببحث طويل عريض ، فى (مجلة الثقافة) المصرية .. ونعود مرة أخرى لجداله فيما أضاف على ما أسلف . ونوجز أولاً : مزاعم الباشا ثم نكّر عليها بحججنا الدوامغ .. والله المستعان :

---

(١) عقم الزوجة الأولى من أقوى الأسباب لإباحة التعدد لأن الرجل حريص على الذرية .

أولاً : يقول الباشا : إن (ما) فى قوله تعالى ﴿**ما طاب لكم من النساء**﴾ من أقوى ما يكون فى إفادة العموم ، وهى نكرة بمعنى «أى شىء» أى أية امرأة أو مجموعة من النساء ـ أى لا مفهوم للتحديد بأربع ـ وإن القرآن استعمل «طاب» ولم يستعمل كلمة (حل) لأن الطائب قد يكون حلالاً وقد يكون حراماً الخ ..

وردنا على الباشا من وجوه :

١ ـ اتفق علماء أصول التفسير على أن فى القرآن عاماً باقياً على عمومه ، وعاماً مخصوصاً ، وعاماً أريد به الخصوص ، وهو أصل من أصول اللغة العربية متعارف مألوف .

٢ ـ إن «ما» إن لم تكن ـ كما يحلو للباشا الا تكون ـ موصولة بمعنى (من) فلا أقل من أن تكون نكرةً موصوفها المثنوى أو الثلاثى أو الرباعى .

٣ ـ إن لكلمة (طاب) معنيين : أحدهما مفهوم الباشا أى لذّ وحسن والثانى (حلّ) وهو ما قال به المفسرون واللغويون ، وأمثلته من القرآن نفسه : ﴿**يآ أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾[1] و ﴿**يآ أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم**﴾[2] فإن المراد قطعاً «بالطيبات» أكلاً وانفاقاً ـ هو الحلال ! .

على أن الفقهاء والمفتين ، فى مدّ العهود الاسلامية كلها كانوا إذا استفتوا عن شىء حلال قالوا : «إنه طيب أو يطيب» . ولم نقرأ

---

(١) سورة البقرة ١٧٢ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٧ .

فى كتب اللغة والأدب من قديمها وحديثها أنَّ عالماً أو كاتباً أطلق وصف «الطيب» على غير الحلال ..

ثانياً : يقول الباشا : إن القول بدلالة الآية على حكم تحديد التعدد بأربع ، يؤول بنا إلى نتيجة منكرة ، ذلك أن مثنى وثلاث ورباع معناها اثنان إثنان ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة .. أى أن الرجل يأتى لامرأتين فيتزوجها .. ثم إلى ثلاث فيتزوجهن . ثم إلى أربع فيكون تحته تسع . وقد ذهب إلى فهم ذلك بعض الفرق المنسوبة إلى الاسلام ، بل كان منها من قال بتحديد الزوجات إلى ثمانى عشرة زوجة .. وعلى ذلك فهذه الألفاظ العددية كناية عن الأخذ الجزاف المنافى لكل تحديد .

وقد فات الباشا ان يفهم هذ التعديد على ما هو معلوم ومفهوم منه حقيقة .. وعلى ما هو مطلوب منه لغوىً وعرفياً .. ولنأخذ ـ لتقريب ذلك إلى فهمه ـ مثلاً من عمليات تدريب الجنود عندما يأمرهم قائدهم بالسيرة مرة «مثنى مثنى» وأخرى : «ثلاث ثلاث» وثالثة : «رباع رباع» فهل يعنى ذلك أن يسيروا فى حالة واحدة صفوفاً مختلفة بين الإثنين والثلاثة والأربعة ، أم أن المقصود أن يسيروا فى كل مرة على صورة واحدة ؟ وعلى هذا يتضح المراد من تحديد الآية القرآنية بهذه الألفاظ العددية ، وهو أنه يحل لكل مسلم التزوج بامرأتين فى حالة واحدة ، وثلاث فى حالة أخرى ، وأربع فى حالة ثالثة مستقلة .. لا أن يتزوج امرأتين ، وثلاثاً ، وأربعاً فى حالة واحدة . كما لا يصح أن يسير صف الجند الواحد كل اثنين معاً وكل ثلاثة معاً ، وكل أربعةٍ معاً فى حالة واحدة .

أما ما قاله من ذهاب بعض السفهاء إلى التعديد إلى ثمانى عشرة زوجة ، فهو مخالف لإجماع الصحابة والتابعين .. بل إن كبار الظاهرية ـ وهى الفرقة القائلة بهذا المذهب ـ أنكروه ، فهو إذن محل نظر فيما بينهم وبين أنفسهم . على ضلاله وبهتانه وزوره .

ثالثاً : يقول الباشا أن الجنود فى كل أمة يدللون ، ويتجاوز لهم عن كثير من الآثام فى مقابل إنهم وهبوا حياتهم .. والشاب من جنود المسلمين كان إذا ثارت غريزته الجنسية رأى أن التزوج بأخرى ـ غير أولاه التى خلفها وراءه بالمدينة ـ ممنوع بالآية الأولى ، ولكنه يذكر أن آباءه وأجداده كان مصرحاً لهم بالتعدد فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ، وحين نزول الآية الأخرى ، فيرى وهو محروم من ساحة الحرب من زوجته البعيدة ـ أنه أحق بالتعدد فيتزوج بأخرى .. واغتفر أولو الحل والعقد ذلك للجنود ، فاستحلوا التعدد وحبذوه .. وبمرور الزمن أصبحت عادة التعدد من التقاليد القديمة ، فاضطر الفقهاء فى كثير من الجهات إلى مسايرتها وتدوين الواقع من متابعة الناس لها ، وتساهلوا فى تأويل سندها القرآنى» !

هذا ما يزعمه الباشا الفقيه المصرى .. وهو طبعاً يدل دلالة صارخة على مبلغ فهمه للفقه الاسلامى ، ومبلغ علمه بالتأريخ ، وحسبه أنه بما زعمه أثّم جميع الصحابة والخلفاء الراشدين والتابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين وفقهاء المذاهب فى جميع الأزمنة والأمكنة .. أثّمهم بإقرار الحرام والتغاضى عنه ، وابتكار الحيل فى تأويل نصوصه فى سبيل إرضاء غرائز الجنود .. وفى سبيل المضى مع العادات والتقاليد .

وكدت أقول إنه [illegible] نبىّ الاسام عليه الصلاة والسلام ــ وحاشاه ــ لأن الحروب والثورات لم تبدأ فى عهد الصحابة ، بل بدأت فى عهده كما هو معلوم .

ثم أين مستند الباشا من تأريخ الحروب الاسلامية على حدوث ترضية غرائز الجنود الجنسية بما هو حرام فى زعمه !؟ .

إن الباشا لا يعلم من التأريخ الاسلامى شيئاً ــ كما يدل هو على نفسه ! ــ ولكنه استعان فى بحث إسلامى بعلمه الغزير عن التأريخ الأوروبى وحروب الفرنجة التى يستحلون فيها نهب الأموال والأعراض والأرواح ، ويبيحون لجنودهم التمتع بالفتيات فى الميادين ، بل إنهم يبعثونهن إليهم خصيصاً لهذا الغرض الأثيم .. وقد قاس الباشا مبادىء المسلمين السامية وتقاليدهم الشريفة على مبادىء وتقاليد تخالفها ، فى غير مقاس .

هل نملك تحريم تعدد الزوجات !

كتب الشيخ عبدالمتعال الصعيدى فى مجلة الأزهر عام ١٣٦٧هـ مقالاً بعنوان : (حرية البحث فى الاسلام) حول إمكانية تحريم تعدد الزوجات .. الذى أباحته الشريعة الاسلامية ــ وقد حاول أن يثبت فيه هذه الحرية بالحق وبالباطل وقد كان يسعه أن يثبتها بالحق وحده ، فأدلته وبراهينه كثيرة بحمد الله .

هكذا يدعى أن فى مكنة ولاة الأمر أن يصدروا قانوناً بتحريم تعدد الزوجات . لأن هذا التعدد مباح ، وليس معنى الإباحة فى الاسلام أن يأخذ المسلمون فيها بشهوتهم .. فلا يقفوا فيها عند

حد ، ولا يتصرفوا فيها بالحكمة .

وضرب ـ الشيخ الصعيدى ـ مثلاً لامكان تحريم المباح أن ينهى ولى الأمر عن زرع القطن فى أكثر من ثلث الأرض ، فتجب طاعته شرعاً فى ذلك وتحرم مخالفته فيه .. ويكون زرع القطن فى أكثر من الثلث حراماً . ثم أخذ ـ الشيخ الصعيدى ـ يعتل لقيام التعدد فى صدر الاسلام بالعلل الآتية :

أولاً : لأن الرجال كانوا عدولاً متمسكين بدينهم ، وكان نساؤهم لا يجدن حرجاً فى التعدد لضمان المساواة فيه وكان الأولاد منهم لا يجدون تفاوتاً فى معاملة آبائهم لهم .

ثانياً : لأن المسلمين كانوا خير أمة أخرجت للناس ، فالزيادة فى الخير خير ولا شىء فى أن يصار إلى ذلك بتعدد الزوجات .

ثالثاً : لأن المسلمين كانوا فى قلة بين الأمم المجاورة لهم ، وقد قامت بينهم حروب متتابعة زادتهم قلة فكان لهم فى تعدد الزوجات ضرورة لفقد أكثر الرجال أولاً ، ولإكثار النسل ثانياً .

وعقَّب على هذه العلل ـ عنه ـ بقوله : وليس المسلمون اليوم كأسلافهم عدولاً متمسكين بدينهم .. وليسوا هم الآن قلةً بل كثرة .. وليسوا هم الآن خير أمة أخرجت للناس حتى يكون فى زيادتهم بتعدد الزوجات زيادة فى خيرهم ! .

وقد استدل على جواز هذه الحرية من القرآن بقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه .. هذه القصة التى يقول عنها الشيخ إن إبراهيم أخطأ ثلاث مرات فى سبيل معرفة الحق ، فقال أولاً للكوكب : هذا ربى . ثم قال ثانياً للقمر : هذا ربى . ثم قال ثالثاً للشمس هذا

ربى ، وأخيراً اهتدى إذ وجَّه وجهه إلى فاطر الأرض والسماوات .

ونعقب على الشيخ عبدالمتعال الصعيدى فيما يأتى :

● أولاً : إن التشريع الوضعى الذى يرى الشيخ أن فى استطاعته تحريم تعدد الزوجات يسير فى طريقه وفق قاعدة شرعية معلومة هى : «تخصيص القضاء بالمكان والزمان والحادثة ، فهو يقيد بعض المسائل كإثبات النسب ، ودعوى النفقة ، وتحديد زمان الدعوى ومكانها الخ .. دون أن يتصدى فى هذه المسائل بتحريم حلال أو تحليل حرام .. وكل ما يجرى من حوادث خلافاً للمنع والتقييد الوضعيين يعد صحيحاً وحلالاً فى ذاته ، ويترتب عليه كافة الآثار . عدا ما نص على تعطيله وفقاً للمنع والتقييد .

ونزيد الشيخ توضيحاً بأن المقصود بهذه القاعدة وما اتفق عليه من تطبيقها فى جميع العصور الاسلامية المتقدمة : هو تخويل ولى الأمر بماله من الولاية القضائية العامة الحق فى تنظيم هذه الولاية بين قضاته بما يتفق والصالح العام ومصلحة المتقاضين ، وأحوال القضاة من أكثرية صلاح بعضهم للقضاء فى بلد دون بلد ، وفى نوع من القضايا دون نوع ، وفى زمان دون زمان ، وليس المقصود بهذه القاعدة الشرعية حرمان المتقاضين من التمتع بالآثار المترتبة على ما أحله الدين !

● ثانيا : إن إباحة تعدد الزوجات ، قد وردت فيها نصوص مفصلة محكمة من القرآن والحديث وأخبار الصحابة والتابعين ، ولم نسمع أحداً من القائلين بحق ولاة الأمور فى النهى عن المباح قال : إن ذلك يسوغ فى قضية مثل قضيتنا على ما هى عليه من تنصيص

وتفصيل وأحكام وإجماع ـ وإنما قالوا بجريان القاعدة فى المصالح المرسلة التى لم يتعرض الدين لها بحل ولا حرمة ..

● ثالثاً : إن قياسه تحريم تعدد الزوجات على تحريم ولى الأمر زراعة أكثر من ثلث الأرض قطناً .. قياس مضحك ـ فهذا شأنٌ من شئون الدنيا وحدها ،

وقال عليه الصلاة والسلام : «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» ولم يرد عن القطن وزراعته ونسجه ولبسه شىء فى القرآن والحديث ولا فى الإجماع والقياس .

والحقيقة أنه لا يجوز لأحد مهما بلغ من علم وفقه فى دين الله أن يحرم حلالاً ، ولا أن يحلل حراماً . ثم أن تعدد الزوجات أصبح الآن أكثر ضرورة من ذى قبل لكثرة عدد النساء زيادة على عدد الرجال .. ولأن تعليم المرأة أغراها برفض الخطاب فى البداية حتى إذا فاتها قطار الزواج قبلت أى خاطب ولو كان متزوجاً .. حتى قبلت المدرسات فى الجامعات أزواجاً لهم زوجات مع كبر أسنانهم ، وحتى تمنت طبيبة أن تتزوج ولو رجلاً أميّاً ، وحتى دعا أديبنا الكبير الأستاذ محمد حسين زيدان إلى أن نواجه ظاهرة (العنوسة) بتعدد الزوجات !

هل أخطأ إبراهيم عليه السلام :

يقول الله عزّ وجلّ فى القرآن عن إبراهيم عليه السلام : ﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل . وكنا به عالمين**﴾[1] ويصفه : بأنه كان

---

(١) سورة الأنبياء ٥١ .

حنيفاً مسلماً ، وأنه كان أمةً قانتاً لله ، وأنه لم يكن من المشركين ..
فإبراهيم لم يخطىء ثلاث مرات ـ كما زعم الشيخ الصعيدى ـ بل ولا مرة واحدة ، وإنما هو الحجاج والمناظرة مع قومه ليبطل حجتهم فى اتخاذهم الكواكب والشمس والقمر آلهةً ، فقوله : (هذا ربى) أى بزعمكم فلما أفل الكوكب قال : (لا أحب الآفلين) لأن الأفول عيب ونقص فى الآله المزعوم ، واستدرجهم إلى القمر ثم إلى الشمس ، فقال لكل واحدٍ منهما عند بزوغه وسطوعه : (هذا ربى) فلما أفل القمر ، وأفلت الشمس استدل لقومه ـ لا لنفسه ـ على نقصهما بعدم ثبوتهما وتقلبهما بين الشروق والأفول[1] .

وموقف إبراهيم ـ هنا ـ كموقفه عندما طلب من ربه أن يريه كيف يُحيي الموتى ؟ ﴿**قال أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى**﴾[2] فهو هنا يطلب الاطمئنان لنفسه بالحجة المنظورة ، وهو هنالك يطلب الإطمئنان لقومه بالبرهان المادى المنظور .

وبعد .. فما هكذا تورد يا سعد الإبل ؟ ! !

---

(١) آيات هذا الحوار فى سورة الأنعام من ٧٤ ـ ٨٣ .
(٢) سورة البقرة ٢٦٠ .

الفصل الثالث

حول لغة القرآن وترجمته وتلاوته

- هل نزل جبريل بمعانى القرآن ؟
- كلمات القرآن عربية كلها .
- ترجمة القرآن حرفياً غير ممكنة ..
- حول كتابة المصحف بالحروف اللاتينية ..
- ملاحظات على قراء القرآن ...
- ملاحظات على تحزيب القرآن .

هل نزل جبريل بمعانى القرآن

فى مجلة (القافلة) عدد رمضان (١٤٠٠هـ) دراسة مطولة عن ليلة القدر بقلم الكاتب الفاضل الدكتور أحمد جمال العمرى ـ أورد فيها أقوال المفسرين والمحدثين عن ليلة القدر وبركاتها، واختلاف العلماء فى تحديدها، وعن نزول القرآن أولاً إلى سماء الدنيا جملة واحدة، وثانياً موزعاً ومفرقاً حسب الوقائع والأحداث، على الرسول عليه الصلاة والسلام.

كما تعرض الدكتور العمرى ـ فى هذه الدراسة ـ إلى أقوال العلماء عن حقيقة القرآن ومعنى أنه كلام الله عزّ وجلّ. وقد لفت انتباهى من بين هذه الأقوال المتعددة ما نقله الكاتب الفاضل عن كتاب (البرهان ـ للزركشى) : إن جبريل إنما نزل بالمعانى وأن النبى ﷺ علم تلك المعانى وعبر عنها بلغة العرب، وقد تمسك القائل بهذا الرأى بظاهر قوله عزّ وجلّ : ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك**﴾ !

● قلت : لا شك أن هذا القول باطل مردود، وإذا كان الزركشى أورده فى كتاب (البرهان فى علوم القرآن) أو غيره ممن اشتغل بالبحث فى علوم القرآن ـ من قدامى وعصريين ـ من قبيل تدوين الآراء المختلفة والأقوال المتعددة حول قضية أو مسألة من المسائل القرآنية، إلّا أنه ينبغى الا تطرح هذه الخلافات والا تذكر هذه الآراء الباطلة فى المجلات والصحف، ويجب أن تبقى فى مكانها ومراجعها لمن يريد أن يدرسها ويقارن بينها وبين الصحيح دارس

وباحث ، ومقارن مقتنع .. وبين الخطأ والصواب .

ذلك أن المثقفين العاديين ـ العصريين بصفة خاصة ـ إذا وجدوا رأياً مثل هذا الرأى الباطل منسوباً إلى كتاب (البرهان فى علوم القرآن) ومنهتماً به من قبل عالم فاضل مثل الدكتور العمرى ـ حيث نقله فى مقاله بالمجلة ـ سوف يتأثرون به وربما ذهبوا إليه وأيدوه ، أو ربما وجد الملحدون من مثقفى العصر اساتذة وطلاباً حجةً فيه للقول بأن القرآن قابل لشتى التأويلات ، ومختلف التفسيرات . طالما أن النبى ﷺ كتبه أو عبر عنه بألفاظ من عنده .

* * *

والقرآن نفسه فى آيات متعددة يكذب هذا الرأى ويجعله باطلاً محضاً ـ فهو تارةً يقول : (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) وأخرى يقول **﴿كتاب فصِّلت آياته قرآناً عربياً﴾** وثالثاً : **﴿وهذا لسان عربى مبين﴾** إلى آخر الآيات التى لا نحصيها فى هذا الهامش الوجيز.

والآية التى استدل بها صاحب الرأى الباطل تبعتها آيتان تدحض مازعمه فقد قال الله عزّ وجلّ ـ فى سورة الشعراء ـ : **﴿نزل به الروح الأمين ـ على قلبك لتكون من المنذرين ـ بلسان عربى مبين﴾** فقوله عزّ وجلّ : **﴿بلسان عربى مبين﴾** تؤكد نزوله لفظاً ومعنى من عند الله على قلب الرسول عليه الصلاة والسلام .

كما أن الآيات التى جاءت فى سورة القيامة تؤكد أن القرآن نزل لفظاً ومعنى من عند الله : **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ـ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ـ ثم إن علينا بيانه﴾** فالله

عزّ وجلّ أقرأه جبريل ، وجبريل أقرأه محمداً ، وامره الله فى هذه الآيات أن يتبع قراءة جبريل نصاً وحرفاً ـ وأوصاه الا يستعجل فى حفظه خوف السهو والنسيان ، فقد تكفل عزّ وجلّ بجمعه فى صدره كما هو ، كما تكفل فى سورة الحجر بحفظه من التحريف والتبديل : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون**﴾ .

وقد جاء فى الحديث الصحيح : إن جبريل عليه السلام كان يذاكر الرسول عليه الصلاة والسلام كل عام القرآن مرة واحدة ، وفى العام الذى توفى فيه ذاكره مرتين .

● فكيف يقال أن القرآن أنزل عليه بالمعنى وأنه عبر عنه بألفاظ من عنده ؟

إنه لا شك رأى باطل ، ومذهب مردود ، ويحسن بالكتاب والمؤلفين العصريين ألّا يوردوه فى مقالاتهم ومؤلفاتهم .. خشية من فتنة الشباب الذى يفتقد بحكم تطورات العصر وأحداثه وهمومه ومشاغله ـ الدقة والأناة فى التفكير والتدبر والاقتناع بالصائب من الآراء .

كلمات القرآن كلها عربية

كتب كاتب فاضل فى إحدى صحفنا المحلية تحت عنوان (فى القرآن الكريم خمسون لغة .. وأكثر من مائة كلمة غير عربية) يروى أقوال بعض المشتغلين بالدراسات القرآنية قديماً وحديثاً .. حول وجود كلمات غير عربية فى القرآن الكريم[1]

(١) الأستاذ محمد عبد الله مليبارى فى جريدة (الندوة) ١٣٩٧/١٢/٢٥هـ .

أما قوله يوجد فى القرآن خمسون لغة ، فهو يعنى ـ كما نعتقد ـ خمسين لهجة عربية . لأن القبائل العربية وإن كانت تجمعها اللغة الأم إلّا أنها تختلف فى لهجاتها وبعض معانى كلماتها .. مما نفضل أن نسميه اختلاف لهجة لا اختلاف لغة . لأن لغة العرب واحدة ، والقبائل العربية تتفاهم فيما بينها بهذه اللغة الواحدة ، وتعرف كل واحدة منها لهجة القبيلة الأخرى .

وقد نقل الكاتب الفاضل قول الامام السيوطى : (إن فى القرآن ثمانى لغات غير عربية استعملت ألفاظ منها فى كتاب الله ، وهى ألفاظ معربة ، وهذه اللغات هى الفارسية ، والرومية ، والنبطية ، والحبشية ، والبربرية ، والسريانية ، والقبطية) .

ثم ذكر الكاتب الكلمات غير العربية التى وردت فى آيات القرآن ـ ومنها طوبى ـ وأسفار ـ وحرم ـ وأليم ـ والصراط ـ وكنز ـ وقنطار ـ ودينار ـ ومسك ـ والأب ـ ومتكئا ـ وقسورة ـ ومشكاة ـ ومصرهن ـ والرحمن الخ .

ويرى الكاتب الفاضل : أن وجود هذه الألفاظ غير العربية فى القرآن دليل على عالمية العرب واختلاطهم بالحضارات التى عاصروها . وأنَّ القرآن لم يستعمل هذه الألفاظ غير العربية إلّا بعد أن تداولتها ألسنة العرب وفهموها .

* * *

ونحن نرى غير ما رأى الكاتب الفاضل .. وغير ما زعمه الزاعمون القدامى والمحدثون من وجود كلمات غير عربية فى القرآن الكريم ..

وقد سبق لنا أن رددنا على الأستاذ محمد صبيح فى كتابه : (عن القرآن) حين قال : إن كلمة (أب) معناها : فاكهة كما يرى الأستاذ (شادة) فى اللغة الحبشية .. أى أن الآية ذكرت الكلمة العربية وما يرادفها بالحبشية تأكيداً ، وتثبيتاً للمعنى ..

رددنا عليه وعلى أستاذه (شادة) بأن (أب) نوع من النبات ـ كما يقول اللورد أفيرى فى كتابه : (محاسن الطبيعة) وهو مطعوم الحيوانات كما يقول الأستاذ طنطاوى جوهرى فى تفسيره المعروف .

وتؤكد هذا المعنى كتب اللغة كالقاموس والمصباح والمختار ، وتضيف بعضها بأن (الأب) مرعى أو كلأ ترعاه البهائم .

وإذا كان (الأب) فى اللغة الحبشية يعنى الفاكهة .. فهذا لا يعنى بالضرورة أن فى القرآن ألفاظاً غير عربية ، وإن القرآن كرر كلمة فاكهة بكلمة (أب) ليكون تعبيره باللغتين العربية والحبشية من قبيل الترادف . لأن هذا الزعم الأخير والفهم الغبى يناقض بلاغة القرآن وإيجازه وإعجازه ..

وذهب الأستاذ صبيح مرة أخرى المذهب نفسه فى كلمة (اللهو) فقال : إنها بلغة أهل اليمن تعنى (المرأة) فى قوله تعالى : ﴿**اتخذوا دينهم لهواً ولعباً**﴾ وهو يريد بهذا التفسير والزعم بأن فى القرآن ألفاظاً غير عربية : تنزيه القرآن من الترادف فى ألفاظه .. لأن اللعب واللهو لفظتان مترادفتان .

وبذلك يرتكب خطأين : الزعم بأن فى القرآن ألفاظاً أعجمية وأن فى كلماته المعطوفة ترادفاً لا يليق ببلاغته وإعجازه .

أما الترادف فى كلمتى اللعب واللهو ، أو الفاكهة والأب ـ فغير

واقع ، وغير صحيح . وقد رأينا أن الفاكهة مطعوم الإنسان والأب مطعوم الحيوان كما قرر ذلك علماء النبات وعلماء اللغة معاً .

واللعب واللهو مختلفان أيضاً وليسا مترادفين كما توهم الأستاذ صبيع فاللعب يأتى دائماً للعبث والتطريب والتضحيك والسخرية والهزل ، وأمثلة ذلك محسوسة فى الواقع البشرى لا تحتاج إلى ذكر أو سرد .

أما اللهو فهو ما يلهى صاحبه عن المكارم والمحاسن ، وقد يكون سخرية وهزلاً وعبثاً وإضاعة للوقت والمال ، وقد يكون انشغالاً بالتجارة الدائبة والكسب الناصب عن أعمال البر والعبادة .. أو انصرافاً إلى النساء والبنين عن الخدمات الوطنية والاجتماعية ..

وعلى ذلك يكون معنى (اللهو) الانشغال .. سواء أكان بشاغل مسعد أو مشق ، أو شاغل مضحك أم مبكى .

* * *

وزعم أيضاً أن كلمة (آية) وكلمة (سورة) عبريتان نقلا عن مصحف (سيل) وهما كلمتان عربيتان لا شك فى أصالتهما العربية .

فإن معاجم اللغة تكاد تجمع على أن (الآية) معناها : العلامة ــ أو الشخص ــ أو العبرة . وآيات القرآن : علامات ، وأشخاص ، وعبر ، هى علامات لما فيها من معالم الحق والخير والجمال . وهى أشخاص أو شخوص لأن معانيها المعجزة شواخص للذهن المتأمل المتدبر المتفكر ، كذلك هى عبر ومواعظ لما فيها من قصص وأمثال ينتفع بها أولو الألباب .

كذلك تكاد تجمع معاجم اللغة على أن (السورة) معناها

المنزلة .. وسور القرآن منازل ومقامات .. مقام بعد مقام ، ومرحلة بعد مرحلة من الوحى الآلهى الرفيع البديع ..

أو هى مخففة من (سؤرة) بمعنى البقية : أى أن كل سورة من القرآن بقية من الوحى الإلهى الذى كان يتنزل شيئاً فشيئاً ..

أو هى من (السور) لأن كل سورة محيطة بآيات معدودة تبتدىء ببداية خاصة وتنتهى بنهاية مماثلة .

* * *

وبالرجوع إلى (الرسالة) للأمام الشافعى ، ومقدمة تفسير الامام الطبرى ، وكتاب (التقريب) للقاضى أبى بكر بن الطيب ، وكتاب (البرهان) فى علوم القرآن للإمام الزركشى ، وإلى آراء بعض أئمة اللغة العربية كأبى عبيد ، وأبى الحسن بن فارس نجدهم جميعاً يتفقون على أنه ليس فى القرآن غير العربية .. لأن الله تبارك وتعالى جعله معجزة لنبيه ﷺ ، ودلالة قاطعة على صدقه ، وليتحدى به العرب العرباء ، ويحاضر البلغاء والفصحاء والشعراء بآياته المعجزات .

وبين أيدينا وأعيننا وأسماعنا القرآن نفسه يقرر جازماً حازماً أصالته العربية فى كل ألفاظه وجملة وآياته وسوره وحروفه :

- **﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾** .
- **﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾** .
- **﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾** .
- **﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً﴾** .
- **﴿لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين﴾** .

● ﴿لسان الذى يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ .

نعود إلى مزاعم القائلين بوجود ألفاظ أعجمية فى القرآن الكريم ، ونستفتح بكلمة للإمام الشافعى رحمه الله فى كتابه (الرسالة) يقول فيها : (ليس فى كتاب الله شىء إلّا بلسان العرب .. وهو أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا يحيط بجميع علمه أحد) .

وقد أشرنا إلى بعض العلماء الأقدمين الباحثين فى علوم القرآن الذين نفوا أيضاً وجود كلمات غير عربية فى القرآن الكريم كالإمام الطبرى والقاضى أبى بكر بن الطيب ، والإمام الزركشى ، وأبى عبيد وابن فارس .

ونضيف اليوم : أنهم لا يمنعون وجود أعلام أعجمية فى القرآن كأسماء بعض الأنبياء : نوح ولوط واسرائيل .

ونقول : لو أن العرب العرباء الذين استمعوا إلى القرآن .. وجدوا فيه حرفاً واحداً من غير العربية لكان لهم حجة فى الطعن عليه ، ولقالوا : إن محمداً يخاطبنا بغير حروفنا ، أو بغير ما نعرف من كلام . ولكنهم افتقدوا هذه الحجة فلم يجدوا أمامهم إلّا أن يزعموا أن القرآن : سحر أو شعر أو أنه أساطير الأولين .

ولا يمنع كون القرآن عربياً خالصاً : أن تكون هناك لفظة أو كلمة منه معروفة أو مستعملة عند أمة غير عربية أو متداولة بين أفرادها وتكون بذلك مشتركة بين العربية وغيرها ، أو مقتبسة أساساً من العربية ! . كما هو مشاهد وملحوظ فى لغات الفرس والهنود والترك من اشتمالها على كلمات عربية أصيلة أصبحت فى تلك

اللغات الأعجمية أصيلة فيها أيضاً .

* * *

ولا ندرى كيف يزعم هؤلاء أن كلمة (أليم) زنجية ـ وكلمة (بعير) عبرية ـ وكلمة (ناشئة) حبشية ـ مع أن كلا منها أصيل فى اللغة العربية ، وخاصة الكلمات ذات الاشتقاق الواسع مثل (أليم) فمنها الاسم (الألم) والفعل (يألم) وقد جاء فى القرآن قوله عزّ وجلّ : ﴿**يألمون كما تألمون**﴾ ..

ومثلها كلمة (ناشئة) فقد ورد فى القرآن قوله تبارك وتعالى : ﴿**إنا أنشأناهنّ إنشاءً ..**﴾ وقوله تعالى : ﴿**وننشئكم فيما لا تعلمون**﴾ وقوله : ﴿**ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون**﴾ الخ .

وكذلك لفظة (حرم) التى زعموا أنها حبشية . وهى عربية أصيلة ذات اشتقاق واسع ، فقد أورد القرآن : ﴿**لم تحرم ما أحل الله لك**﴾ و ﴿**يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً**﴾ و ﴿**وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون**﴾ الخ ..

وكلمة (الرحمن) التى زعموا أنها غير عربية واشتقاقاتها المتعددة تدل على أصالتها فى لغة العرب فمنها : (رحيم) و (الرحمة) : ﴿**ورحمتى وسعت كل شىء**﴾ و ﴿**رب اغفر وارحم**﴾ .

ومن العجائب أيضاً قولهم : إن قوله عزّ وجلّ ﴿**يوماً يجعل الولدان شيباً .. السماء منفطر به**﴾ يعنى أن السماء ممتلئة به باللغة الحبشية .

ولا أدرى كيف ينكرون مادة (فطر) ومشتقاتها الأصيلة فى اللغة العربية ؟ ثم هل تمتلىء السماء بيوم القيامة الهائل ؟ وما صورة هذا

الامتلاء؟ أم المعنى الصحيح أن السماء تنشق وتطوى كطى السجل للكتب.. كما نص القرآن نفسه فى سورة الانفطار : ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾ .

ولا يقف هؤلاء الزاعمون أن فى القرآن ألفاظاً أعجمية عند حد - بل يتمادون فى أفهامهم العجيبة الغريبة حتى انهم ليتناقضون فى تفسير اللفظة مع المعنى المفهوم من سياق الآية..

وذلك كقولهم : إن (سجداً) من سورة مريم فى قوله عزّ وجلّ : ﴿**خروا سجداً وبكيا**﴾ معناها بالسريانية مقنعى رؤوسهم . واقناع الرأس رفعه.. كما جاء فى سورة إبراهيم ﴿**مهطعين مقنعى رؤوسهم . لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**﴾ فكيف يكون معنى (سجدا) هنا بمعنى رافعى رؤوسهم إلى فوق؟ وأول الآية يصفهم بأنهم (خروا) أى هبطوا ونزلوا ، وآخرها وصفهم بأنهم كانوا (بكياً).. فهل يهبطون إلى تحت ويبكون وهم رافعوا الرؤوس؟

ومن عجائبهم وغرائب تفكيرهم وتفسيرهم قولهم : إن (سفرة) من سورة (عبس) : معناها بالنبطية (قراء) - ولفظ (سفر) أصيل فى اللغة العربية ، واشتقاقاته الفعلية والاسمية متعددة ومعروفة .

ووصف الملائكة بأنهم (سفرة) بالمعنى العربى أصح وأفصح.. فهم سفراء بين الله عزّ وجلّ وبين رسله وخلقه أيضاً.. بينه وبين رسله بالوحى وبينه وبين خلقه بالتدبير والحفظ وتسجيل الأعمال .

ولأن سياق الآيات يعنى ذلك : ﴿**كلا إنها تذكرة - فمن شاء ذكره - فى صحف مكرمة - مرفوعة مطهرة - بأيدى سفرة - كرام بررة**﴾ .

أى أن القرآن الكريم منزّل من عند الله عزّ وجلّ مع سفراء أمناء .. لا يبدلونه ولا يحرفونه فأين معنى (سفراء) من معنى (قراء) !

وبعد .. فهذا ما أحببنا أن نعقب به على رأى الكاتب الفاضل حول مزاعم القائلين بوجود ألفاظ أعجمية فى القرآن الكريم .

ترجمة القرآن حرفياً غير ممكنة !

حول ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى يدور حوار دائم بين الطلاب المبتعثين لاتمام دراستهم خارج المملكة ، لأنهم يرون إخوانهم المسلمين من الأمريكيين والأوربيين لا يستطيعون أن يقرأوا القرآن ويدركوا إعجاز آياته ، ويفهموا معانيها الروائع .. كما يسعد بذلك من يعرف اللغة العربية .

ولذلك يطالبون بترجمة القرآن الكريم ، ويدعون إلى ذلك بالحاح .. لأنهم يحبون بصدق أن يدرك المسلمون من غير العرب بلاغة القرآن الكريم وروعة ألفاظه ، وجمال معانيه ، وعدالة أحكامه ، وعظمة مبادئه .

وقد سألنى أحد هؤلاء الطلاب قائلاً : أثناء حوارى مع زملائى حول المطالبة بترجمة القرآن الكريم ذكر بعضهم أن العلماء منعوا الترجمة وحرموها ، واباحوا ترجمة التفسير والمعانى فقط .. على أن تُسمَّى الترجمة : (تفسير القرآن) أو (بيان المعانى القرآنية) ولا يطلق عليها إسم (المصحف الشريف ـ أو القرآن الكريم) فما هو رأيكم فى ذلك ! .

● قلت للطالب السائل : هذا صحيح .. فقد أدرك علماؤنا المخلصون الصادقون : أن الترجمة الحرفية للقرآن لا تتأتى .. لأن أسلوب القرآن فى أعلى قمم البلاغة العربية ، ومن صورها الاستعارة والمجاز ، والكناية ، والمعنى المشترك ، والتضمين والحذف والإيجاز ، والمطلق والمقيد ، والخاص والعام ، الخ .....

ونضرب لذلك بعض الأمثلة .. قوله عزّ وجلّ : ﴿**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**﴾[1] كيف تترجم كلمة (لباس) ؟ إنها لو ترجمت حرفياً لا تؤدى المعنى المقصود منها .. وسيكون البديل اللفظى عنها فى اللغة الأخرى ما معناه باللغة العربية : (الثوب) أو الرداء .. أو أى لفظة أخرى تفيد المعنى المتعارف عليه بين الناس .

وهو غير مقصود من الآية ـ كما أسلفنا ـ وإنما استعار القرآن لفظة (لباس) للتعبير عن الصلة الطبيعية بين الرجل والمرأة لأن كلا منهما يشتمل على الآخر ويستره عن الحرام .. كما تستر الثيابُ عورات الأجسام .

ولا تجد فى لغة غير العربية هذا المعنى البلاغى فى كلمة واحدة لتضعها بديلاً عن كلمة (لباس) وإنما تحتاج إلى تفسير المقصود منها بجملة تتعدد كلماتها إلى نحو العشر أو تزيد .

ومثلها كلمة (المسّ) فى قوله عزّ وجلّ : ﴿**يآ أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ..**﴾[2] فإن معناه : الدخول بالزوجة أى

---

(١) سورة البقرة ١٨٧ .

(٢) سورة الأحزاب ٤٩ .

مباشرتها ، وليس المقصود منه مجرد المعنى اللغوى أى اللمس باليد ، أو أى جزء من الجسد .

كذلك كلمة (حرث) فى هذه الآية : ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم** ..﴾[1] فالحرث فى اللغة الأرض التى تعد للزراعة ، وقد أطلقت الكلمة هنا من قبيل المجاز أو تشبيه الزوجة بالأرض وتشبيه اتصال الرجل بها من أجل الولد بزرعها .. تماماً كما تحرث الأرض وتزرع لتنبت الثمار من غذاء وفاكهة للإنسان والحيوان .

ومثل آخر .. قوله عزّ وجلّ : ﴿**فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾[2] لا تؤدى ترجمة الآية الحرفية إلى المراد من الخيط الأبيض والخيط الأسود .

والأمثلة على عدم إمكانية الترجمة الحرفية لألفاظ القرآن الكريم وآياته ـ لا تحصى فى حديث أو حتى فى كتاب ، وإذن فلا بأس أن تترجم تفاسيره ومعانيه ، ولا تسمى مصحفاً ولا قرآناً .. لأنها ليست من كلام الله الحرفى الذى حفظه عزّ وجلّ من التحريف والتبديل : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون**﴾ .

حول كتابة المصحف ..
بالحروف اللاتينية

نشرت «المسلمون» يوم ١٢/٤/١٤٠٧هـ ـ ١٣/١٢/١٩٨٦م خبراً عن تأليف لجنة بجامعة الأزهر لطبع المصحف ورسم كلماته

---

(١) سورة البقرة ٢٢٣ .   (٢) سورة البقرة ١٨٧ .

بالحروف اللاتينية لمساعدة المسلمين غير الناطقين بالعربية على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة .. وجاء ـ فى الخبر ـ ان الطبعة الجديدة سوف تشتمل كل صفحة منها على ثلاثة أقسام الأولى تكتب فيه السورة باللغة العربية بالرسم العثمانى ـ والقسم الثانى : خاص بالكتابة الصوتية أى تمثيل الصوت العربى بالحروف اللاتينية ـ والقسم الأخير لترجمة معانى القرآن الكريم باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية كل على حدة» .

هذا الخبر .. عقب عليه الدكتور محمد أحمد أبوفراخ بمجلة «الدعوة» السعودية الصادرة يوم ١٤٠٧/٥/٥ ـ ١٩٨٧/١/٥ معترضاً على فكرة كتابة المصحف بالحروف اللاتينية ... حيث قال : إن هذا أمر ممنوع جملة وتفصيلاً .. علماً وعملاً ، لا يمكن تحقيقه إلّا إذا وجدت حروف لاتينية جديدة تنطبق على الحروف العربية وهو أمر غير ممكن لأن العربية تمتاز بحروف لا توجد فى اللغات الأخرى مثل (الضاد) و (العين) (والغين) و (القاف) كما لا يمكن تحقيق الغنة ، والاخفاء ، والادغام ، والمدّ اللازم ، والاقلاب الخ .

ويضيف الدكتور أبوفراخ : إن العلماء قد منعوا كتابة المصحف بغير الرسم العثمانى .. فكيف يجيز علماء اليوم كتابة المصحف بغير الحروف العربية ـ أى بالحروف اللاتينية وغيرها !

ثم أشار إلى أن هناك كلمات فى المصحف تكتب على غير الاملاء العادى مثل (الصلوة) و (الربوا) و (الحيوة) و (البلوءا) و (رحمت)

بالتاء المفتوحة ـ فكيف تكتب بالحروف اللاتينية ـ كما أن الحروف المقطوعة فى أوائل بعض الصور مثل (الم ـ والر ـ والمر) كيف تكتب ؟ هل تكتب كما كتبها عبد الله يوسف : (A-L-M) ؟ وكيف تكتب (ص) ؟ هل تكتب (SAD) وهى بمعنى حزين ؟ وماذا تفعل اللجنة المؤلفة لأجل هذا الأمر فى بعض (الكلمات القرآنية التى تقرأ على وجهين مثل (مالك ـ ويخادعون ـ والرياح) وغيرها ؟

ثم يؤكد الدكتور أبوفراخ : أَنَّ هذا العمل سيتيح الفرصة لأعداء الاسلام للمزيد من تحريف القرآن الكريم ـ ويرى أن يستبدل هذا المشروع بمحاولات جادة لتعليم العربية لغير الناطقين بها ليسهل عليهم قراءة القرآن باللغة العربية ـ ثم يذكّر اللجنة بما فعله أتاتورك حين استبدل الحروف اللاتينية ـ فى اللغة التركية ـ بالحروف العربية ، وتأثير ذلك على الأتراك فى كتابتهم وكلامهم وثقافتهم الاسلامية ، وكذلك ما حدث فى جزيرة الملايو من احلال الملايوية محل العربية بين المسلمين هناك .

● ولا شك أن اعتراض الدكتور أبوفراخ وجيه من بعض الوجوه . ومع ذلك نرى أنه لا بد من تيسير قراءة القرآن على غير الناطقين باللغة العربية .. ممن يدخلون فى الاسلام قبل أن يتعلموها ، فهؤلاء محتاجون إلى قراءة قصار السور ـ على الأقل ـ ليقرأوها فى صلواتهم الخمس كل يوم .

ولذلك أرى أن يقتصر عمل اللجنة على كتابة «جزء عم» وحده بالحروف اللاتينية على أن يوضع فى جانب الحرف اللاتينى النص

القرآنى بالحرف العربى .. من أجل تيسير قراءة سور الصلاة على معتنقى الاسلام من الشعوب غير العربية الذين نلاحظ تزايد اعدادهم خلال السنوات العشر الأخيرة .

أما ما ذكره الدكتور أبوفراخ من مخاوف أخرى مثل تعذر أو تعسر كتابة الحروف المقطعة فى أوائل السور فأرى أن ذلك ليس عسيراً ، وهى يجب أن تكتب مثل منطوقها ، لا على طريقة عبد الله يوسف (A.L.M) وإنما تكتب هكذا (Alif, Lam, Meem) ومثلها جميع الأحرف الأخرى مثل (ص) و (ق) وغير مهم أن لا نجد فى اللغة اللاتينية حروفاً تماثلها فى النطق تماماً .. لأن الأعجمى نفسه لا ينطقها ولو كتبت بالحروف العربية إلّا مثل نطقها بالحرف اللاتينى .. ومثلها الضاد والطاء فهو ينطقها «دالاً» و «تاء» وقد ـ تعود لسانه على حروف لغته الأصلية .

وكذلك كلمات (الصلاة) و (الربا) واشباهها تكتب حسب نطقها لا حسب الإملاء العثمانى ـ هكذا : (Assalat) و (Arriba)

ونلاحظ هنا : أن قول الدكتور أبو فراخ بمنع العلماء كتابة المصحف بغير الرسم العثمانى ليس مطلقاً ـ أولاً : لأن الرسم العثمانى ليس أمراً توقيفيا أمر به الرسول ﷺ ، وإنما كان هو المستوى الممكن الموجود من الاملاء أو الكتابة فى عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه .

وثانياً : لأن المنع من تغيير الرسم العثمانى كان ولا يزال من قبيل «سد الذريعة» أى تخوفاً من جراءة الأجيال التالية من تغيير رسم

القرآن كلما بدت لبعضهم رغبة فى التحسين والتسهيل .

وثالثاً : لاختلاف املاء الكلمة الواحدة فى رسم المصحف العثمانى بين سورة وسورة لاختلاف المستوى الكتابى للخطاطين ـ مثل كلمات (الأيكة) و (الجنة) و (نبأ) و (الإصلاح) إلخ .

ورابعاً : لأن بعض المانعين ـ من علماء السلف ـ أرادوا اقتفاء أثر الصحابة رضى الله عنهم على سبيل التبريك كما يقول ابن خلدون .

خامساً : نقل عن الأئمة مالك والعز بن عبد السلام والقاضى أبى بكر وابن خلدون اجازتهم كتابة المصحف للصغار بالاملاء العادى ليتمكنوا من قراءته وحفظه .

وقد بحثت هذه المسألة بتفصيل وسعة فى كتابى «مع المفسرين والكتاب» فى طبعته الأولى سنة ١٣٧٣ والثانية سنة ١٣٩٤هـ .

ملاحظات على قراء القرآن

أعنى بالقراء حفظة القرآن الكريم الذين يرتلونه فى الاحتفالات السارة والحزينة ـ أقصد المآتم ـ وإن كان ترتيلهم للقرآن الآن اتسع وازداد انتشاراً بواسطة الاذاعات والتلفازات ، وبخاصة إذاعات القرآن المخصصة له .

وهؤلاء القراء جدراء بالإجلال والمودة والحب والتعظيم ، لأنهم حملة كتاب الله المجيد . وقد جاء فى التوجيه النبوى : (إن من إجلال الله : إجلال ذى الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى

فيه ولا الجافى عنه ، والإمام المقسط)[1] أو كما قال ﷺ .

والأحاديث النبوية الواردة فى تعظيم حملة القرآن كثيرة لا تتسع لها هذه الكلمة الوجيزة ، ونكتفى بواحد منها غير ما أسلفنا ، وهو قوله ﷺ : «**إن لله أهلين من الناس ـ قالوا : من هم يا رسول الله قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصَّته**» .

فحسب حملة القرآن أنهم أهل الله وخاصّته ، وحسبهم كذلك أن الله جعل من إجلاله تبارك وتعالى إجلالهم لأنهم حفظة كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد أردت بهذا التقديم : أن أقول لحملة القرآن الكريم ـ وأعنى القراء فى مقدمتهم ـ أن يهتموا بمعانى الآيات التى يرتلونها ، واتصال بعضها ببعض بحيث يجب الوقف أحياناً ، كما يجب الوصل أحياناً أخرى .. فالقرآن الكريم ليس مجرد آيات تقرأ كيفما اتفقت القراءة ، وحتى لو ختمت الآية يجب أن نلاحظ أن بداية الآية التالية هل ترتبط بها أم لا ترتبط ؟

فهناك آيات عديدة ختمت حسب الترتيب أو الترقيم وحسب نظام الآيات فى السورة ، ولكنها من حيث المعنى مازالت مرتبطة بالآية التى تليها ارتباطاً قوياً بحيث لا يجوز الوقف فى ختام الآية السابقة بل يجب وصل الختام بالبداية ـ كقوله تبارك وتعالى : ﴿**وهم من بعد غلبهم سيغلبون**﴾ وهو ختام الآية الثالثة من سورة الروم لكنه موصول بالآية الرابعة : ﴿**فى بضع سنين** ..﴾ أى أن

(١) رواه أحمد والدارمى .

غلبة الروم ستكون خلال بضع سنوات قادمة ـ ثم يأتى تمام الآية الرابعة : ﴿.. **لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون** ..﴾ وهذا الختام متصل أيضاً بالآية التالية : ﴿**بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم**﴾ .

وقد لاحظت قارئاً كبيراً مشهوراً[1] ـ يقف فى تلاوته لبعض آيات من سورة يوسف ، أى يختم تلاوته بقوله «صدق الله العظيم» بالآية : ﴿**ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدى كيد الخائنين**﴾ وكان حقاً عليه أن يصلها بالآية التالية لها : ﴿**وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلّا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم**﴾ لأن هذه الآية من تمام كلام إمرأة العزيز ، فكان ينبغى وصلها بالآية السابقة لها .. لأن الاستئناف بآية : ﴿**وما أبرىء نفسى** ..﴾ فى تلاوة أخرى يجعل الآية لا مفهوم لها ، أو غير مذكور من قالها أو من حكيت عنه .

ولعل الذى أوقع هذا القارىء الكبير فى هذا الخطأ ، كما أوقع فيه بعض أئمة المساجد عندما يقرأون سورة يوسف فى صلاة التراويح فى رمضان ـ هو الخطأ الواقع فى تحزيب المصحف .. فتحزيب المصحف جعل آية ﴿**وما أبرىء نفسى**﴾ بداية الحزب الخامس والعشرين وبداية الجزء الثالث عشر ، وهو خطأ كغيره من أخطاء التحزيب المتعددة . وكان الصواب أن تكون بداية الحزب (٢٥) والجزء (١٣) هى الآية : ﴿**وقال الملك ائتونى به أستخلصه**

(١) هو الشيخ مصطفى اسماعيل رحمه الله .

لنفسى ..﴾ لأنها بداية فصل جديد من قصة يوسف عليه السلام .

وهناك ملاحظة مهمة على أحد القراء المشهورين ، وهو خلف لسلف مشهور أيضاً ، أى أنه إبن قارئ كبير معروف ـ رحمه الله ـ[1] .

وهى ـ أى الملاحظة ـ إنه عندما يقرأ سورة الرحمن يبدأ هكذا : ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن .**﴾ ويقف ، أى إنه يصل أول السورة ـ لفظة «الرحمن» وحدها مع البسملة ثم يستأنف : ﴿**علَّم القرآن ..**﴾ وفى هذا تخليط وتغليط ..

تخليط لأنه كرَّر لفظ «الرحمن» بعد الرحمن الرحيم .. وتغليط للعامة وللأعاجم فقد يتوهمون إن هذه بسملة جديدة يتكرر فيها إسم «الرحمن» ثم لا بدَّ لاستقامة معنى الآية أن نصل الآية الأولى من سورة الرحمن وهى : (الرحمن) بالآية التالية : ﴿**علَّم القرآن**﴾ لأنهما تكوِّنان جملة واحدة من مبتدأ و خبر ، أو فاعلٍ وفعلٍ ومفعول به . . وهما من الآيات التى أسلفنا القول من ضرورة وصلها فى سورة الروم وغيرها .

كما لاحظت الشيخ محمد محمود عوض يقرأ أوائل سورة الروم حيث يفصل ما حقه الوصل بين آيتين ـ وليتضح خطأ التلاوة نذكر الآيات الأولى من سورة الروم وهى قوله عزّ وجلّ : ﴿**ألم (١) غلبت الروم (٢) فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤)**

---

(١) هو القارئ الشيخ محمود صديق المنشاوى .

بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم(٥)﴾ .

والملاحظ على القارىء أنه يقف وقفة طويلة على ختام الآية الثالثة : (سيغلبون) ثم يستأنف : **﴿فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ..﴾** وبذلك يجعل الظرف : **﴿فى بضع سنين﴾** تابعاً لما بعده فى حين أنه ظرف لما قبله : (سيغلبون) وبهذا ينحرف المعنى انحرافاً خاطئاً خطأ كبيراً إذ يحصر أمر الله الأزلى الأبدى المعبِّر عنه بقوله : **﴿من قبل ومن بعد﴾** يحصره **﴿فى بضع سنين﴾** مع أن بضع السنين هذه هى ظرف لما قبلها : (سيغلبون) أى أن الروم بعد هزيمتهم أمام فارس سينتصرون عليها خلال بضع سنين . وقد تمت هذه المعجزة القرآنية .. فى قصة طويلة لا يتسع المجال لسردها .

والذى أهدف إليه من كتابة هذه الملاحظة أن إذاعة القرآن الكريم تستطيع إصلاح هذا الخطأ فى هذه التلاوة .. وذلك بإعادة التسجيل مع قطع الوقفة التى وقفها القارىء على جملة (سيغلبون) ووصلها بجملة (بضع سنين) ثم يقف التسجيل وقفة بسيطة يواصل بعدها : (لله الأمر من قبل ومن بعد ..) الآية ..

ملاحظات على تحزيب المصحف

إن قراء القرآن ـ أى حفظته بالدرجة الأولى ـ يجب أن لا يكتفوا بحفظه أو تلاوته ، وإنما ينبغى أن يتدبروا معانيه ، واتصال عباراته وجمله ، ووحدة موضوعاته ومقاطعه ـ دون التزام بنظام التحزيب فيه . لأن التحزيب ـ كما أسلفت ـ فيه أخطاء ، وهو لا يقوم على قاعدة مسلَّمة .

ونضرب الأمثال على ذلك ، ونكرّر التذكير فى البداية بما لاحظناه آنفاً فى سورة يوسف إذ كان الواجب أن يبدأ الحزب الخامس والعشرون بالآية : ﴿**قال الملك** ..﴾ وهذه بعض الأمثلة :

● أولاً : بداية الحزب الرابع من سورة البقرة هو الآية : ﴿**واذكروا الله فى أيام معدودات** ..﴾ وكان ينبغى أن تكون ختام ثلاثة أرباع الحزب لأنها متصلة بآيات الحج وموضوعه ، وتكون الآية التالية : ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا** ..﴾ هى بداية الحزب الرابع .

● ثانياً : بداية الحزب التاسع من سورة النساء هو الآية : ﴿**والمحصنات من النساء** ..﴾ وكان ينبغى أن تكون ختام ثلاثة أرباع الحزب لأنها متصلة اتصالاً لفظياً ومعنوياً بالآية : ﴿**حُرِّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم** ..﴾ وآية المحصنات بل المحصنات أنفسهن معطوفات على المحرَّمات فى الآية السابقة ـ فيجب الفصل ، ثم تكون بداية الحزب التاسع : ﴿**ومن لم يستطع منكم طولاً** ..﴾ ومن الممكن أيضاً أن نرجع ببداية الحزب التاسع إلى آية : ﴿**حرِّمت عليكم** ..﴾ لئلا تطول المسافة بين أرباع الحزب الواحد .. فإما أن نتقدم آية أو نتأخر آية من أجل ارتباط المعانى ، وإدراك المقاصد القرآنية ، وعدم الفصل بين المعطوفات اللفظية والمعنوية .

ثالثاً : يبدأ الحزب الواحد والعشرون من الآية : ﴿**إنما السبيل على الذين** يستأذنونك..﴾ وكان ينبغى أن يبدأ من الآية : ﴿**ليس على الضعفاء ولا على المرضى** ..﴾ وهى سابقة على الآية الأولى ..

والله عز وجل خلال الآيات الثلاث ينفى الحرج واللوم عن أصحاب الأعذار المذكورين فى الآيتين (٩١ و ٩٢) ويثبتها فى حق الذين يستأذنون الرسول عليه الصلاة والسلام للتخلف عن الجهاد مع أنهم قادرون عليه فى الآية (٩٣) .. فالفصل بين نفى الحرج على طائفة وإثباته على طائفة أخرى لا يصح بحال من الأحوال .

وهنالك خلال أحزاب المصحف البالغة ستين حزباً أمثلة عديدة من عدم التنظيم والتوفيق بين المواقف بحيث يستقيم اللفظ والمعنى معاً لقارىء القرآن حين يبدأ أو حين ينتهى .

ومن الملاحظ على تحزيب المصحف أنه لا يخضع لعدد الآيات أو لعدد الصفحات ، وعدد الصفحات أضبط وأصح لأن مساحة الصفحة واحدة فى المصحف ، ولكن الآيات تختلف طولاً وقصراً .. فبعض الآيات كلمة واحدة كالحروف التى تبدأ بها بعض السور (كطه) و (يس) و (ألم) السجدة وأمثالها ، وبعض الآيات كلمتان كالآية (عذراً أو نذراً) من المرسلات ومثلها من السورة نفسها : (ليوم الفصل) وبعض الآيات تستغرق صفحة كاملة كآية الدين فى سورة البقرة ، أو نصف صفحة كآية الكرسى .

ولهذا لا يستقيم التحزيب بعدد الآيات ، وإنما يستقيم بعدد الصفحات لأن الصفحات متساوية ـ كما أسلفنا ـ

وقد لاحظنا أن أرباع الحزب قد يستغرق بعضها ثلاث صفحات من المصحف وبعضها صفحتين ونصف ، وبعضها صفحتين ، وبعضها صفحة ونصف ..

ولست أدعو إلى تغيير تحزيب المصحف .. وإنما أدعوا القراء

الا يتقيدوا بهذا التحزيب فى قراءتهم ، وإنما عليهم أن يلاحظوا ارتباط آخر ربع الحزب بالربع التالى من حيث المعنى وحده أو المعنى واللفظ معاً ، لأن هذا الفصل لا يفعله المتكلم العادى ـ أى إنسان ـ حين يتحدث أو يخطب .. فكيف نرضاه لكلام الله ، الذى هو أفضل الكلام وأجمله ، وأبلغه وأصدقه ؟

الفصل الرابع

هوامش وتعقيبات

- حول التفسير والمفسرين .
- حول الأنبياء والرسل .
- حول الحتمية التاريخية .
- «ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا» ..
- «حتى يعطوا الجزية عن يد» ..
- حول قتل الإنسان للانسان ..
- أكلة الربا يوم القيامة
- الطفولة والشيخوخة فى تقدير القرآن .
- الملائكة والتكرار فى القرآن .

حول التفسير والمفسرين

قرأت فى مجلة (الدارة) العدد ٣ الصادر فى شوال ١٣٩٧ مقالاً للأخ عبدالله العسكر عن «ذى القرنين .. بين الخبر القرآنى والواقع التأريخى» .

وقد بذل الكاتب الفاضل جهداً مشكوراً لتحقيق شخصية ذى القرنين وما قاله عنه المؤرخون والمفسرون ، واختلاف اسمه وموطنه بين قول وقول أو رأى ورأى . ولم ينته البحث فى أمره ، فللحديث بقية فى عدد قادم ، أو أعداد قادمة ..

وقد لفت نظرى فى المقالة جملتان للكاتب الفاضل ـ إحداهما قوله : (هذه حالة المفسرين .. فإنهم يربطون كل آية بقصةٍ ، ويعتقدون أنها سبب نزول هذه الآية . ولكن المحقق ـ كما يرى ولى الله الدهلوى ـ أن الغاية الأساسية من نزول القرآن هى تهذيب النفوس البشرية ، والقضاء على العقائد الباطلة ، والأعمال الفاسدة الخ) .

● قلت : إن هذا الحكم على عامة المفسرين بأنهم يربطون كل آية بقصة .. الخ ، غير سليم ، وغير واقعى . فالآيات التى نزلت لأسباب من حوادث أو مخالفات أو أسئلة وجهها الصحابة أو الوافدون على الرسول ﷺ محدودة ومعروفة فى كتب التفسير ، وفى الكتب الخاصة بأسباب النزول وحدها . ومن ناحية أخرى هناك قاعدة عامة أو أصل معروف بين أصول علم التفسير .. وهو : (أن العبرة بعموم اللفظ .. لا بخصوص السبب) وكافة المفسرين

يخضعون لهذه القاعدة أو هذا الأصل فى تفسير آيات القرآن ، وليس (ولى الله الدهلوى) وحده هو الذى يرى ذلك .

هذه واحدة ..

● أما الثانية .. فقول الكاتب الفاضل : «إنه ـ أى الرسول ﷺ ـ لم يتصرف فى الحوادث التأريخية بنفسه ، ولم يتلقها من أحبار اليهود أو النصارى كما يزعم بعض المستشرقين ـ حقيقة : إنه من الحمق التهويل فى هذا الشأن مادام الرسول ﷺ لم يلق أحبار اليهود ولا رهبان النصارى ولم يثبت اتصاله بهم» !

ـ قلت : صدر الجملة صحيح ؛ فالرسول ﷺ نقل إلينا القرآن كما أُنزل لم يتصرف فى أحكامه وقصصه بتحريف أو تبديل ، ولم يأخذ شيئاً من أحبار اليهود ولا رهبان النصارى ويدخله فى القرآن أو سنته القولية والفعلية .

ولكن ختام الجملة ـ وقد عزاه الكاتب إلى الدكتور صبحى الصالح فى كتابه «مباحث القرآن» ـ غير صحيح .. فإن الرسول ﷺ كان يلتقى ويجتمع بأحبار اليهود ورهبان النصارى فى المدينة المنورة .. وكانت تثار بينه وبينهم مسائل وحوارات حول العقيدة والشريعة ، ونزلت بعض آيات القرآن الكريم بالفصل فى هذه القضايا والشبهات التى أثاروها أو سألوا عنها . وهذا لا يعنى طبعاً أنّه ﷺ أخذ عنهم ، أو اقتبس من التوراة والانجيل شيئاً من أحكام القرآن وآدابه وقصصه كما يفترى المفترون منهم ..

.. وذلك كسؤالهم للنبى ﷺ عن (الروح) ـ وموقفهم من عبد الله بن سلام قبل إعلان إسلامه وبعده .. من ثنائهم عليه بين

يدى الرسول ﷺ ، ثم ذمهم إياه بعد أن أعلن إسلامه ـ واحتكامهم إليه ﷺ فى قضية زنا بعضهم وزعمهم أن التوراة لا تحكم برجم الزانى الخ .

وهناك أيضاً لقاءات تمت بينه ﷺ وبين وفود من نصارى نجران والحبشة وغيرهما بالمدينة .

حول الأنبياء والرسل

وقرأت فى جريدة (عكاظ) ١٣٩٧/١١/٢٨ ـ كلمة عن (النبى .. والرسول) يقول فيها كاتبها : «هناك فرق بين النبوة والرسالة ـ فالرسالة أعم من النبوة حيث يمكن القول : إن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً ـ فالنبى هو الذى أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره بتبليغه .. كنبى الله يوسف . أما الرسول فهو الذى أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه كسيد الخلق محمد ﷺ ..»

● قلت : إن التفريق بين تعريف النبى والرسول ـ قد عرفناه منذ دراستنا الابتدائية .. ولكن بعد دراستنا للقرآن الكريم وتفسيره أصبحنا لا نسلم بهذا التفريق .. وأقرب دليل على ذلك ما ذكره الكاتب نفسه ، فقد ضرب المثل على تعريف (النبى) بسيدنا يوسف عليه السلام .. أى أنه ـ كما عرفه ـ أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره بتبليغه .. فى حين أن القرآن صريح فى أن يوسف كان رسولاً وأنه بلغ ما أوحاه الله إليه من رسالة ..

هذه الآية (٣٤) من سورة «غافر» تقول : ﴿**ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى إذا**

هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً ، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ .

فالآية صريحة فى أن يوسف عليه السلام جاء إلى المصريين بالبينات .. وأنهم كانوا فى شك مما جاءهم به ، حتى إذا مات قالوا لن يأتيهم رسول من بعده ..

فلو كان يوسف لم يؤمر بإبلاغ ما أوحى الله إليه من البينات لما كان من المصريين هذا الموقف المكابر المعاند ثم قولهم إنه لن يأتيهم رسول من بعده .

وورود كلمة (رسول) فى موقف بنى إسرائيل تدل على أن يوسف كان رسولاً ، وإلّا لقالوا : (لن يبعث الله من بعده نبياً)

ونحن لا نتصور أن الله يوحى إلى رجل ما بشرع له وحده ولا يأمره بتبليغه للناس .. إذ ما فائدة هذا (الشرع) الذى يتلقاه رجل واحد ينفرد به دون الناس ؟

ونرى أن النبى التالى الذى بعث مجدداً لرسالة نبى قبله دون زيادة أو تبديل لبعض عقيدتها أو شريعتها ـ هو رسول أيضاً وليس نبياً فقط .. لأنه أرسل فعلاً إلى قوم أو أمة ليذكرهم بما هجروه من دينهم الذى جاءهم به الرسول السابق .

كما نرى آيات كثيرة من القرآن الكريم تذكر موقف بنى إسرائيل من أنبيائهم الذين أرسلوا تباعاً لهم بالنص الآتى : **﴿ويقتلون النبيين بغير الحق﴾** فلو لم يكن هؤلاء الأنبياء رسلاً ما تعرضوا للقتل بسبب تبليغهم ما أوحى الله إليهم من شرع إلى بنى إسرائيل ..

وإذن فهذا التفريق بين النبى والرسول غير مسلم به . وقد تكون

لنا عودة لمزيد من التفصيل والتدليل .

حول الحتمية التأريخية

فى لقائنا اليوم عبر (دراساتنا القرآنية) نتأمل بعض الآيات .. مما يتناوله القراء والكتاب بالحديث عنه أو الاحتجاج به فى بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ..

يطلق بعضهم جملة (حتمية التاريخ) قاصدين بها ما يحدث أو ما ينزل بالأمم من أحداث أو تغيرات نتيجة لانحرافها عن الحق أو انصرافها عن الخير .

وأرى أن ما ينبغى أن يطلق على هذه الأحداث البشرية أو التبديلات الكونية : (سنة الله) أو (القانون الآلهى) فنحن المسلمين مؤمنون بالله ربا خالقاً رازقاً ، ومدبراً مصرفاً لأمور البشر وقوانين الكون ـ وهذا هو فرق ما بيننا وبين الماديين الملحدين .

والسبب أو العلة فى هذا الفرق أو التفريق : هو الإيمان موجودا فى صدورنا ومفقوداً عندهم . فنحن نؤمن (بالله) رباً للناس وإلهاً للناس ، وملكاً للناس ـ وهم لا يؤمنون .

وسوف نضرب بعض الأمثلة لما يسمونه (حتمية) التاريخ ونسميه نحن سنة الله أو الحتمية الآلهية .

● يقول الله عزّ وجلّ : **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** .[1]

● ويقول أيضاً : **﴿ولا يحيق المكر السيىء إلّا بأهله﴾** .[2]

---

(١) سورة الرعد ١١ . (٢) سورة فاطر ٤٣ .

● ويقول كذلك : ﴿.. **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**﴾ .[1]

ولكن لهذه الحتمية الآلهية ، أو سنة الله اللازمة أو قانونه الثابت شرطاً أو قيداً لابد من توفره .. وهو ما توضحه وتحذر منه آية تالية فى السورة نفسها ـ سورة النساء ـ وهو قوله تبارك وتعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين .. أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً**﴾[2] فقانون الله أو سنته الجارية بنصر المؤمنين على الكفار مشروطة أو مترتبة على عدم اتخاذ المؤمنين للكافرين أولياء وأصدقاء ، فإن فعلوا ذلك جعلوا لله عزّ وجلّ حُجةً عليهم فى تخلِّيه عن نصرهم ، وخذلان عدوهم .

ويعود القرآن فيؤكد الحتمية الأولى بشرطها فى سورة المائدة : ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا .. الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**﴾ .[3]

وهناك حتمية إلّهية أخرى ، أو سنة الله عزّ وجلّ فى قوله تبارك وتعالى : ﴿**وقال ربكم ادعونى أستجب لكم**﴾[4] إلى جانب آيات أخرى مماثلة تقرر وعد الله الذى لا يخلف باستجابة دعاء المؤمنين . ولكن هذه الحتمية الآلهية كغيرها مقيدة بقيد ومشروطة بشرط .. هو الإيمان الصافى من الشك ، واجتناب أكل الحرام ، وخلو الدعاء من الإثم وقطيعة الرحم .. وهذا ما تشير إليه الأحاديث

---

(١) سورة النساء ١٤١ .   (٢) سورة النساء ١٤٤ .
(٣) سورة المائدة ٥٥ ـ ٥٦ .   (٤) سورة غافر ٦٠ .

النبوية المتعددة التى تشترط لاستجابة الدعاء أن يكون مأكل الداعى ومشربه وملبسه حلالاً ، وألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم .

ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً

● يقول الله عزّ وجلّ : **﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾**[1] .

ومعنى ذلك أن الاسلام يعطى كل ذى حق حقه ، ويمنح أجر العمال والموظفين على قدر كفايتهم وثقافتهم وجهودهم . لأنهم لا يتساوون فى الطبائع والملكات والقدر ، ولا يتفقون فى الخلقة والجبلة والتفكير . ولذلك ينبغى أن يلاحظ العدل فى إعطاء كل عامل وموظف ما يستحق إزاء كفايته وثقافته وجهده وعمله ، ولا يتساوى الكسول مع النشيط ، والجاهل مع العالم ، والبليد مع الخبير . فاختلاف الأجور والمرتبات ضرورى ولازم لاختلاف الامكانات والوظائف .

ولكن التسخير ــ فى الآية ــ ليس معناه الاستعلاء والكبرياء من طبقة على طبقة ، وإنما معناه أن كل إنسان أو عامل أو موظف له كفايته وثقافته الإدارية ، وقدرته الخاصة على أداء عمل معين ومحدد . بحيث يؤدى كل واحد عمله أو وظيفته فى مجاله وحسب استطاعته فى حدود علمه الادارى وبذلك يقوم المجتمع الإنسانى بتعاون أفراده على أداء أعمالهم كل فى ميدانه وفى حدود عرفانه .

---

(١) سورة الزخرف ٣٣ .

ومعنى الآية الكريمة : أن العامل مسخّر للمهندس ، والمهندس مسخر لصاحب العمل ، وهذان الأخيران مسخران للعامل أيضاً .. وكذلك الموظفون الصغار مسخرون للأعمال الكتابية والادارية البسيطة الهينة ، والكبار متفرغون للمهام الكبيرة .

وهناك المستشارون المختصون بإبداء آرائهم حول ما يراد تنفيذه من أعمال جديدة ، أو مشكلات عارضة ، أو خلافات طارئة ..

وهكذا تجد أن توزيع الاختصاصات والأعمال على طبقات مختلفة وفقاً لثقافاتهم ومواهبهم وقدراتهم المتباينة ـ ضروري لقيام المجتمعات ونجاحها . وهو أمر طبيعي وشرعي من وجهة نظر الإسلام .

حتى يعطوا الجزية عن يد ..

● ويقول الله عزّ وجلّ : ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .**﴾ (1)

ويفهم أعداء الإسلام ومن تتلمذ على أيديهم وأفكارهم من المسلمين ـ يفهمون هذا الحكم القرآني على غير معناه ، فهم مرة يقولون : أنه الاكراه والارغام قيد أن يؤمن غير المسلمين بالإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ويزعمون مرة أخرى : أنه دين مادي يفرض الضرائب على مخالفيه . والذين يحسنون الظن من الكُتاب المسلمين ـ مع تأثرهم بآراء أساتذتهم من المستشرقين ـ

---

(1) سورة التوبة ٢٩ .

يقولون : إن الجزية فى مقابل الاسلام فإما اسلام وإما جزية ..

والحقيقة المستنبطة من تاريخ تعامل الخلفاء والأمراء والقادة العسكريين فى العصور الاسلامية الأولى هى :

ـ أولاً : أن الجزية : هى علامة لالقاء أعداء الاسلام سلاحهم ، وكفهم عن مقاتلة المسلمين ، ومعارضة الدعوة الاسلامية ، وإفساح المجال أمامها ليدخل فيها من أحب دون اكراه أو ارغام .

ـ ثانياً : أنَّ الجزية تؤخذ فى مقابل حماية الدولة الاسلامية لأموال هؤلاء الذميين وانفسهم ولا أدل على ذلك من ردَّ أبى عبيدة عامر بن الجراح لأهل الشام جزيتهم و خراجهم عندما بلغه أن الروم قد جمعوا للمسلمين ، فهو وجنده لا يستطيعون حماية هؤلاء الذميين . لأنهم سيتفرغون لقتال الروم . وجاء فى كتابه لهم : **« إنما رددنا لكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع الروم لنا من الجموع ، وإنكم قد اشترطتم علينا إن نمنعكم ، وإنَّا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا لكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا إن نصرنا الله »**[1]

استدلال بغير دليل
حول قتل الإنسان للإنسان

فى مجلة (الوعى الإسلامى) عدد جمادى الأولى سنة ١٣٩٣هـ بحث قيم عن «القصاص فى ... للعالم الجليل الأستاذ عبد الكريم

(١) كتاب الخراج ـ لأبى يوسف .

الخطيب ـ تحدث فيه عن جريمة القتل ، وكيف أنها عدوان على نفس بريئة ، وحرمان لها من الحياة ، ولأسرتها وذريتها من رعايتها وعنايتها بها . وكل ما ذكره الأستاذ الخطيب من شناعة وفظاعة من جريمة القتل صحيح وحق ..

ولكن الأستاذ الخطيب ـ بعد ذلك ـ استدل على تشنيعه وتفظيعه لجريمة القتل بآية من سورة مريم قائلاً : ليشعر القاتل ، ولتشعر الحياة كلها بأن أمراً عظيماً فظيعاً قد حدث «تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً» .

إن هذه الآية القرآنية سبقتها آيتان متصلتان بها اتصالاً تاماً ، ولحقتها آيتان لها الصفة نفسها ، وموضوعها واحد هو ادعاء الكفار على الله عزّ وجلّ بالوالدية : ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدًّا ـ تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدّاً : أن دعوا للرحمن ولداً ـ وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً**﴾ .

فالاستدلال بها فى موضوع قتل الإنسان للإنسان عمداً أو خطأ ، لا يصح ، لأنها جاءت فى موضوع قضية ...... أخطر وأكبر وهى دعوى «الوالدية» لله تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وإنما يصح أن يكون استدلال الأستاذ الخطيب على شناعة قتل الإنسان للإنسان وفظاعته ، وتشديد الله عزّ وجلّ فى جريمته ، وتحريمه بآية من القرآن نزلت فى موضوعه ، وفصلت فى قضيته ، وهى قوله تبارك وتعالى : ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل : انه من قتل نفساً بغير نفس ، أو فسادٍ فى الأرض .. فكأنما قتل**

الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾[1]

● فلكل مقام مقال ، ولكل قضية تعليل واستدلال .

● وهناك فرق بعيد جداً بين دعوى الوالدية للأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .. وبين من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض .

ـ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أكلة الربا يوم القيامة

فى مجلة «الدعوة» السعودية الصادرة بتاريخ ١٤٠٢/٢/٤هـ مقال قيم بعنوان (المعنى البيانى لآية كريمة) بقلم الدكتور محمد رجب البيومى تحدث فيه عن قوله تبارك وتعالى : **﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلّا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس﴾**[2] ثم أورد رأى الشريف المرتضى فى تفسيرها وهو : «أن ما وصفهم الله به يكون عند قيامهم من القبور ، فيلحقهم العثار والزلل والتخبُّل على سبيل العقوبة ..» الخ .

وعقب الدكتور البيومى على ذلك بقوله : «لا أدرى كيف حمل الشريف المرتضى الآية على المبعوثين من قبورهم ، وليس فى النص القرآنى دليل على تصوير البعث الأخروى ..» ووصفه بأنه قول عجيب ! !

* * *

وأرى أن الشريف المرتضى لم يأت بشىء غريب ولا عجيب ،

---

(١) سورة المائدة ٣٢ . (٢) سورة البقرة ٢٧٥ .

فقد سبقه إلى ذلك المفسرون والمحدِّثون بما يشبه الإجماع على أن هذه الصورة التى صوَّر بها القرآن أكلة الربا إنما هى صورة لهم فى الآخرة ، أى عندما يبعثون يوم القيامة من قبورهم .

ونبدأ بما ذكره فضيلة الشيخ محمد على الصابونى فى كتابه الجامع «صفوة التفاسير» الذى اختصر فيه أقوال المفسرين القدامى والعصريين ـ الطبرى ، والزمخشرى ، والقرطبى ، والألوسى ، وابن كثير ، وأبى حبان وغيرهم ـ

فقد أورد ـ بعد الآية موضوعة البحث ـ رأى هؤلاء المفسرين فى أكلة الربا : «بأنهم لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلّا كما يقوم المصروع من جنونه .. يتعثر ويقع ولا يستطيع أن يمشى سوياً ـ إنهم يقومون مخبلين كالمصروعين ، فتلك سيماهم يعرضون بها فى الموقف هتكاً لهم وفضيحة» [1]

ونضيف إلى ما جاء فى «صفوة التفاسير» ما ذكره الإمام الحافظ ابن كثير فى تفسيره [2] من أن أكلة الربا : «لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلّا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له ، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً» ثم أورد ابن كثير قول ابن عباس رضى الله عنهما : «آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يخنق . «ومثله عكرمة وقتادة والحسن .

ونقل ابن كثير أيضاً الحديث النبوى الذى رواه ابن أبى حاتم والامام أحمد ونصه : «قال رسول الله ﷺ أتيت ليلة أسرى بى

---

(١) جـ ١ ص ٧١٤ .
(٢) جـ ١ ص ٣٢٦ .

على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تجرى من خارج بطونهم ـ فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا» !

وقد حدثنا الرسول ﷺ ـ فى حديث الاسراء والمعراج ـ عن مشاهد متعددة للمعذَّبين يوم القيامة من زناة وقتلة وسرقة وغيرهم .

والحدث النبوى ـ وإن لم يكن صريحاً فى تصوير أكلة الربا على ما جاء فى القرآن ـ إلّا أنه يقرب هذه الصورة بما وصف من بطونهم منضخمة كالبيوت تمثيلاً للربا الحرام الذى أكلوه فى دنياهم ، وهى ـ فى الوقت نفسه ـ تضطرهم لضخامتها وثقلها إلى الوقوع على الأرض مراراً كالمصروع من مسٍّ الشيطان تماماً .

والحديث النبوى وآثار الصحابة والتابعين وأقوال المفسرين ـ فوق ذلك ـ تؤكد أن هذه الصورة لأكلة الربا ستكون يوم القيامة ، وليست فى الدنيا كما يرى الدكتور البيومى .

حول الطفولة والشيخوخة
فى تقدير القرآن

استمعت إلى (طبيب الاذاعة) ذات يوم وهو يذكر ما خلاصته ، إن الله عزّ وجلّ ، وهب للإنسان مناعة صحية فى جسمه ضد الأمراض .. لم يتوصل الطب إلى معرفة أسبابها .. فمثلاً الطفل الصغير إذا أصابه مرض السل كانت أصابته خطيرة ، أما إذا أصابه المرض نفسه وهو فى سن المدرسة فإصابته أقل خطراً لأن لديه مناعة تقاوم المرض ، ولكنه يعود لخطورة الاصابة إذا وصل إلى طور الكهولة والشيخوخة .[1]

---

(١) هو الطبيب السعودى الدكتور زهير أحمد السباعى .

هذا ما سمعته ، ولم أدوِّنه بلفظه . وإنما حفظت معناه ، وعبرت عنه بألفاظى وهو كلام طبى علمى لا غبار عليه ، ولكن الذى لفت نظرى ـ أو لفت ذهنى على الأصح ـ قوله : إننا لا نعرف أو لا يعرف الطب أسباب هذه المناعة فى المرحلة الوسطى من عمر الإنسان ـ وأنا لست طبيباً ، وطبيب الاذاعة أوثق منى فى العلوم الطبية بلا جدال ، وأنا أحفظ لكل مختص مقامه ، وأحمل له احترامه .

ولكنى أرى استنباطاً من الواقع واستناداً إلى أقوى المراجع وأوثقها ـ وهو القرآن الكريم .. كلام خالق الإنسان وهاديه ومدبِّره ـ أرى أن الطفل والشيخ معرَّضان لخطورة الإصابة بالأمراض لأنهما فى المرحلتين الأضعف من العمر .. فالطفولة والشيخوخة ضعيفتا المقاومة لمهاجمة العلل والأدواء .. أما المرحلة الوسطى مرحلة الشباب والفتوة والشباب فهى المرحلة الأقوى ، وهو أمر «واقع» فوق أنه علم وتجربة أيضاً .

والقرآن الكريم ـ وهو حديث من خَلَقَ فسوى ، وقدَّر فهدى تبارك وتعالى ـ يؤكد هذه الحقيقة البيولوجية فى قول الله عزّ وجلّ :

● **﴿الله الذى خلقكم من ضعف ـ ثم جعل من بعد ضعف قوة ـ ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبةً ـ يخلق ما يشاء ـ وهو العليم القدير﴾** [1]

وتكرر هذا المعنى ـ فى سورة غافر ـ فى قول الله تبارك وتعالى :

---

(١) سورة الروم ٥٤ .

﴿ثم يخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ثم لتكونوا شيوخاً﴾ فالشباب هو المرحلة الأشد والأقوى من عمر الإنسان بين الطفولة والشيخوخة ..

وفى المحيط نفسه .. محيط الصحة والطب والاكتشافات الحديثة ، نقرأ فى بعض الصحف العربية عن حقيقة جديدة .. يعلنها العلماء اليوم . وهى أن «الصوم» يؤدى إلى تغيير واضح فى كيمياء الجسم الإنسانى .. حيث تزداد فى حالة الصوم أنواع معينة من (الهرمونات) فتكون سبباً فى شفاء بعض الأمراض ، كالفصام وأمراض نفسية أخرى .

ويضيف النبأ : أن العلماء يدرسون كيفية الاستفادة من (الصيام) كأسلوب لمعالجة بعض الأمراض النفسية فى المستقبل .[1]

● قلت : إن الله عزّ وجلّ سبق أن قرر هذه الحقيقة العلمية الصحية للصوم فى قوله عزّ وجلّ : **﴿وان تصوموا خيرٌ لكم﴾** كما أكَّد ذلك رسوله الكريم ﷺ فى قوله : **(صوموا تصحوا ـ والصيام نصف الصبر)**[2] ـ فالقرآن الكريم والحديث الشريف يقرران هذه الحقيقة الصحية للصيام .. بل إن تجارب الصائمين تؤكدها بما وجدوه فى أنفسهم من عافية جسدية وصفاء روحى .

ونضيف هنا أن النبى ﷺ عالج الفورة الجنسية فى أجساد الشباب (بالصوم) فى توجيهه الطبى الحكيم : **(يا معشر الشباب من**

---

(١) جريدة الأهرام ١٣٩٦/١/٦هـ .

(٢) رواه الإمام أحمد .

استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ـ فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) !

وهناك حقيقة علمية أخرى سبق بها التفكير الاسلامى .. وقد جاءت الأنباء الصحفية الآن تؤكدها ، وهى أن (١٨٠) عالماً من علماء النفس فى العالم الأوروبى والأمريكى اجتمعوا فى مؤتمر علمى دعت إليه جامعة ويلز فى بريطانيا للبحث عن أسباب الضحك ، «لماذا يضحك الإنسان» ! وقد أعلن ـ فى هذا المؤتمر ـ الدكتور وليام فراى : أن كثرة الضحك تؤدى إلى الموت .[١]

قلت : إن السيرة النبوية تنقل إلينا أن النبى ﷺ كان يبتسم بحيث تظهر أمارة السرور على محياه الكريم ولا يضحك بانفعال كما يفعل الناس ـ وروى عنه أنه قال : **(كثرة الضحك تميت القلوب)**[٢] .

وهكذا نرى أن الثقافة الإسلامية ضرورية لكل مسلم وبخاصة الشباب والطلاب الذين فتنوا بثقافة العصر وحضارته ، وصدَّقوا ما يقوله أعداء الاسلام : إنه دين رجعى بدوى لا حضارة له ولا ثقافة ولا تاريخ .. وهم كاذبون .

حول الملائكة
والتكرار فى القرآن

القارىء الفاضل (غ . م . ش)[٣] من الرياض يوجه عدة

---

(١) المصدر السابق ـ جريدة الأهرام . (٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة .
(٣) هو الأخ الفاضل : غالب محمد الشريانى ـ من الرياض .

مسائل عن الأضاحى والهدى وفى قصة الملائكة وآدم وابليس ـ ونختصر الإجابة فيما يلى :

● أولاً : الآية ٣١ من سورة البقرة وهى قوله عزّ وجلّ : ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلها .. ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**﴾ موجهة من الله عزّ وجلّ إلى الملائكة ومعناها إن كنتم صادقين فى اعتراضكم على خلق آدم ودعواكم أن ذريته ستفسد فى الأرض وتسفك الدماء ..

● ثانياً : القول الصائب فى معنى قوله عزّ وجلّ : ﴿**وما تكتمون**﴾ إنه خطاب للملائكة أيضاً لأن الحوار مازال مستمر معهم . وقول ابن عباس وابن مسعود وابن جبير بأن المقصود ما يكتمه إبليس بعيد جداً لأن إبليس أعلن اعتراضه وامتناعه من السجود لآدم ، كما أعلن سبب ذلك : ﴿**أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ .

وقد أضاف القرطبى الذى نقلت عنه ـ ص ٢٩٠ جـ/١ ـ بعد قول ابن عباس وابن مسعود وابن جبير : (وقالت طائفة الابداء والمكتوم ذلك على معنى العموم فى معرفة أسرارهم وظواهرهم أجمع) وهذا هو الصواب فى معنى (وما تكتمون) انه خطاب للملائكة ، ولاداعى للبحث عما كانوا يكتمون غير ما أبدوه من قولهم : ﴿**اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ..**﴾ ..

وهو ظاهرة قرآنية متكررة فى كثير من الآيات فى مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿**والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**﴾ من سورة المائدة/٩٩ وقوله ﴿**والله يعلم ما تبدون وما تكتمون**﴾ من سورة النور/٢٩

ومثلها قوله : ﴿**أو لا يعلمون أنَّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون**﴾ من سورة البقرة ٧٧ ومثلها الآية ٥ من سورة هود ــ و ٢٣ من سورة النحل ــ وكذلك الآية : ﴿**وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون**﴾ من سورة القصص ٦٩ ومثلها الآية ٧٤ من سورة النمل الخ ..

والمقصود أو الهدف القرآنى : هو تقرير أن الله عزّ وجلّ يعلم سر مخلوقاته وجهرهم سواء أكانوا ملائكة أو إنساً أو جناً .

● ثالثاً : قوله تبارك وتعالى : ﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها**﴾ الآية ، ليست من متعلقات فعل الشرط وجوابه : ﴿**فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها ..**﴾ الآية وليس فعل الشرط وجوابه محذوفين كما ذكرت فى رسالتك وإنما هى معنى مستقل وجملة مستأنفة واضحة المعنى والمقصد والتوجيه فيها إلى لحوم الهدى والأضاحى خلال نسك الحج بصرف النظر عن أسباب النزول وتعددها .

● رابعاً : التكرار ثابت فى آيات القرآن ، ولا حجة لمن نفاه من العلماء .. لأن التكرار من أساليب العرب البلاغية . والقرآن إنما جاء بلغتهم وعلى أساليب خطابهم . والأمثلة على ذلك كثيرة فى آيات القرآن . ولا دعى لافتعال التأويل السخيف من أجل تنزيه القرآن عن التكرار باعتباره عيباً وهو ليس بعيب كما أسلفنا .

ارجع إلى القرآن لتجد التكرار فى حديث القرآن عن خلق الإنسان من نطفة ثم علقة ثم مضغة ــ وحديثه عن خلق الأنعام للركوب والزينة والانتفاع بأصوافها وأشعارها وألبانها ــ وحديث القرآن عن خلق السماوات والأرض والنجوم وجعل الجبال رواسى

الخ .. وتكرار قصص الأنبياء فى عدد من السور مع الاختصار تارةً والإطالة تارة أخرى .

مباحث الكتاب

الفصل الثانى

قضايا قرآنية :

الفصل الثالث

حول لغة القرآن وترجمته وتلاوته :

الفصل الرابع

هوامش وتعقيبات :

صدر من هذه السلسلة

الكتاب	المؤلف
١ ـ تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
٤ ـ الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ السيرة النبوية فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ النوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته[١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]

الكتاب	المؤلف
٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	[الدكتور عدنان محمد وزان]
٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة	[معالى عبد الحميد حموده]
٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام	[الدكتور محمد محمود عمارة]
٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى	[الدكتور محمد شوق الفنجرى]
٢٨ ـ وحى الله	[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن	[حسن أحمد عبد الرحمن عابدين]
٣٠ ـ المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية	[الأستاذ محمد عمر القصار]
٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى	[الأستاذ حامد عبد الواحد]
٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط	[عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى]
٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى	[الدكتور حسن الشرقاوى]
٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها	[الدكتور محمود محمد بابللى]
٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث	[الدكتور على محمد نصر]
٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين	[الدكتور محمد رفعت العوضى]
٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام	[د. عبد العليم عبد الرحمن خضر]
٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]

الكتاب	المؤلف
٤٥ ـ الطريق إلى النصر	[الأستاذ محمد عبد الله فوده]
٤٦ ـ الإسلام دعوة حق	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٤٧ ـ الإسلام والنظر فى آيات الله الكونة	[الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى]
٤٨ ـ دحض مفتريات	د . البدراوى عبد الوهاب زهران]
٤٩ ـ المجاهدون فى فطانى	[الأستاذ محمد ضياء شهاب]
٥٠ معجزة خلق الإنسان	[د . عبد الرحمن عثمان]
٥١ ـ مفهوم القيادة فى إطار العقيدة الإسلامية	[الدكتور سيد عبد الحميد مرسى]
٥٢ ـ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى والماركسى	[أنور الجندى]
٥٣ ـ الشورى سلوك والتزام	[د . محمد أحمد البابلى]
٥٤ ـ الصبر فى ضوء الكتاب والسنة	[أسماء عمر فدعق]
٥٥ ـ مدخل إلى تحصين الأمة	[د . أحمد محمد الخراط]
٥٦ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٥٧ ـ كيف تكون خطيباً	[الشيخ عبد الرحمن خلف]
٥٨ ـ الزواج بغير المسلمين	[الشيخ حسن خالد]
٥٩ ـ نظرات فى قصص القرآن	[محمد قطب عبدالعال]
٦٠ ـ اللسان العربى والاسلامى معاً فى مواجهة التحديات	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٦١ ـ بين علم آدم والعلم الحديث	[الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى]
٦٢ ـ المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٦٣ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين ٢	[د . رفعت اعوضى]
٦٤ ـ تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	[الستاذ عبد الرحمن حسن حبنكه]
٦٥ ـ لماذا وكيف أسلمت	[الأستاذ أحمد سامى عبد الله]
٦٦ ـ أصلح الأديان عقيدة وشريعة	[الأستاذ عبد الغفور عطار]
٦٧ ـ العدل والتسامح الإسلامى	[الأستاذ أحمد المخزنجى]

مطابع رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة